من فقه الزهراء عليها السلام

ج٤

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م

تهميش وتعليق:
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت ـ لبنان ص.ب: ٥٩٥٥ شوران
البريد الإلكتروني: comalmojtaba@alshirazi.

الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

من فقه الزهراء عليها السلام

المجلد الرابع

خطبتها عليها السلام في المسجد / القسم الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة

السلام عليك أيتها الرضية المرضية

السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية

السلام عليك أيتها الحوراء الإنسية

السلام عليك أيتها التقية النقية

السلام عليك أيتها المحدثة العليمة

السلام عليك أيتها المظلومة المغصوبة

السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة

السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله

ورحمة الله وبركاته

البلد الأمين ص٢٧٨. مصباح المتهجد ص٧١١

بحار الأنوار ج٩٧ ص١٩٥ ب١٢ ح٥ ط بيروت

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

تنبع عظمة الصديقة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) من تلك الخصائص النادرة التي حباها الله بها فميزها عن غيرها، فكانت بحق سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

مضافاً إلى كونها وريثة سيد المرسلين وزوجة أمير المؤمنين وأم الشبلين الحسن والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، فقد ورثت من أبيها البلاغة والفصاحة، ومن زوجها الجهاد

والشجاعة.

وقد نهضت بالأمر يوم رأت إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه، على ما ورد بها من علل وأسقام افترستها بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ، فأعلنتها صرخة مدوية في المسجد، صكت بها أسماع القوم لما غصبوا حق أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ومنعوها نحلة أبيها وبلغة بنيها، فكشفت بذلك عن سرائر النفوس وما انطوت عليه وما أضمرت، وكأنها تفرغ عن منطق أبيها (سلام الله عليها).

وهكذا فقد أغمض حق الزهراء عليها السلام جهاراً بحجة واهية وحديث مختلق (نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة) ورد شهادة من شهد لها رسول الله ﷺ بالجنة وكذلك شهادة زوجها وبنيها عليهم السلام، مضافاً إلى ما صنعوا بها من الضرب واللطم وكسر الضلع وإسقاط الجنين، و... فيا لله وما تأمر به النفس الأمارة.

ولكن أنى للحق أن يموت ما دام وراءه مطالب، فقد عرفت الأجيال أن الحق كان مع الزهراء (سلام الله عليها) وصدق دعواها وهي الصديقة الصادقة كما عرفوا أحقية أمير المؤمنين علي عليه السلام بالخلافة.

وهذا الكتاب، مضافاً إلى كونه شرحاً قيماً على تلك الخطبة المباركة التي ألقتها فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد، يمتاز بالصبغة الفقهية، فإن سماحة الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه) استنبط من تلك الخطبة الشريفة المئات من المسائل الشرعية الفقهية، فكان أول من كتب . بتوفيق من الله . في فقه الزهراء (سلام الله عليها) حيث ألف سبعة مجلدات بدءً من حديث الكساء ثم الخطبة الشريفة في المسجد ثم خطبتها في البيت، إلى الأحاديث المروية عنها (صلوات الله عليها)، وقد بلغ مجموع ما استنبطه من فقهها (عليها السلام) أكثر من ألفي مسألة.

ويعد هذه الاستنباطات من تلك المبتكرات العلمية التي يسجلها التاريخ باسمه الشريف.

وقد قال أحد كبار العلماء في قم المقدسة: إن السيد الشيرازي لو لم يكن له سوى (من فقه الزهراء عليها السلام) لكفاه فخراً.

كما رؤي الإمام الشيرازي Σ في المنام[1] جالساً ومؤلفاته إلى جانبه، وكان فوق رأسه

(١) قد رأى هذه الرؤيا أكثر من شخص وفي فترات مختلفة بعد رحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه).

عدد من كتبه المختارة وكان النور ساطعاً من تلك الكتب على السيد الراحل، وبعد الدقة لوحظ أن تلك الكتب التي يسطع منها النور هي (من فقه الزهراء عليها السلام).

نعم كان الإمام الراحل من جملة العلماء الذين انبروا للدفاع عن ولاية أهل البيت وعن جدته الزهراء عليها السلام وظل هكذا إلى آخر حياته حيث أسلم روحه الطاهرة ليلة عبد الفطر من عام ١٤٢٢هـ وهو يكتب كتاباً عن سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

إن مؤسسة المجتبى تتشرف بإصدار هذا الجزء في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الإمام الشيرازي (رضوان الله عليه) سائلة المولى أن ينفع به كما نفع بغيره وأن يمن على سماحة الإمام المؤلف بالمغفرة والرضوان وعلو الدرجات وأن يحشره مع جدته الزهراء (سلام الله عليها)، والحمد لله أولاً وأخراً.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

البريد الإلكتروني: almojtaba@alshira zi.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أما بعد: فهذا الجزء الرابع من كتاب (من فقه الزهراء) صلوات الله وسلامه عليها، أسأل الله عزوجل التوفيق والقبول، إنه ولي ذلك.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

لماذا الاستنصار؟

مسألة: قد يُتساءل أن فاطمة الزهراء عليها السلام لماذا استنصرت القوم مع علمها بعدم النصرة؟

والجواب: إن (الاستنصار) هنا راجح وقد يكون واجباً حتى مع اليأس من النصرة، إذ لا ينحصر الغرض منه في النصرة بل منه إتمام الحجة، قال تعالى: ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[٢].

ومنه: إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل في ذلك الزمن وللأجيال الآتية.

ومنه: الردع عن الظلم الأكثر، إلى غيرها.

ومن هنا استنصر أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة، فلما لم يجد ناصراً صبر كما وصاه رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما سئل: فما منعك يا بن أبي طالب حين بويع فلان وفلان أن تضرب بسيفك؟

وقال آخر: يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك وتأخذ بحقك وأنت لم تخطب خطبة إلا وقلت فيها: «إني لأولى الناس بالناس ولا زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله» فما منعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك؟

قال علي عليه السلام: «اسمع يا فلان، فإنه لم يمنعني من ذلك الجبر ولا كراهية الباري تعالى[٣] وإني لأعلم أن ما عند الله تبارك وتعالى خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن يمنعني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ونهيه إياي وعهده إليّ، فقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله ما الأمة صانعة بعده ولم أكن حين عاينته أعلم به ولا أشد استيقاناً به مني قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقيناً مني بما عاينته وشهدته، فقلت: يا رسول الله وما تعهد إليّ إذا كان ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: إن وجدت أعواناً فانتدب إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك وأحقن دمك حتى تجد على إقامة كتاب الله وسنتي أعواناً، وأخبرني أنه سيخذلني الناس ويبايعون

---

(٢) سورة النساء: ١٦٥.

(٣) أي كراهية أن أقتل وألقى الباري تعالى.

غيري وأخبرني أني منه بمنزلة هارون من موسى، وأن الأمة من بعدي سيصيرون بمنزلة هارون ومن تبعه والعجل ومن تبعه، إذ قال له: ﴿**يا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۞ أَلاَ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**﴾ (٤).

يعني إن موسى عليه السلام أمره حين استخلفه عليهم إن ضلوا فوجدت أعواناً عليهم فجاهدهم وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك ولا تفرق بينهم، وإني خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: لم فرقت بين الأمة ولم ترقب قولي وقد عهدت إليك إن لم تجد أعواناً أن تكف يدك وتحقن دمك ودماء أهل بيتك وشيعتك.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مال الناس إلى أبي بكر فبايعوه واستنصرتُ الناس فلم ينصروني غير أربعة: سلمان وأبوذر والمقداد والزبير بن العوام، ولم يكن أحد من أهل بيتي أصول به وأتقوى به، أما حمزة فقتل يوم أحد، وأما جعفر قتل يوم موتة...» الحديث(٥) .

ومن هذا الباب أيضا كان استنصار فاطمة الزهراء عليها السلام.

نصرة المظلوم واجب عقلي

مسألة: نصرة المظلوم واجب عقلي، فلا ينحصر وجوب الانتصار له في المسلم أو المؤمن، بل يجب على كل إنسان ذلك بحكم العقل والفطرة والوجدان.

وأما توجيهها عليها السلام الخطاب للمسلمين فلأنهم المخاطبون بالدرجة الأولى، ولتحملهم ضعفي(٦) المسؤولية، سواء في قضية فدك أو غصب حق الإمام عليه السلام في الخلافة، أو الاعتداء

---

(٤) سورة طه: ٩٢-٩٤.

(٥) انظر إرشاد القلوب: ج٢ ص٣٩٤- ٣٩٥ خبر وفاة أبي بكر ومعاذ بن جبل.

(٦) لتكليفهم عقلاً وشرعاً ولائتمانهم على ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث المتواتر عند الفريقين: «إني تارك فيكم ثقلين كتاب الله وعترتي». وفي بعض الروايات: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي».
انظر حديث الثقلين في صحيح الترمذي: ج٥ ص٣٢٨ ح٣٨٧٤ و ح٣٨٧٦ ط دار الفكر بيروت، وج١٣ ص١٩٩ و٢٠٠ ط مكتبة الصاوي مصر، وج٢ ص٣٠٨ ط بولاق مصر. مسند أحمد: ج٣ ص١٧ و٢٦ و٥٩ ، وج٤ ص٣٦٦ و٣٧١، وج٥ ص١٨١ ط الميمنية بمصر. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب: ج٢ ص٣٦٢ ط عيسى الحلبي، وج٧ ص١٢٢ ط صبيح، وج١٥ ص١٧٩ ط مصر بشرح النووي. ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢٣١ و٢٣٢ ط مطبعة القضاء النجف. وينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٦

على الإمام عليه السلام أو عليها عليها السلام بالضرب وعلى دارها بالإحراق أو غير ذلك من كسر الضلع وإسقاط الجنين.

ومن ذلك يتضح أن الحكام من بني أمية وبني العباس والعثمانيين كلهم شركاء في استمرار هذه المظالم حيث كان بمقدورهم رد فدك وإرجاع الخلافة لأهلها.

ومن ذلك يتضح أيضاً أن الدول المعاصرة والأمم المتحدة ومنظمات حقوق الإنسان

و٣٨ و٤١ و١٨٣ و١٩١ و٢٩٦ و٣٧٠ ط إسلامبول. وتفسير ابن كثير: ج٤ ص١١٣ ط دار إحياء الكتب العربية مصر. ومصابيح السنة للبغوي: ص٢٠٣ و٢٠٦ ط القاهرة. وج٢ ص٢٧٨ ط صبيح، وجامع الأصول لابن الأثير: ج١ ص١٨٧ ح٦٥ و٦٦ ط مصر. والمعجم الكبير للطبراني: ص١٣٧. ومشكاة المصابيح: ج٣ ص٢٥٥ و٢٥٨ ط دمشق. وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف: ص١١١ و١١٤ و١١٦ ط الحلبي. والفتح الكبير للنبهاني: ج١ ص٢٥٢ و٤٥١ و ٥٠٣ وج٣ ص٣٨٥ ط دار الكتب العربية بمصر. والشرف المؤبد للنبهاني: ص١٨ ط مصر. وأرجح المطالب: ص٢٣٦ أو ٣٣٦ ط لاهور. ورفع اللبس والشبهات للإدريسي: ص١١ و١٥ ط مصر. والسيف اليماني المسلول: ص١٠ ط الترقي بدمشق. والدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص٦٠، وج٦ ص٧ و٣٠٦. وذخائر العقبى ص١٦. والصواعق المحرقة: ص١٤٧ و٢٢٦ ط المحمدية، وص ٨٩ ط الميمنية مصر. المعجم الصغير للطبراني: ج١ ص١٣٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الشافعي: ج٢ ص١٢. وتفسير الخازن: ج١ ص٤. علم الكتاب للسيد خواجة الحنفي: ص٢٦٤ ط دهلي. منتخب تاريخ ابن عساكر: ج٥ ص٤٣٦ ط دمشق. مشكاة المصابيح للعمري: ج٣ ص٢٥٨. وتيسير الوصول لابن البديع: ج١ ص١٦ ط نور كشور. والتاج الجامع للأصول: ج٣ ص٣٠٨ ط القاهرة. مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص١٦٢ و١٦٣. الجامع الصغير للسيوطي: ج١ ص٣٥٣ ط مصر. وأرجح المطالب للآمرتسري الحنفي: ص٣٣٥ ط لاهور. ومناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي الشافعي ص٢٣٤ ح٢٨١ وص٢٣٥ ح٢٨٣ ط طهران. والمناقب للخوارزمي الحنفي: ص٢٢٣. وفرائد السمطين للحموييني الشافعي: ج٢ ص١٤٣ ب٣٣. وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار: ص١٠٨ ط السعيدية، السيرة النبوية لزين دحلان المطبوع بهامش السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٣٠ و٣٣١ ط البهية مصر. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢ ص١٩٤ دار صادر بيروت. المواهب اللدنية: ج٧ ص٧ ط مصر. راموز الأحاديث للشيخ احمد الحنفي: ص١٤٤ ط آستانة. الأنوار المحمدية للنهباني: ص٤٣٥ ط الأدبية لبنان. فرائد السمطين: ج٢ ص٢٧٢ ح٥٣٨. وتاريخ دمشق لابن عساكر: ج٢ ص٣٦ ح٥٣٤ و٥٤٥. وأنساب الأشراف للبلاذري: ج٢ ص١١٠. وحلية الأولياء: ج١ ص٣٥٥. وكنز العمال: ج١ ص١٥٨ ح٨٩٩ و٩٤٣-٩٤٧ و٩٥٠-٩٥٣ و٩٥٨ و١٦٥١ و١٦٥٨ و١٦٦٨. وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٥٣ ط الحيدرية، و...

أما الحديث في مصادر الشيعة فأكثر من ذلك، راجع مثلاً: عيون أخبار الرضا عليه السلام : ج٢ ص٦٢ ح٢٥٩ ب٣١ وفيه: (قال النبي صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض). ومستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٧٤ ب٤٩ ح١٣٢٩٤.

وانظر حديث الخليفتين في مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص١٨١ ح٢١٦١٨ ط مؤسسة قرطبة بمصر. ومجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي: ج٩ ص١٦٢ ط دار الريان للتراث، القاهرة. وفضائل الصحابة، لابن حنبل: ج٢ ص٦٠٣ ط مؤسسة الرسالة بيروت. وأيضا في مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص١٨٩ ح٢١٦٩٧ ط مؤسسة قرطبة بمصر. وأيضاً في مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي: ج٩ ص١٦٢ ط دار الريان للتراث، القاهرة.

أيضاً مسؤولة عن إرجاع فدك لأحفادها (صلوات الله عليها) إذ الحق لا يبطل بالتقادم وهذه ظلامة كبرى على مر التاريخ.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسن العدل نصرة المظلوم»[٧].

وعن البراء بن عازب قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بسبع ونهاها عن سبع، أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وبر القسم...) الحديث[٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه: ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل مما أنالك الله، قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله، قال: فانصر المظلوم..»[٩].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت آثامه»[١٠].

وقال عليه السلام: «من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه الله قدرته»[١١].

وقال عليه السلام: «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»[١٢].

أأغلب على إرثيه

التعجب الاستنكاري

قولها عليها السلام: (أأُغلب على إرثيه) ورد في مقام التعجب المضمّن معنى الاستنكار، أي كيف أُمنع من إرث أبي على خلاف كتاب الله؟!

والهاء للسكت، أي أنها علامة السكوت في آخر الكلام، والتي تلحق لبيان حركة أو حرف، ولذا يسكت بها في الوقف دون الوصل، وإن قرئ بإثباتها في الوصل أيضاً، مثل قوله

---

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٦ ق٦ ب٤ ف٥ ح١٠٢١٠.

(٨) معدن الجواهر: ص٥٨-٥٩ باب ذكر ما جاء في سبعة، ومثله في الخصال: ج٢ ص٣٤٠-٣٤١ باب السبعة.

(٩) انظر تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٨٩.

(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ ق٤ ب٢ ف٣ ح٧٨٠٤.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ ق٤ ب٢ ف٣ ح٧٨٠٥.

(١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٨٣ ق٦ ب٦ ح١١١٤٤.

سبحانه وتعالى: ﴿**فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾[١٣].

أو إشارة إلى قطع الاستمرار في الكلام إلى هنا، وذلك لتلهف المتكلم بما لا يتمكن من بيانه بالكلام، أو بما لا يسمح له المقام به، فأريد بذلك نحو من انطباق الكلام مع الواقع، كما في قوله عزوجل: ﴿**ذلك ما كنا نبغ**﴾[١٤] بحذف الياء حيث أريد حكايتها [١٥] للكلام، فإنه من شدة الشوق لم يتكلم بتمام الكلام، كما أن من الوارد أحياناً أن لا يتم الكلام لشدة الخوف أو الحزن أو غير ذلك من الحالات النفسية الطارئة.

وفي المقام قد يكون وقفها عليها السلام على (إرثيه) لغلبة الآلام عليها مما لاقته من القوم، كما يتوقف المتكلم عند انقطاع نفسه ـ لإرهاق أو تحرك زائد أو غير ذلك ـ إذ أنها (صلوات الله عليها) جاءت إلى المسجد متحاملة على نفسها، تعاني من جراحها وكسر ضلعها وسقط جنينها، وتتجلد رغم آلامها، فلعن الله ظالميها وغاصبي حقوقها وعذبهم عذاباً أليماً.

فقد روي: «أنها عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة»[١٦].

ولعل المراد بالإرث هنا: الأعم من النحلة والإرث المصطلح، وقد سبق أن فدك كانت نحلة نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام في حياته، كما هو ثابت في التواريخ، وكما استدلت هي أيضاً بذلك في موطن آخر.

وأما إذا أريد بالإرث: خصوص الإرث بالمعنى المشهور، فهو ـ كما سبق ـ من باب التسليم لإثبات الحق بما يعترف به الخصم، فان الإنسان إن كان محقاً ولا يصل إلى حقه إلا بالطريق الذي يُلزم الخصم، أي بما يراه الخصم صحيحاً وإن كان الصحيح عنده غيره، صح سلوك ذلك الطريق، وهذا قد يكون من مصاديق «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[١٧] ومن باب (إن سلمنا) كما في كلمات العلماء، ومثل قول النبي

(**١٣**) سورة الحاقة: ٢٥ ـ ٢٩.

(**١٤**) سورة الكهف: ٦٤.

(**١٥**) أي الآية أو الكلمة (نبغ).

(**١٦**) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٨١ ب٧ ح١٦.

(**١٧**) بحار الأنوار: ج١ ص٨٥ ب١ ضمن ح٧، ومن أمثلته الجواب الذي ذكره الإمام السجاد عليه السلام على السؤال

إبراهيم عليه السلام «هذا ربي»، قال تعالى: ﴿**فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي**﴾[١٨].

قال الإمام الرضا عليه السلام: «إن إبراهيم عليه السلام وقع على ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفى فيه، ﴿**فلما جن عليه الليل رأى**﴾ الزهرة قال: ﴿**هذا ربي**﴾ على الإنكار والاستخبار.. ﴿**فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي**﴾[١٩] على الإنكار والاستخبار... ﴿**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر**﴾[٢٠] من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على سبيل الإخبار والإقرار» [٢١].

قولها عليها السلام قبل ذلك: «بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية». الضاحية بمعنى: الظاهرة البيّنة، لأن في وقت الضحى تكون الشمس أظهر شيء، والضحى وقت بين الصبح والظهر حين تقترب الشمس من نصف النهار.

وقولها عليها السلام: «أني ابنته» فإنها (صلوات الله عليها) ذكرت انطباق الكبرى الكلية للإرث على الصغرى الشخصية والتي هي عبارة عن: أنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

التالي: (لأي علة حجب الله عزوجل الخلق عن نفسه)؟ فقال عليه السلام: (لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل، فلو أنهم كانوا ينظرون الله عزوجل لما كانوا بالذي يهابونه ولا يعظمونه، نظير ذلك أحدكم فإذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظمه إذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم). علل الشرائع: ج١ ص١١٩ ب٩٨ ح٢.

(**١٨**) سورة الأنعام: ٧٦.

(**١٩**) سورة الأنعام: ٧٧.

(**٢٠**) سورة الأنعام: ٧٨.

(**٢١**) الاحتجاج: ج٢ ص٤٢٧ احتجاج الرضا عليه السلام على أهل الكتاب وغيرهم.

مواجهة الحاكم

مسألة: توجيهها ﷺ الخطاب لابن أبي قحافة مباشرة يفيد رجحان أو وجوب التوجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نحو العقل المخطط والعامل الأول والسبب الرئيسي في الظلم، ومحاولة ردعه مباشرة، فإنه المعني بالأمر والنهي أولاً وبالذات.

قال تعالى: ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى**﴾(٢٢).

وقال الإمام الحسين ﷺ: «نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ويزيد فاسق شارب الخمر وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع لمثله ولكن نصبح وتصبحون أينا أحق بالخلافة والبيعة»(٢٣).

ويرفع اليد عن هذا فيما لو كان التوجه لغيره أجدى وأنفع، أو كان التوجه له ذا خطر مرفوع بقاعدة (لا ضرر) أو ما أشبه، فإنه حينئذ يرفع اليد عن التوجه للعامل الأساسي إلا إذا كان له ـ رغم الخطر ـ مصلحة ملزمة أكبر أو أهم.

والمصلحة والمفسدة تلاحظ بالقياس إلى الشخص الآمر وإلى أتباعه وإلى لوازم الأمر والنهي وإلى الآثار المستقبلية على الأجيال القادمة، وبالقياس إلى نوع المأمور به والمنهي عنه، وإلى المصالح العليا والعامة وما أشبه.

وذلك كله يعرف من الشرع ومن الذين عدهم الشرع مرجعاً في الحوادث الواقعة، فلو أراد ظالم غصب مال شخصٍ فإن نهيه عن المنكر واجب لو لم يستلزم ضرر الناهي بما لا يجوز تحمله كالقتل مثلاً.

لكن لو استلزم ذلك سجن الناهي لشهر مثلاً فهل يجب النهي عندئذ؟

المرجع في بعض الصغريات إلى الفقهاء، وفي بعضها إلى أهل الخبرة، وفي بعضها إليهما معاً، وفي بعضها إلى العرف، وفي بعضها إلى الشخص نفسه على تفصيل ذكرناه في الفقه.

وفي المقام كان فضح الظلم والعدوان في أقصى درجات الأهمية، لذلك وجهت الصديقة

---

(٢٢) سورة طه: ٤٣.

(٢٣) راجع مثير الأحزان: ص٢٤ المقصد الأول، أخبار الحسين ﷺ بموت معاوية ومنامه، وراجع اللهوف: ص٢٣ المسلك الأول في الأمور المتقدمة على القتال.

الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام الخطاب للأول مباشرة، ولم يكن ليحل محله توجيه الخطاب لشخص آخر ابتداءً، فالخطر في مثل هذا الموقف كان مما لا يلغي وجوب الاقتحام، إضافة إلى أنه قد يقال بأنهم كانوا يتخوفون من إيذائها عليها السلام أكثر مما سبق منهم من الإيذاء العظيم، خوفاً من ردود الفعل الجماهيرية أو مزيد من فقدان الشرعية وإن آذوها عليها السلام قبل ذلك بضربها ولطمها وكسر ضلعها وإسقاط جنينها وغيرها، لأن خطبتها الفدكية كانت بعد قصة الدار، كما يظهر من التواريخ.

أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟

الاستدلال المنطقي

مسألة: ينبغي أن يتطبع الإنسان ـ إن لم يكن طبعاً له ـ على الاستدلال المنطقي المعقول، خاصة على الخصم، أي ﴿**بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾[٢٤] والمجادلة ﴿**بالتي هي أحسن**﴾[٢٥]. وهذا ما يشاهد بوضوح في احتجاجات رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام[٢٦].

وقد يجب مثل هذا الأسلوب حسب المتعلق، فإذا كان المتعلق واجباً وجب، وإذا كان المتعلق مستحباً استحب.

وليس المراد بالمنطقي: البرهان فقط، بل يشمل الصناعات الخمس التي ذكرها المنطقيون في المنطق، فإن من الشعر والخطابة والجدل ما يكون في مورده استدلالاً منطقياً بالمعنى الأعم أيضاً.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿**وجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٢٧].

وقال عز من قائل: ﴿**ولا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٢٨].

(**٢٤**) سورة النحل: ١٢٥.

(**٢٥**) سورة النحل: ١٢٥.

(**٢٦**) راجع كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي رحمه الله.

(**٢٧**) سورة النحل: ١٢٥.

(**٢٨**) سورة العنكبوت: ٤٦.

وقال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْراهِيمَ**﴾ الآية[٢٩].

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام أيضا لما احتج على عبدة الكوكب المعروف بالزهرة وعبدة الشمس والقمر جميعا بزوالها وانتقالها وطلوعها وأفولها وعلى حدوثها وإثبات محدث لها وفاطر إياها: ﴿**وَكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ والأَرْضِ ولِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ إلى قوله تعالى ﴿**وتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ**﴾[٣٠] وغير ذلك من الآيات التي فيها الأمر بالاحتجاج.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبيا»[٣١].

كما ورد العديد من الروايات في بيان فضل مجادلة أهل الباطل والدفاع عن الحق، فعن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال: قال الحسن بن علي عليه السلام: «فضل كافل يتيم آل محمد عليهم السلام المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»[٣٢].

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعوهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»[٣٣].

وقال موسى بن جعفر عليه السلام: «فقيه واحد ينقذ يتيما واحداً من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه ينقذهم من يد إبليس ومردته فلذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة»[٣٤].

وقال علي بن محمد عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه

(**٢٩**) سورة البقرة: ٢٥٨.

(**٣٠**) سورة الأنعام: ٧٥-٨٣.

(**٣١**) الاحتجاج: ج١ ص١٥ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

(**٣٢**) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٨ ب١١ ح٢١٤٦١.

(**٣٣**) الاحتجاج: ج١ ص١٧ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

(**٣٤**) غوالي اللآلي: ج١ ص١٨-١٩ ف٢ ح٦.

والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عزوجل»[٣٥].

وقال أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «من قوى مسكينا في دينه ضعيفا في معرفته على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله تعالى يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي، وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»[٣٦].

وقال أبو محمد عليه السلام قالت فاطمة عليها السلام وقد اختصم إليها امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا، فقالت فاطمة عليها السلام: إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها عنك أشد من حزنها، وإن الله عزوجل قال للملائكة: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنّة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معاندا مثل ألف ألف ما كان له معدا من الجنان»[٣٧].

وقال أبو محمد العسكري عليه السلام لبعض تلامذته لما اجتمع قوم من الموالي والمحبين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله بحضرته، وقالوا: يا ابن رسول الله، إن لنا جارا من النصاب يؤذينا ويحتج علينا في تفضيل الأول والثاني والثالث على أمير المؤمنين عليه السلام ويورد علينا حججا لا ندري كيف الجواب عنها والخروج منها، قال: «مر بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون فتسمع عليهم فيستدعون منك الكلام فتكلم وأفحم صاحبهم واكسر غرته وفل حده ولا تبق له باقية».

فذهب الرجل وحضر الموضع، وحضروا وكلم الرجل فأفحمه وصيره لايدري في السماء

(**٣٥**) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٤٤-٣٤٥ في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن الإمام عليه السلام.

(**٣٦**) الاحتجاج: ج١ ص١٨ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

(**٣٧**) الاحتجاج: ج١ ص١٨ في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن.

هو أو في الأرض.

قالوا: فوقع علينا من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وعلى الرجل والمتعصبين له من الحزن والغم مثل ما لحقنا من السرور، فلما رجعنا إلى الإمام عليه السلام قال لنا: «إن الذي في السماوات من الفرح والطرب بكسر هذا العدو لله كان أكثر مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضرة إبليس وعتاة مردته من الشياطين من الحزن والغم أشد مما كان بحضرتهم ولقد صلى على هذا الكاسر له ملائكة السماء والحجب والكرسي وقابلها الله بالإجابة فأكرم إيابه وعظم ثوابه ولقد لعنت تلك الملائكة عدو الله المكسور وقابلها الله بالإجابة فشدد حسابه وأطال عذابه»[٣٨].

الأصل هو المساواة

مسألة: ربما يفهم من كلامها عليها السلام أن الأصل الأولي هو المساواة في الحقوق والأحكام بين كافة أفراد المكلفين، ومن المصاديق الرجال والنساء، لذلك احتيج إلى الدليل على التفاوت والتبعيض والتفرقة.

وهذا المستفاد هو مقتضى القاعدة، فإن الأصل ـ كما ذكرناه في الفقه ـ هو المساواة بين الرجال والنساء في جميع الأحكام إلا ما خرج بالدليل، وليس أصل المقام مما خرج بالدليل، فكما يرث الرجل ترث المرأة أيضاً وان اختلف المقدار، والتنظير بلحاظ أصل الإرث لا الخصوصية كما هو واضح.

قال سبحانه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٣٩].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ**

(**٣٨**) راجع بحار الأنوار: ج٢ ص١١ ب٨ ح٢٣.

(**٣٩**) سورة التوبة: ٧١.

كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[٤٠].

وقال عزوجل: ﴿**وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا**﴾[٤١].

وقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[٤٢].

بين الحاكم والرعية

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام أيضاً: أن المساواة هي الأصل المحكم بين من بيده السلطة ومن لا سلطة له، وأن الحاكم يجب أن يخضع لكتاب الله، فقد قال عزوجل في القرآن الحكيم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[٤٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الناس كأسنان المشط سواء»[٤٤].

وقال صلى الله عليه وآله: «المؤمنون كأسنان المشط يتساوون في الحقوق بينهم، ويتفاضلون بأعمالهم»[٤٥].

قولها عليها السلام: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا ارث أبي»، أي: كيف يمكن التفرقة بين المسلمين حتى أن بعضهم يرث أباه وبعضهم لا يرثه.

ومؤدى كلامها عليها السلام أنه هل يوجد في كتاب الله كبرى كلية تقتضي ـ عند تطبيقها على المصداق ـ أن ترث أنت أباك، ومخصص لتلك الكبرى[٤٦] أو كبرى أخرى[٤٧] تقتضي عدم إرثي من أبي؟

---

(٤٠) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٤١) سورة التوبة: ٧٢.

(٤٢) سورة الأحزاب: ٥٨.

(٤٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٩ باب النوادر ح٥٧٩٨.

(٤٥) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٢٧ ب١٠ ضمن ح٩٥٦٨.

(٤٦) وهي ما أشارت إليه عليها السلام فيما بعد بـ (أفخصكم الله بآيه أخرج منها أبي).

(٤٧) وهي ما أشارت إليه عليها السلام فيما بعد بـ (أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان).

الافتراء على الله

مسألة: قولها عليها السلام: «لقد جئت شيئاً فرياً»، شهادة منها عليها السلام بارتكاب ابن أبي قحافة كبيرة من أكبر الكبائر وهي الافتراء على الله تعالى.

وشهادتها (صلوات الله عليها) حجة بلا شك، وذلك من جهات عديدة، منها: أنها عليها السلام من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا[٤٨]، فإن اتهام الآخرين بما لم يفعلوه رجس ومناف للتطهير، وفي الحديث الشريف: «من شهد شهادة زور على أحد من الناس علق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار»[٤٩]، فشهادتها عليها السلام صادقة بدليل الكتاب الحكيم.

كما أن تعبيرها عليها السلام بـ (لقد جئت) و(فرياً) دليل على أنه كان عالماً عامداً بمعصيته، إذ ظاهر إطلاق (الفرية) هو ذلك، كما أن ظاهر (جئت) باعتباره فعلاً مسنداً للفاعل هو القصد والاختيار.

شهادة المعصوم

مسألة: من المحرم عدم الاعتناء بشهادة المعصوم عليه السلام أو عدم قبولها، ولو رجع ذلك إلى إنكار الرسالة كان كفراً.

ومن البديهي أن الرسول صلى الله عليه وآله إذا اعتبر شهادة (خزيمة بن ثابت) بمنزلة شهادتين وسماه ذا الشهادتين في قصة مشهورة[٥٠]، فإن شهادة بضعته صلى الله عليه وآله التي قال عنها: (إنَّ الله تعالى يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)[٥١]، وهي عليها السلام من آية التطهير[٥٢]، أقوى وأتم وأحرى

(٤٨) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤٩) انظر من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص١٥ باب ذكر جمل من مناهي النبي، ضمن ح٤٩٦٨.

(٥٠) يأتي ذكرها في نهاية هذا البحث.

(٥١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٤٦-٤٧ ب٣١ ح١٧٦.

(٥٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

بالقبول، فإن الإعراب عن شهادتها اغضاب لها ولله عزوجل بنص الحديث، ولا يعقل أن يغضب الله تعالى لباطل، بالإضافة إلى أنه تكذيب لقوله عزوجل في آية التطهير كما لا يخفى.

وفي الكافي عن معاوية بن وهب قال: كان البلاط حيث يصلى على الجنائز سوقا على عهد رسول الله ﷺ يسمى البطحاء يباع فيها الحليب والسمن والأقط وإن أعرابيا أتى بفرس له فأوثقه فاشتراه منه رسول الله ﷺ ثم دخل ليأتيه بالثمن، فقام ناس من المنافقين فقالوا: بكم بعت فرسك؟

قال: بكذا وكذا.

قالوا: بئس ما بعت، فرسك خير من ذلك.

وإن رسول الله ﷺ خرج إليه بالثمن وافيا طيبا، فقال الأعرابي: ما بعتك والله.

فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، بلى والله لقد بعتني.

وارتفعت الأصوات فقال الناس: رسول الله يقاول الأعرابي، فاجتمع ناس كثير فقال أبو عبد الله عليه السلام: ومع النبي ﷺ أصحابه إذ أقبل خزيمة بن ثابت الأنصاري، ففرج الناس بيده حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقال: أشهد يا رسول الله لقد اشتريته منه.

فقال الأعرابي: أتشهد ولم تحضرنا؟

وقال له النبي ﷺ: أشهدتنا؟

فقال له: لا يا رسول الله ولكني علمت أنك قد اشتريت، أفأصدقك بما جئت به من عند الله ولا أصدقك على هذا الأعرابي الخبيث. قال فعجب له رسول الله ﷺ وقال: يا خزيمة شهادتك شهادة رجلين»[٥٣].

حرمة الافتراء والكذب مطلقا[٥٤]

مسألة: يحرم الافتراء على الله والقرآن، بل مطلق الكذب، فقد قال سبحانه: ﴿**إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون**﴾[٥٥].

(**٥٣**) الكافي: ج٧ ص٤٠٠-٤٠١ باب النوادر ح١.

(**٥٤**) أي على الله عزوجل أو على القرآن أو على غيرهما.

(**٥٥**) سورة النحل: ١٠٥.

وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ**﴾[٥٦].

وقال سبحانه: ﴿**انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً**﴾[٥٧].

وقال عزوجل: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[٥٨].

وإذا اجتمع لفظ الافتراء والكذب كان معنى الافتراء: القطع، كما يقطع اللحم، فكأنه يقطع عرى الإيمان أو يقطع حبل المودة أو ﴿**يقطعون ما أمر الله به أن يوصل**﴾[٥٩] أو بلحاظ الاقتطاع من شخصية المفترى عليه، فكما أن السكين تقطع لحمه مادياً كذلك الفرية سكين تقطع شخصيته المعنوية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «هلك من ادعى وخاب من افترى»[٦٠].

وفي زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «ولعن الله من افترى عليك»[٦١].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا النعمان لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية، ولا تطلبن أن تكون رأسا فتكون ذنبا، ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر، فإنك موقوف لا محالة ومسئول فإن صدقت صدقناك وإن كذبت كذبناك»[٦٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»[٦٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الكذاب يهلك بالبينات ويهلك أتباعه بالشبهات»[٦٤].

وفي الحديث: «ذكر الحائك لأبي عبد الله عليه السلام أنه ملعون، فقال: إنما ذلك الذي يحوك

---

(٥٦) سورة آل عمران: ٩٤.

(٥٧) سورة النساء: ٥٠.

(٥٨) سورة الأنعام: ٢١.

(٥٩) سورة البقرة: ٢٧، وسورة الرعد: ٢٥.

(٦٠) الكافي: ج٨ ص٦٧-٦٨ خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، ضمن ح٢٣.

(٦١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٨٩ زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام ضمن ح٣١٩٧.

(٦٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٤٧-٢٤٨ ب١٣٩ ح١٦٢١٩.

(٦٣) الكافي: ج٢ ص٣٣٩ باب الكذب ح٤.

(٦٤) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٢٤٨ ب١١٤ ح١٠.

الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ»[٦٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولا سوأة أسوأ من الكذب»[٦٦].

وقال ﷺ: «إياكم و الكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور و الفجور يهدي إلى النار»[٦٧].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٦٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ من الكبائر»[٦٩].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «سئل رسول الله ﷺ يكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم، قيل: ويكون بخيلا، قال: نعم، قيل: ويكون كذابا، قال: لا»[٧٠].

وقال النبي ﷺ: «أربى الربا الكذب»[٧١].

وقال رجل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟

قال ﷺ: «قد يكون ذلك».

قال: المؤمن يسرق؟

قال ﷺ: «قد يكون ذلك».

قال: يا رسول الله المؤمن يكذب؟

قال: «لا، قال الله تعالى:

﴿إِنَّما يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ﴾[٧٢]»[٧٣].

---

(٦٥) الكافي: ج٢ ص٣٤٠ باب الكذب ح١٠.

(٦٦) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨٨ ب١٢٠ ح١٠٢٩٧.

(٦٧) جامع الأخبار: ص١٤٨ الفصل الحادي عشر والمائة في الصدق والكذب.

(٦٨) الخصال: ج١ ص٢٥٤ باب الأربعة ح١٢٩.

(٦٩) الكافي: ج٢ ص٣٣٩ باب الكذب ح٥.

(٧٠) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٤٥-٢٤٦ ب١٣٨ ح١٦٢١٤.

(٧١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٧ باب النوادر ح٥٧٨٠.

(٧٢) سورة النحل: ١٠٥.

(٧٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨٦ ب١٢٠ ح١٠٢٨٩.

مما يجب إعلام الناس به

مسألة: يستحب أو يجب إعلام الناس بأن الذي سُمي بالخليفة! قد خالف كتاب الله وجاء بشيء فري (افتراء وكذب)، كما صرحت (سلام الله عليها) بذلك، فإنه قد يستحب بيان ذلك وقد يجب، كل في محله، حسب القوانين العامة الأولية.

قولها عليها السلام: (لقد جئت شيئاً فرياً)، أي: أمراً عظيماً منكراً، ولعله اقتباس من قوله سبحانه حيث حكى قصة قوم عيسى عليه السلام لمريم عليها السلام: ﴿**لقد جئت شيئاً فرياً**﴾(٧٤).

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم

التعمد في الأمر

مسألة: إن ترك القوم لكتاب الله ونبذه وراء ظهورهم كان عن عمد وعلم وينبغي بيان ذلك، فإن عِدل الاستفهام في قولها عليها السلام: (أفعلى عمد تركتم) محذوف(٧٥)، لأن المقصود هو أنهم فعلوا ذلك عمداً، فحذف العدل لإفادة أن هذا العدل المذكور هو الواقع وهو المراد والمقصود دون غيره.

ومن البلاغة حذف العِدل، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أمن هو قانت آناء الليل**﴾(٧٦)، وما أشبه مما ذكروه في باب الاستفهام(٧٧).

والنبذ وراء الظهر: كناية عن عدم العمل.

وقد وردت روايات في ذم من نسي سورة فكيف بمن ترك العمل بالقرآن.

عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا ومن تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولا يسلط الله عليه بكل آية منها حية تكون

---

(٧٤) سورة مريم: ٢٧.

(٧٥) أي أعلى عمد تركتم أم عن سهو وجهل؟

(٧٦) سورة الزمر: ٩.

(٧٧) راجع كتاب (البلاغة) للإمام المؤلف (قدس سره).

قرينه إلى النار إلا أن يغفر له»[٧٨].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى وهو أجذم»[٧٩].

وعن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إني كنت قرأت القرآن ففلت مني فادع الله عزوجل أن يعلمنيه، قال: فكأنه فزع لذلك فقال: «علمك الله هو وإيانا جميعا» قال: ونحن نحو من عشرة ثم قال: «السورة تكون مع الرجل قد قرأها ثم تركها فتأتيه يوم القيامة في أحسن صورة وتسلم عليه، فيقول: من أنت فتقول أنا سورة كذا وكذا فلو أنك تمسكت بي وأخذت بي لأنزلتك هذه الدرجة فعليكم بالقرآن»[٨٠].

وفي رواية أخرى عن يعقوب الأحمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عليّ دينا كثيرا وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلّت مني، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «القرآن القرآن إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة يعني في الجنة فتقول: لو حفظتني لبلغت بك هاهنا»[٨١].

وعن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الرجل إذا كان يعلم السورة ثم نسيها أو تركها ودخل الجنة أشرفت عليه من فوق في أحسن صورة فتقول: تعرفني، فيقول: لا، فتقول: أنا سورة كذا وكذا لم تعمل بي وتركتني أما والله لو عملت بي لبلغت بك هذه الدرجة وأشارت بيدها إلى فوقها»[٨٢].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام «من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة فإذا رآها قال: ما أنت ما أحسنك ليتك لي، فتقول: أما تعرفني، أنا سورة كذا وكذا لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان»[٨٣].

الساكت على الظلم

---

(٧٨) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٩٦ ب١٢ ح٧٧١٥.

(٧٩) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٦٣ ب١١ ح٤٦٥٣.

(٨٠) الكافي: ج٢ ص٦٠٧ باب من حفظ القرآن ثمَّ نسيه، ضمن ح١.

(٨١) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٩٤ ب١٢ ح٧٧١٠.

(٨٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٨ باب من حفظ القرآن ثمَّ نسيه ح٤.

(٨٣) المحاسن: ج١ ص٩٦ ب٢٢ ح٥٧.

مسألة: يستفاد من كلامها ﷺ أن الساكت في المقام تارك لكتاب الله أيضاً، فالذي يسكت عن جور الجائر وظلمه وتخطيه أوامر القرآن ونواهيه، هو من مصاديق التارك للعمل بالكتاب، بل من مصاديق الضارب به عرض الحائط والنابذ له وراء ظهره، وذلك بدليل توجيهها الخطاب للجميع: (أفعلى عمد تركتم) رغم أن الغاصب المباشر كان الخليفة ومن مثله، والأكثر ربما لم يشاركوا بقول أو فعل، بل بمجرد السكوت وعدم الردع.

بل خطابها ﷺ قد يشمل حتى من شارك في النهي عن هذا المنكر قولاً أو عملاً لكنه ليس بالقدر الواجب، إذ النهي القولي والعملي على درجات . شدة وضعفاً . وله زيادة ونقصان كماً.

قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾(٨٤).

وقال سبحانه: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾(٨٥).

وقال عزوجل: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَهَا**﴾(٨٦).

وقال أبو عبد الله ﷺ في حديث: «وليفعل الخير ما استطاع»(٨٧).

وفي عهد أمير المؤمنين ﷺ إلى محمد بن أبي بكر: «أمره بتقوى الله... وبالإنصاف للمظلوم وبالشدة على الظالم»(٨٨).

---

(٨٤) سورة الأنفال: ٦٠.

(٨٥) سورة التغابن: ١٦.

(٨٦) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٨٧) راجع الكافي: ج٣ ص٤١٧ باب التَّزيُّن يوم الجمعة، ضمن ح١.

(٨٨) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٥٤٠ ب٣٠ ح٧٢٠.

إذ يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[٨٩]، وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فهب لي من لدنك ولياً ۞ يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[٩٠] وقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[٩١]، وقال: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[٩٢] وقال: ﴿إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾[٩٣].

تراكم الأدلة

مسألة: من مصاديق الحكمة: استخدام أسلوب (تراكم الأدلة) والالتجاء إلى عدد منها بل إلى التكثير منها، كما صنعت (سلام الله عليها)، ولذلك ولغيره فإن من المستحب ذكر عدة أدلة والاستناد إلى آيات مختلفة لإثبات الحق كما ذكرت عليها السلام خمساً من الآيات في هذا المقطع من الخطبة الشريفة.

وذلك لسد ذريعة المبطل.

إذ من الممكن أن يناقش البعض في بعض الأدلة، فإذا كانت هنالك أدلة كثيرة فإنه لا يمكن عادة المناقشة في جميعها، إضافة إلى أن غير المعاند أيضاً قد لايقنعه دليل واحد قناعة تامة فيعضده الدليل الآخر.

ثم إن تعدد الأدلة نافع من الناحية الكيفية أيضاً بلحاظ كون الإيمان والعلم على المراتب والدرجات كما لا يخفى.

وقد يكون ذلك واجباً إذا توقف بيان الحق الواجب عليه[٩٤].

عند نقل الآيات الشريفة

مسألة: يجوز عند نقل مقاطع من آيات القرآن الحكيم، إسناد القول إلى الله تعالى

---

(٨٩) سورة النمل: ١٦.

(٩٠) سورة مريم: ٥ ـ ٦.

(٩١) سورة الأنفال: ٧٥، وسورة الأحزاب: ٦.

(٩٢) سورة النساء: ١١.

(٩٣) سورة البقرة: ١٨٠.

(٩٤) انظر نماذج من ذلك في كتاب (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي رحمه الله.

وإسناده إلى القائل ـ فيما كان قولاً لقائل ـ إلا إذا كان موهماً[٩٥] أو إهانة عرفاً أو ما أشبه.

والأرجح أن يسند القول لقائله بعد إسناده لله تعالى كما فعلت (صلوات الله عليها)، فإنه وإن كان من الصحيح أن تقول: «وقال» بدون إضافة «فيما اقتص من خبر يحيى»، إلا أن كون الآيات نقلاً، يجعل الأفضل ذكر أنه قول لقائل، لا أنه كلام ابتدائي من الله كما في مثل ﴿**وورث سليمان داود**﴾[٩٦] وما أشبه، وهذا نوع من البلاغة الرفيعة حيث إنها تقتضي أنواعاً من التفنن في الكلام مضافا إلى دقة المعنى.

فلسفة الإرث

مسألة: تدل هذه الآيات الكريمة على مجموعة من الأحكام في الأحوال الشخصية وغيرها، ومنها أن الأنبياء عليهم السلام يورّثون، وهي تكشف عن جوانب تاريخية أيضاً.

كما أن استدلالها بالآيات الكريمة يتضمن الإشارة إلى فلسفة تشريع الإرث، وإرثها هي عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ﴿**أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[٩٧]، فكما أن هنالك أولوية تكوينية بينهم، كذلك كان التشريع، ولذلك قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾[٩٨].

وقال سبحانه: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[٩٩].

وقال تعالى: ﴿**وبالوالدين إحسانا**﴾[١٠٠].

و...

فكان الكتاب التشريعي مطابقاً مع الكتاب التكويني، فهو إذن ينبع عن مصلحة واقعية نفس أمرية[١٠١] فلم يكن إرثها عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة أو استثناء، بل هو مقتضى

(**٩٥**) فلا يصح مثلاً أن يقول: (قال الله تعالى ﴿هؤلاء بناتي﴾ !).

(**٩٦**) سورة النمل: ١٦.

(**٩٧**) سورة الأنفال: ٧٥.

(**٩٨**) سورة التحريم: ٦.

(**٩٩**) سورة الشعراء: ٢١٤.

(**١٠٠**) سورة النساء: ٣٦.

(**١٠١**) وستأتي إضافة توضيحية من الإمام المؤلف (قدس سره) لفلسفة الإرث بعد قليل.

التشريع ومقتضى التكوين وهو مقتضى الوصية الإلهية: ﴿**يوصيكم الله**﴾[١٠٢].

فمطالبتها بالإرث إذن ليست مطالبة مادية فحسب، بل هي امتثال لوصية الله جل وعلا، وهي متطابقة مع سنة الأنبياء عليهم السلام ومع دعواهم ربهم، إذ يقول يحيى عليه السلام: ﴿**فهب لي من لدنك ولياً ۞ يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾[١٠٣].

والظاهر أن المراد بقوله: ﴿**وآل يعقوب**﴾ يعقوب وآله، كما هو متعارف في التعبير، مثل قوله تعالى: ﴿**وأغرقنا آل فرعون**﴾[١٠٤] وقوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ**﴾[١٠٥] حيث المراد فرعون وآله، وكقوله تعالى: ﴿**إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران**﴾[١٠٦] حيث يراد إبراهيم وآله، وعمران وآله عليهم السلام إلى غير ذلك، نعم إذا كانت هنالك قرينة أو اجتمعا معاً يكون الآل غير ذي الآل مثل قولنا: (اللهم صل على محمد وآل محمد) وما أشبه ذلك.

قولها عليها السلام: «إذ يقول: ﴿**وورث سليمان داود**﴾[١٠٧]»، فإن ظاهر الإرث هو المادي لا المعنوي، فلا يصح القول بأن المراد: أن سليمان عليه السلام ورث داود عليه السلام النبوة من دون قرينة، فإن الإرث المعنوي مجاز يحتاج للقرينة، ثم إنه غير تام في المقام إذ كان سليمان عليه السلام نبياً زمن داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿**ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً**﴾[١٠٨].

وحيث كان من المحتمل أن يستشكل البعض بذلك بالنسبة إلى هذه الآية المباركة جاءت (عليها الصلاة والسلام) بآيات أخر تأكيداً لدفع الشبهة، وإن كانت تلك الآية بمفردها كافية إذ الشبهة واهية إلى أقصى درجة.

قولها عليها السلام: «وقال ـ فيما اقتص من خبر زكريا ـ إذ قال: ﴿**فهب لي من لدنك ولياً ۞**

---

(١٠٢) سورة النساء: ١١.

(١٠٣) سورة مريم: ٥. ٦.

(١٠٤) سورة البقرة: ٥٠.

(١٠٥) سورة القمر: ٤١.

(١٠٦) سورة آل عمران: ٣٣.

(١٠٧) سورة النمل: ١٦.

(١٠٨) سورة الأنبياء: ٧٩.

يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[١٠٩] فإن المراد إرث الأموال دون النبوة، لأن النبوة لا تورث، مضافاً إلى أن الاستعمال الحقيقي للإرث هو في المال وما عداه مجاز وهو بحاجة إلى الدليل، هذا بالإضافة إلى استشهادها عليها السلام بالآية المباركة في خصوص إرث الأموال وهي الصديقة المعصومة وكلامها حجة.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لم يكن لزكريا يومئذ ولد يقوم مقامه ويرثه وكانت هدايا بني إسرائيل ونذورهم للأحبار وكان زكريا رئيساً للأحبار وكانت امرأة زكريا أخت مريم بنت عمران بن ماثان، وبنو ماثان إذا ذاك رؤساء بني إسرائيل وبنو ملوكهم وهم من ولد سليمان بن داود فقال زكريا: ﴿**فهب لي من لدنك ولياً ۞ يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾[١١٠]»[١١١].

شبهة وإجابة

لا يقال: أية فضيلة لأن يطلب الإنسان من الله سبحانه وتعالى وارثاً في الماديات، فاللازم أن يراد بهذه الآية المعنويات؟

لأنه يقال:

أولاً: إن المقام من السالبة بانتفاء الموضوع.

وثانياً: الفضيلة هي امتداد ذرية الإنسان فلا يكون أبتر، والتناسل هو مما تدعو إليه الفطرة والعقل والشرع، وبه حفظ النوع وقوامه، إضافة إلى أن (الإرث) من أهم عوامل دوام وتماسك وتفاعل (الأسرة)، و(الأسرة) هي اللبنة الأساسية الأولى في تكوين المجتمعات الإنسانية، وبتحطمها أو ضعفها تتحطم أو تضعف المجتمعات وتتفكك الأسر، وهو من أهم أمراض الغرب كما تنبه إلى ذلك علماؤهم[١١٢].

وعلى هذا فالإرث أيضاً فضيلة فإنه نابع عن مصلحة واقعية، وهو بعض جزاء الإنسان وهو نتيجة سعيه كما أوضحنا ذلك في (الفقه: الاقتصاد)[١١٣] عند البحث عن الآية الشريفة

---

(١٠٩) سورة مريم: ٥. ٦.

(١١٠) سورة مريم: ٥. ٦.

(١١١) تفسير القمي: ج٢ ص٤٨ سورة مريم.

(١١٢) راجع كتاب (الغرب يتغير) و(الفقه: العولمة) للإمام المؤلف Σ.

(١١٣) راجع موسوعة الفقه: ج١٠٧ وج١٠٨ كتاب الاقتصاد.

﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**﴾[١١٤] بعقديها السلبي والإيجابي، وهو أيضاً من عوامل تداوم وتكامل العائلة، ولعل لذلك كان طلب زكريا عليه السلام . وهو نبي في أقصى درجة من الحكمة والعلم . ﴿**فهب لي من لدنك ولياً ۞ يرثني ويرث من آل يعقوب**﴾[١١٥].

قولها عليها السلام: «وقال: ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[١١٦]» فإنها عليها السلام لما استدلت بالآيتين السابقتين في خصوص الأنبياء عليهم السلام، أخذت تستدل بالآيات العامة حيث تشملها (عليها الصلاة والسلام) أيضاً بعمومها.

والاستدلال بآيتي سليمان عليه السلام وزكريا عليه السلام أفاد أيضاً الرد على ما زعموه من الحديث المجعول: (نحن نعاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة) فهو معارض للقرآن بصراحة.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»[١١٧].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «قرأت في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيُكذب عليّ كما كذب على من كان قبلي، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي، وأما ما خالف كتاب الله فليس من حديثي»[١١٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه»[١١٩].

قولها عليها السلام: «وقال: ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾[١٢٠]»، هذا في الأولاد وإلاّ فإن الأنثى قد ترث أكثر من الذكر، وقد ترث مساوياً للذكر، وقد ترث أقل من الذكر، والحكم في الآية عن الأولاد حيث قال سبحانه: ﴿**في أولادكم**﴾[١٢١] ومعهم

(**١١٤**) سورة النجم: ٣٩.

(**١١٥**) سورة مريم: ٥. ٦.

(**١١٦**) سورة الأنفال: ٧٥.

(**١١٧**) الكافي: ج١ ص٦٩ باب الأخذ بالسنّة وشواهد الكتاب ح١.

(**١١٨**) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٢٧ ب٢٩ ح٥.

(**١١٩**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١١٨ ب٩ ح٣٣٣٦٢.

(**١٢٠**) سورة النساء: ١١.

(**١٢١**) سورة النساء: ١١.

ترث الأنثى نصف ما يرثه الذكر.

ولا بأس بالإشارة هنا إلى عموم القاعدة في الرجل والمرأة، فان الأحكام والتكاليف الإسلامية عامة للجميع، وبالتساوي .كما سبق . إلا في موارد الاستثناء، مثل: كون إرثها نصف الإرث في الجملة، وديتها نصف الدية كذلك، وشهادتها نصف الشهادة في بعض الموارد، وإلا فقد ذكرنا في «الفقه»: إن إرثها أحياناً أكثر من إرث الرجل، وديتها أكثر من دية الرجل، كما في قتل الرجل الذمي على المشهور في ديته، وشهادتها أكثر من شهادة الرجل كما في الوصية حيث إن الشاهدة الواحدة توجب ربع الوصية، وليس كذلك الرجل، على المشهور.

قولها عليها السلام: «وقال: ﴿**إن ترك خيراً**﴾ الآية [١٢٢]»، المراد بالخير: (المال) كما في التفاسير وغيرها [١٢٣]، فإنه خير ومن هنا وردت روايات تدل على استحباب الغنى وكراهة الفقر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم العون على تقوى الله الغنى»[١٢٤].

وقال عليه السلام: «نعم المال الصالح للعبد الصالح ونعم العون الدنيا على الآخرة»[١٢٥].

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «مات عقبة بن عامر الجهني وترك خيراً كثيراً من أموال ومواش وعبيد..»[١٢٦].

وفي الحديث: عن شعيب العقرقوفي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام شيء يروى عن أبي ذر رحمه الله أنه كان يقول: ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبها، أحب الموت وأحب الفقر وأحب البلاء، فقال عليه السلام: «إن هذا ليس على ما يرون إنما عنى الموت في طاعة الله أحب إليّ من الحياة في معصية الله، والفقر في طاعة الله أحب إليّ من الغنى في معصية الله، والبلاء في طاعة الله أحب إليَّ من الصحة في معصية الله»[١٢٧] ومن هذا الحديث يعرف وجه الجمع بين روايات مدح الفقر وذمه.

(**١٢٢**) سورة البقرة: ١٨٠.

(**١٢٣**) انظر بحار الأنوار: ج٦٩ ص٣٢ ب٩٤.

(**١٢٤**) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٥٦ باب المعايش والمكاسب ح٣٥٧٠.

(**١٢٥**) بحار الأنوار:ج٧٠ ص٦٢ ب١٢٢ ح٣٠.

(**١٢٦**) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٣١٩ ب٣ ح٣٠.

(**١٢٧**) معاني الأخبار: ص١٦٥ باب معنى قول أبي ذر (رحمة الله عليه)... ح١.

أما حديث «أكثر أهل الجنة الفقراء» فقالوا هذا إخبار عن الواقع كما يقال أكثر أهل الدين الفقراء.

قال عليه السلام: «الفقر هو الموت الأكبر»[١٢٨].

وفي وصية لقمان لابنه: «... ذقت المرارات كلها فلم أذق شيئاً أمر من الفقر»[١٢٩].

وقال صلى الله عليه وآله: «ما أقبح الفقر بعد الغنى»[١٣٠].

وقال صلى الله عليه وآله: «كاد الفقر أن يكون كفراً»[١٣١].

وفي الدعاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «وأعوذ بك من الفقر والوقر»[١٣٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «القبر خير من الفقر»[١٣٣].

قوله تعالى: ﴿**حقاً على المتقين**﴾[١٣٤] أي: حق على المؤمنين الذين يخافون الله ويعملون بأوامره أن يوصوا بتنفيذ أوامر الله سبحانه في الإرث بالنسبة إلى الوالدين والأقربين، كما قال تعالى في المطلقات: ﴿**وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين**﴾[١٣٥].

و﴿**الأقربين**﴾ وإن كان شاملاً للوالدين أيضاً، إلا أن ذكرهم من باب الأهمية في الآية المباركة ذكراً للعام بعد الخاص.

ولا يخفى أنه يستفاد من هذا المقطع من كلامها عليها السلام واستدلالاتها أحكام

عديدة قد أشرنا إلى بعضها:

الأول: حرمة اتباع أحكام الجاهلية، قال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ**

(**١٢٨**) الاختصاص: ص٢٢٦ حديث في زيارة المؤمن لله.

(**١٢٩**) الأمالي للصدوق: ص٦٦٨-٦٦٩ المجلس الخامس والتسعون ضمن ح٥.

(**١٣٠**) الكافي: ج٢ ص٨٤ باب العبادة ضمن ح٦.

(**١٣١**) الكافي: ج٢ ص٣٠٧ باب الحسد ضمن ح٤.

(**١٣٢**) مكارم الأخلاق: ص٢٨٠ ب١٠ ف٢ دعاء في كل صباح ومساء.

(**١٣٣**) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٢٠ ب٦ ح١٤٦١٧.

(**١٣٤**) سورة البقرة: ١٨٠.

(**١٣٥**) سورة البقرة: ٢٤١.

مِنْ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١٣٦].

الثاني: حرمة التفرقة بين مسلم ومسلم ممن يجعلهم الله سبحانه وتعالى تحت حكم عام، قال عليه السلام: «الناس إلى آدم شرع سواء»[١٣٧].

الثالث: حرمة عدم العمل بأحكام القرآن حيث قالت عليها السلام: (أفعلى عمد...) الخ، قال سبحانه: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾[١٣٨].

الرابع: وجوب العمل بموازين الإرث كما قرره الله سبحانه وتعالى.

إلى غيرها من الأحكام.

وزعمتم: أن لا حظوة[١٣٩] لي، ولا أرث من أبي[١٤٠].

المطالبة بالإرث

مسائل: يجوز للمرأة المطالبة بإرثها، ويجوز لها ﴿**الجهر بالسوء من القول**﴾[١٤١] على من غصبها أرثها، لقوله تعالى:﴿**إلا من ظلم**﴾[١٤٢].

ويجوز لها تشكيل تجمع وقوى ضغط لاستحصال إرثها.

ويجوز لها كل ذلك دفاعاً عن غيرها ممن حرمن من الميراث.

والجواز هنا بالمعنى الأعم، إذ قد يجب ذلك إذا توقف حق واجب عليه، أو إذا كانت المعارضة مع محاولة إلغاء الحكم الإلهي بحقها في الإرث.

والوجوب في مورده، ليس خاصاً بالنساء، بل الرجال أيضاً كذلك، فإنه قسم من المطالبة

(**١٣٦**) سورة المائدة: ٥٠.

(**١٣٧**) أمالي الشيخ الصدوق: ص٢٤٠ المجلس ٤٢ ضمن ح٩، وتحف العقول: ص٢١٧ باب ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(**١٣٨**) سورة المائدة: ٤٧.

(**١٣٩**) وفي بعض النسخ: (لا حظوة لي) أي المكانة والمنزلة، يقال حظيت المرأة عند زوجها: إذا دنت من قلبه، وفي بعض النسخ: (لاحظ لي).

(**١٤٠**) وفي بعض النسخ: أبيه، والهاء للسكت.

(**١٤١**) سورة النساء: ١٤٨.

(**١٤٢**) سورة النساء: ١٤٨.

بالحق الواجب، إرثاً أو غير إرث، امرأة أو رجلاً.

وفي الحديث: سئل عليه السلام عن رجل قبض صداق بنته من زوجها ثم مات، هل لها أن تطالب زوجها بصداقها، أو قبض أبيها قبضها؟

فقال عليه السلام: «إن كانت وكلته بقبض صداقها من زوجها فليس لها أن تطالبه، وإن لم تكن وكلته فلها ذلك، ويرجع الزوج على ورثة أبيها بذلك، إلا أن تكون صبية في حجره فيجوز لأبيها أن يقبض عنها»(١٤٣).

حرمة القول بالباطل

مسألة: يحرم القول بعدم الحظوة لها (صلوات الله عليها).

كما يحرم مطلق القول بالباطل، والمقام من مصاديق ذلك وإن كانت الحرمة أشد فيه، قال عليه السلام: «فأما الحكم بالباطل فهو كفر»(١٤٤).

وقال عليه السلام: «لا خير في الصمت عن الحكمة، كما أنه لا خير في القول بالباطل»(١٤٥).

ولعل ذكرها (الحظوة) حتى تشمل (النحلة) أيضاً كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

ثم إن الحق والصواب هو في مدرسة أهل البيت عليهم السلام والباطل في غيرهم.

عن بدر بن الوليد الخثعمي قال: دخل يحيى بن سابور على أبي عبد الله عليه السلام ليودعه فقال له أبو عبد الله عليه السلام : «أما والله أنّكم لعلى الحق، وإن من خالفكم لعلى غير الحق، والله ما أشك لكم في الجنة، وإني لأرجو أن يقر الله لأعينكم عن قريب»(١٤٦).

وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أما إنه ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب إلا شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضي بحق وعدل إلا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسننه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطئوا والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام إذا أصابوا»(١٤٧).

---

(١٤٣) فقه القرآن: ج١ ص٣٩٠ باب الوكالة.

(١٤٤) دعائم الإسلام: ج٢ ص٥٣٢ كتاب آداب القضاة ضمن ح١٨٩١.

(١٤٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٦٠ ف٦ متفرقات ح٦٤٣.

(١٤٦) الكافي: ج٨ ص١٤٥ حديث محاسبة النفس ح١١٩.

(١٤٧) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٨٣ ب٧ ح٢١٣٥٤.

حرمة القول بعدم إرثها عليها السلام

مسألة: يحرم القول بعدم إرثها (صلوات الله عليها) من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه خلاف الكتاب والسنة والإجماع والعقل، نعم لا إجماع من العامة على ذلك، وإنما الإجماع من الشيعة، وهو كاف من جهة الكاشفية عن رأي المعصوم عليه السلام، ولمطابقته الكتاب والسنة والعقل، ولاحتفافه بالقرائن القطعية.

كما أن الأدلة الأربعة تدل على حرمة إبقاء فدك في أيدي غير المستحقين لها، وعلى ذلك فيلزم السعي لاستنقاذه منهم، إحقاقاً للحق وإرجاعاً له إلى أهله، وهو واجب كفائي، نعم ترك أمير المؤمنين عليه السلام فدك لما ولي الناس لأمر أهم، مضافاً إلى كونه عليه السلام صاحب الحق وله ذلك، ففي الحديث عن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: لأي علة ترك علي بن أبي طالب عليه السلام فدك لما ولي الناس؟

فقال عليه السلام: «للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة» حيث لم يسترجع داره، وقال صلى الله عليه وآله: «إنا أهل بيت لا نسترجع شيئاً يؤخذ منا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فدك لما ولي»[١٤٨].

وفي حديث آخر: عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين لمَ لم يسترجع فدكاً لما ولي الناس؟ فقال: «لأنا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو[١٤٩] ونحن أولياء المؤمنين إنما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا»[١٥٠].

وفي شرح النهج: «قلت لمتكلم من متكلمي الإمامية.. وهل كانت فدك إلاّ نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألا يتقوى علي عليه السلام بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي عليهما السلام وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس فإن الفقير الذي لا مال له تضعف همته»[١٥١].

(**١٤٨**) راجع علل الشرائع: ج١ ص١٥٥ ب١٢٤ ضمن ح٢.

(**١٤٩**) أي الله عزوجل، وفي بعض النسخ: لا يأخذ حقوقنا...

(**١٥٠**) علل الشرائع: ج١ ص١٥٥ ب١٢٤ ح٣.

(**١٥١**) شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص٢٣٦-٢٣٧.

منع النساء من الإرث

مسألة: يحرم منع البنت من الإرث بل منع كل أنثى من حقها فيه، بل من حقها مطلقاً، وكذلك منع كل أحد من إرثه ومن حقه مطلقاً قال عليه السلام: «لئلا يتوى حق امرئ مسلم»[١٥٢].

وقال عليه السلام: «لا يصلح ذهاب حق امرئ مسلم»[١٥٣].

وقال عليه السلام: «لا يبطل حق امرئ مسلم»[١٥٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اليمين الغموس التي توجب النار: الرجل يحلف على حق امرئ مسلم على حبس ماله»[١٥٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من حبس حق امرئ مسلم وهو يقدر على أن يعطيه إياه، مخافة من أنه إن خرج ذلك الحق من يده أن يفتقر كان الله عزوجل أقدر على أن يفقره منه على أن يغني نفسه بحبسه ذلك الحق»[١٥٦].

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر، وفي وجهه كدوح يعرفه الخلائق باسمه ونسبه، ومن شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد بصر، يعرفه الخلائق باسمه ونسبه» الحديث[١٥٧].

والمنع عن الإرث حكماً وموضوعاً، غير جائز شرعاً، فلا يجوز القول بذلك ولا العمل به، ولا يحق للدولة ـ ولا لأية جهة ـ أن تسن قانوناً تمنع بموجبه إرث الأرحام من بعضهم، كلاً أو جزءً، كمصادرة بعض الإرث باسم الضرائب، كما لا يحق لها سن قانون يلغي قاعدة

---

(١٥٢) راجع غوالي اللآلي: ج١ ص٣١٥ ب١ المسلك الأول ضمن ح٣٦.

(١٥٣) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٢٥٣ ب٩١ ضمن ح٥٩.

(١٥٤) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٨٩ ب٣٥ ضمن ح٣٥٢٢٣.

(١٥٥) الكافي: ج٧ ص٤٣٦ باب اليمين الكاذبة ح٨.

(١٥٦) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٨٤ باب الدين والقرض ح٣٦٩١.

(١٥٧) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٤٨٢ المجلس ٧٣ ح٤.

حيازة المباحات أو يمنع وقف من يشاء لما يشاء من ممتلكاته وهكذا.

ثم إن الزيادة والنقيصة في الإرث محرم كذلك، قولاً وعملاً، وقد ذكرنا في (الفقه) أن الإرث حكم وليس حقاً، فلا يحق للمورّث أن يمنع إرثه عن الوارث، كما لا يحق للوارث أن لا يقبل الإرث حكماً، وإن جاز له أن يتركه بالإعراض موضوعاً، فان للإنسان أن يعرض عن ماله.

وقد ذكرنا في (الفقه)[١٥٨] أيضاً أن الإعراض مسقط للحق، كما أن حيازة المباحات بإثبات اليد عليها مثبت له.

قولها عليها السلام: «وزعمتم أن لا حظوة لي». الحظوة عبارة عن: المكانة والمنزلة والحظ، وكأنها (عليها الصلاة والسلام) أرادت بذلك نفي قولهم: إن فدك ليس نحلة لها، أي: أنتم من تزعمون أن فدك ليست نحلة لي استناداً إلى عدم (حظوة) لي عنده صلى الله عليه وآله.

قولها عليها السلام: (ولا أرث من أبي)، أي زعمتم أني لا أرث من أبي صلى الله عليه وآله فدكا؟

ففي هاتين الجملتين ردت (عليها الصلاة والسلام) كلا الدعويين حتى إذا لم يقبلوا الدعوى الأولى منهما وهي: النحلة بدعوى من الشهود وشبهها، فلا مناص من قبولهم الدعوى الثانية: بأنها إرث، إذ كانت فدك ملكاً خاصاً للرسول صلى الله عليه وآله دون شك فهو . إن لم يهبها في حياته للزهراء عليها السلام حسب زعمهم . فلابد أن تكون إرثاً لها بعد وفاته، فالقضية مانعة الخلو على الاصطلاح المنطقي.

وقد كان من الشوائب ومن مطباتها: أنهم هكذا نسبوا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قال: (نحن معاشر الأنبياء) ولو كان اختراعهم للحديث بهذه الصورة (أنا لا أورث) لكان يتسوغ ردهم بالآيات العامة فقط دون الآيات الخاصة بالأنبياء، اللهم إلا بضميمة قرينة، فزادوا على أنفسهم المشكلة وفتحوا المجال لورود كلا الإشكالين هنا.

المراحل السبعة

ومجمل الكلام: أن الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) احتجت عليهم في قصة فدك بسبع مراحل أو أكثر:

١: مرحلة: النحلة.

(**١٥٨**) راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قاعدة (الإعراض والانعراض).

٢: مرحلة: دعواهم أنه لا إرث للأنبياء عليهم السلام.

٣: مرحلة: عمومات الإرث الشاملة لها عليها السلام.

٤: مرحلة: الاعتراض باستبطان كلامهم ـ بأحد وجوهه ـ أنه لا رحم بينها وبين أبيها.

٥: مرحلة: دعواهم أن أباها (صلوات الله عليه) خارج عن عمومات الإرث في القرآن الحكيم.

٦: مرحلة: ما يعرف بالدلالة الالتزامية لكلامهم بكونهم أعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله[١٥٩] يعني: أن أباها صلى الله عليه وآله لم يقل باستثناء نفسه الشريفة عن العمومات، لكنهم كانوا أعلم! ولهذا أخرجوا الرسول صلى الله عليه وآله عن عمومات القرآن.

٧: مرحلة: استبطان كلامهم ـ بوجه آخر ـ: أنها عليها السلام ووالدها صلى الله عليه وآله من أهل ملتين لا يرث بعضهما من بعض.

وكل ذلك مخالف للكتاب والتاريخ والقواعد الفقهية والعقل والإجماع، وقد ردت بحجج عقلية ومنطقية وقرآنية.

(**١٥٩**) الفرق بين هذا وسابقه: أن هذا إشارة لمرحلة الإثبات وذاك لمرحلة الثبوت، أو أن ذاك هو الملزوم وهذا اللازم.

نفي الرحم وإثباتها

مسألة: يحرم الاعتقاد بعدم الرحم بين الرسول ﷺ وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يحرم نفي الرحم عن الرحم مطلقاً، ومن مصاديقه نفي رحمية السبط كما قال شاعرهم:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

كما أنه يحرم أيضاً إثبات الرحم لمن ليس له، وقد ورد اللعن لمن دخل في النسب أو خرج عن النسب.

وفي حديث الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه...» الخبر(١٦٠).

وقال ﷺ: «لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، لعن الله من تولى غير مواليه، الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر»(١٦١).

وقال ﷺ: «ألا من دعى إلى غير أبيه فقد برئ الله منه»(١٦٢).

وقال ﷺ: «لعن الله من انتمى إلى غير أبيه»(١٦٣).

ثم إن الحرمة ثابتة وإن لم يترتب أثر على الإثبات والنفي.

ولا يخفى أنهم لم ينفوا انتساب الزهراء عليها السلام إلى أبيها ﷺ وما كان بمقدورهم ذلك، وإنما ذكرت الزهراء (صلوات الله عليها) لإتمام صور الاحتمالات النافية للإرث، ومن المعلوم أن هذا من أساليب الحوار والبلاغة، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾(١٦٤) بل ورد حتى ما هو مستحيل الوقوع ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله**

---

(١٦٠) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص٣٥١-٣٥٢ المجلس ٤٢ ضمن ح٣.

(١٦١) كشف الغمة: ج١ ص٣٩٥-٣٩٦ فصل في ذكر مناقب شتى وأحاديث متفرقة.

(١٦٢) راجع الصراط المستقيم: ج٢ ص٩٣ ف١٧ ضمن ح١٣.

(١٦٣) راجع العمدة: ص٣٠٦ الفصل ٣٦.

(١٦٤) سورة سبأ: ٢٤.

لفسدتا﴾[١٦٥]، إذ القضية الشرطية صادقة حتى مع استحالة المقدم.

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟

تخصيص الآيات دون مخصص

مسألة: يحرم تخصيص الآيات من دون مخصص، وكذلك تعميم الآيات في قبال التخصيص الموجود بدعوى القياس أو كشف الملاك الظني غير المعتبر، وهكذا بالنسبة إلى الإطلاق والتقييد، فكل من الأربعة محرمة عملاً وقولاً، القول في الحكم والعمل في الموضوع الخارجي.

وما أكثر القول في هذه الأزمنة، بمخصصات للكتاب دون مخصص قرآني أو روائي، أو بمعممات له، أو حتى بنواسخ للكتاب!، وذلك لمجرد استحسانات، أو تبعية لمد الحضارة الغربية، أو الأهواء النفسية، أو رغبات المستبدين من الحكام!.

وقد ورد عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال والحرام؟ فقال عليه السلام: «حلال محمد صلى الله عليه وآله حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»[١٦٦].

وهذا غير تبدل الحكم بتبدل موضوعه كما لا يخفى. وتفصيل البحث في العام والخاص، والمطلق والمقيد وما أشبه في (الأصول).

قولها عليها السلام: «أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟» أي هل وردت آية خاصة بكم، أخرج الله بها أبي صلى الله عليه وآله من عموم أدلة الإرث؟

وبعبارة أخرى: هل نزلت عليكم آية لا نعرفها في القرآن الكريم، بها قلتم بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله؟

أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟

(**١٦٥**) سورة الأنبياء: ٢٢.

(**١٦٦**) الكافي: ج١ ص٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس ح١٩.

أحكام أهل ملتين

مسألة: يختلف حكم أهل ملتين عن أهل الملة الواحدة في الجملة، في الإرث وفي بعض الأحكام الأخر[١٦٧]، ويختلف حكمهما مطلقاً في البعض الآخر.

فإن الكافر لا يرث من المسلم، أما المسلم فهو يرث من الكافر، كما لايستبعد القول بإرث اليهودي من المسيحي، والمجوسي منهما، وهما من المجوسي، وما أشبه ذلك، إلا إذا حكّم قانون الإلزام في مورده، على تفصيل مذكور في (الفقه)[١٦٨].

قولها عليها السلام: «أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان» المقصود في بعض الصغريات، لا الإطلاق، إذ ليس الكلام في مقام البيان من هذه الجهة كما هو واضح، فإن بعض أهل ملتين يتوارثان، فالمسلم يرث الكافر، دون العكس، كما هو مذكور في الفقه[١٦٩].

قال في (دعائم الإسلام): وعن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «المسلم يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم، والكفار يتوارثون بينهم ويرث بعضهم بعضا، فقيل له: فإن الناس يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يتوارث أهل ملتين»، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «نرثهم ولا يرثوننا» قال: فجواب أبي عبد الله عليه السلام هذا هو تثبيت لقوله وما رواه الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن قوله صلى الله عليه وآله «ولا يتوارث أهل ملتين» ليس بخلاف لما قاله أبو عبد الله عليه السلام «نرثهم ولا يرثوننا» لأن قول رسول الله صلى الله عليه وآله لا يتوارث أهل ملتين معناه لا يرث هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، وكذلك قال أبو عبد الله عليه السلام إنما يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم، ومعنى يتوارث وتقديره في اللغة يتفاعل، ويتفاعل لا يكون إلا من فاعلين، لا يقال ذلك إذا فعله واحد دون واحد، لأنه إذا ضرب رجل رجلاً قيل: ضرب فلان فلاناً ولا يقال تضاربا حتى يضرب كل واحد منهما صاحبه[١٧٠].

(**١٦٧**) كالقصاص والدية والنكاح.

(**١٦٨**) راجع موسوعة الفقه، كتاب القواعد الفقهية، قانون الإلزام.

(**١٦٩**) راجع موسوعة الفقه: ج٨٢ كتاب الإرث.

(**١٧٠**) دعائم الإسلام: ج٢ ص٣٨٥ – ٣٨٦ ف٧ ح١٣٦٩.

أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟

مما يحرم الاعتقاد به

مسألة: يحرم الاعتقاد بأن الزهراء (سلام الله عليها) ليست مع الرسول صلى الله عليه وآله من ملة واحدة.. أو أنها عليها السلام لا تحذو حذوه صلى الله عليه وآله في كلي أو جزئي، أو أنها عليها السلام تقول بخلاف قوله صلى الله عليه وآله في أمر اعتقادي أو حكم فرعي، ومنه المقام.

وقد ذكرنا في البحث الآنف أنهم لم يقولوا بذلك، وإنما أرادت الزهراء عليها السلام أن تحصرهم في أطراف (منع الخلو) حتى تثبت عليهم الحجة أكثر فأكثر.

إضافة إلى أن هذا الكلام يتضمن التهويل عليهم، وإيضاح أن إنكارهم إرثها عليها السلام منه صلى الله عليه وآله في قوة إنكار بديهي من أوضح البديهيات، وهو: كونها عليها السلام وإياه صلى الله عليه وآله من أهل ملة واحدة.

فلا مجال إذن لتلك الشبهة[١٧١].

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟

لا اجتهاد مقابل النص

مسائل: يحرم الاجتهاد في مقابل النص، كما يحرم الاجتهاد في مقابل الظاهر الذي قال المعصوم عليه السلام بأن المراد به كذا. فإن مآل ذلك إلى النص. والمقام من هذا القبيل[١٧٢].

كما يحرم الاجتهاد في قبال المبهم أو المجمل الذي أوضح المعصوم عليه السلام المراد به فإنهما بلحاظه مبيّن.

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ**

(**١٧١**) أي شبهة عدم الإرث.

(**١٧٢**) فإن عمومات الإرث مصداق الظاهر، لكنها عليها السلام صرحت بأن الآية باقية على عمومها فأضحت العمومات بذلك نصاً.

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾[١٧٣].

وقال سبحانه: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[١٧٤].

وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة قوله عليه السلام: «يختار الله الإمام وليس لهم أن يختاروا»[١٧٥].

وفي الحديث أن أنس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى قوله: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾ فقال: «إن الله عزوجل خلق آدم من طين كيف شاء، ثم قال: ﴿**وَيَخْتَارُ**﴾ إن الله تعالى اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبنا فجعلني الرسول وجعل علي بن أبي طالب عليه السلام الوصي، ثم قال: ﴿**مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾ يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني اختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه، ثم قال: ﴿**سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يعني الله منزه عما يشركون به كفار مكة، ثم قال: ﴿**وَرَبُّكَ يَعْلَمُ**﴾ يعني يا محمد ﴿**مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ**﴾ من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك ﴿**وما يعلنون**﴾ بألسنتهم من الحب لك ولأهل بيتك»[١٧٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «والله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا، وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله عزوجل، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا»[١٧٧].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كلُّ شيء لم يخرج من هذا البيت فهو باطل»[١٧٨].

(**١٧٣**) سورة الأحزاب: ٣٦.

(**١٧٤**) سورة القصص: ٦٨.

(**١٧٥**) تفسير القمي: ج٢ ص١٤٣ سورة القصص.

(**١٧٦**) الطرائف: ص٩٧ ما نزل من الآيات في شأن علي عليه السلام ح١٣٦.

(**١٧٧**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٢٧ ب١٠ ح٣٣٣٩١.

(**١٧٨**) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٢٨٢ ب٧ ح٢١٣٥٣.

الاجتهاد وموارده

مسألة: وفيما عدا ذلك فإن الظواهر مما يمكن اختلاف الاجتهاد فيها بشروطه، وذلك جائز، بل يجب أحياناً، كما في الاجتهادات الفقهية المختلفة، سواء كان الحكم مستفاداً من الكتاب، أم السنة، أم الإجماع، أم العقل، مما يجدها المتتبع في المباحث الفقهية.

قال عليه السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»[١٧٩].

وقال عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء، صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»[١٨٠].

وقال عليه السلام: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»[١٨١].

وقال عليه السلام في حديث طويل في رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث؛ قال: «ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله»[١٨٢].

معاني الأعلمية

مسألة: (للأعلمية) هنا عدة معان:

١: الأعلم بمعنى الأكثر علماً والأوسع معرفة.

٢: الأعلم بمعنى الأعمق علماً أو الأشد علماً، فإن العلم حقيقة تشكيكية ذات مراتب. والمعنى الأول بلحاظ الكم، وهذا بلحاظ الكيف.

٣: الأعلم بمعنى الأنفذ علماً، أي يستخدم الأعلم ويراد به العلم المنتج والنافذ والمثمر،

(**١٧٩**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٦٢ ب ح٣٣٢٠٢.

(**١٨٠**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٣١ ب١٠ ضمن ح٣٣٤٠١.

(**١٨١**) الاحتجاج: ج٢ ص٤٧٠ احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي عجل الله فرجه.

(**١٨٢**) الكافي: ج١ ص٦٧ باب اختلاف الحديث ضمن ح١٠.

أي العلم الذي يرتب عليه أثره، وقد قال بعض المفسرين بأن المراد من: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[١٨٣] هو هذا المعنى فعلمه نافذ، أي علم فجعل.

وقولها عليها السلام: «أم أنتم أعلم...» يشمل المعنى الأول والثاني، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام أعلم من سائر الناس كيفاً وكماً، أما الأنفذية فإنه وإن كان الأمر بحيث لو أرادا لنفذ إلا أنه لا تلازم بين علمهما ونفوذه، وذلك لأنه مقتضى دار الامتحان، قال تعالى: ﴿**إنما أنت مذكر ۞ لست عليهم بمصيطر**﴾[١٨٤]، وعلمهم عليهم السلام في قصة فدك وأنها ملكها عليها السلام من ذلك المقام.

الأعلم بالقرآن

مسألة: يجب الاعتقاد بأن الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت المعصومين عليهم السلام أعلم الناس بالقرآن، وذلك من الواضحات، وقد دلت عليه الروايات المتواترة عند الفريقين.

فعن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله جل شأنه: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾[١٨٥] قال: «ذاك وصي أخي سليمان بن داود».

فقلت له: يا رسول الله فقول الله عزوجل: ﴿**قل كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[١٨٦]؟

قال صلى الله عليه وآله: «ذاك أخي علي بن أبي طالب عليه السلام»[١٨٧].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنا أهل بيت عندنا معاقل العلم وآثار النبوة وعلم الكتاب وفصل ما بين الناس»[١٨٨].

(**١٨٣**) سورة الأنعام: ١٢٤.

(**١٨٤**) سورة الغاشية: ٢١ ـ ٢٢.

(**١٨٥**) سورة النمل: ٤٠.

(**١٨٦**) سورة الرعد: ٤٣.

(**١٨٧**) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٥٦٤-٥٦٥ المجلس ٨٣ ح٣.

(**١٨٨**) الاختصاص: ص٣٠٩ حديث في زيارة المؤمن لله.

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «نحن الذين عندنا علم الكتاب»[١٨٩].

وجاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «السلام عليك يا من عنده علم الكتاب»[١٩٠].

شمولية أعلميتهما عليهما السلام

مسألة: أعلميتهما عليهما السلام بخصوص القرآن وعمومه في كلامها عليها السلام تشمل: العلم بوجود العام ووجود الخاص في الكتاب، والعلم بوجود العام فيه والخاص في غيره، والعكس، والعلم بعدم أحدهما، والمقام من قبيل الرابع[١٩١].

وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «كان علي صاحب حلال وحرام وعلم بالقرآن ونحن على منهاجه»[١٩٢].

وقال عليه السلام: «إن الله فرض طاعتنا في كتابه.. ولنا كرائم القرآن.. إن الله أعلمنا علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد أعلمه ملائكته ورسله، فما علمته ملائكته ورسله فنحن نعلمه»[١٩٣].

وقال عليه السلام: «إن الله علّم نبيه صلى الله عليه وآله التنزيل والتأويل فعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام»[١٩٤].

أهل البيت عليهم السلام هم المرجع

مسألة: يجب تقديم قول أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن وسائر الأحكام على قول غيرهم، فإن القرآن نزل في بيوتهم، وهم الأعلم كما في صريح الروايات الواردة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وهم (أهل الذكر) الذين أمر (الذكر) بسؤالهم[١٩٥]، وقد قال عليه السلام: «نحن أهل

(**١٨٩**) المناقب: ج٤ ص٥٢ فصل في معجزاته عليه السلام.

(**١٩٠**) الإقبال: ص٦٠٩ فصل زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عند ضريحه الشريف.

(**١٩١**) فالعام . وهو إرث الأبناء من الآباء، أنبياء كانوا أم لا . موجود في الكتاب، ولا يوجد مخصص له، لا في الكتاب ولا في غيره.

(**١٩٢**) تفسير العياشي: ج١ ص١٥ علم الأئمة بالتأويل ح٥.

(**١٩٣**) تفسير العياشي: ج١ ص١٦ علم الأئمة بالتأويل ح٧.

(**١٩٤**) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣٣٤ ب١٣ ح٢١٥١٢.

(**١٩٥**) قال تعالى: ﴿**فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾. سورة النحل: ٤٣، وسورة الأنبياء: ٧.

الذكر»[١٩٦]، وهم (أولوا الأمر) الذين قال فيهم تعالى: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[١٩٧].

كما يجب تقديم قولهم عليهم السلام مطلقاً في كل المجالات لعصمتهم عليهم السلام.

فإن أقوال غيرهم . في تفسير القرآن . في مقابل أقوالهم عليهم السلام كالحجر في جنب الإنسان، وكالسراب في قبال عين الحياة، بل لا يجوز لغيرهم تفسير القرآن برأيهم.

قال أبو عبد الله عليه السلام لرجل من أهل الكوفة وسأله عن شيء: «لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دورنا ونزوله على جدي بالوحي والقرآن والعلم، فيستسقي الناس العلم من عندنا، فيهدونهم»[١٩٨].

وعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «قال الله جل جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني»[١٩٩].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر فإن أخطأ كان إثمه عليه»[٢٠٠].

وقال صلى الله عليه وآله: «من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله كذباً، ومن أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض، وكل بدعة ضلالة سبيلها إلى النار، قال عبد الرحمن بن سمرة: فقلت يا رسول الله أرشدني إلى النجاة، فقال صلى الله عليه وآله: يا ابن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء فعليك بعلي بن أبي طالب فإنه إمام أمتي وخليفتي عليهم من بعدي، وهو الفاروق الذي يميز به بين الحق والباطل، من سأله أجابه، ومن استرشده أرشده، ومن طلب الحق عنده وجده، ومن التمس الهدى لديه صادفه، ومن لجأ إليه آمنه، ومن استمسك به نجا، ومن اهتدى به هداه...، يا ابن سمرة إن علياً مني، روحه من روحي وطينته من طينتي، وهو أخي وأنا أخوه، وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإن منه

(**١٩٦**) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٥٣٢ المجلس ٧٩.

(**١٩٧**) سورة النساء: ٨٣.

(**١٩٨**) تفسير العياشي: ج١ ص١٦ علم الأئمة بالتأويل ح٩.

(**١٩٩**) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١١٦ ب١١ ح٤، والتوحيد: ص٦٨ ب٢ ح٢٣.

(**٢٠٠**) جامع الأخبار: ص٤٩ الفصل الثالث والعشرون في القراءة.

إماما أمتي وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٢٠١].

قولها عليها السلام: «أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي»؟.

إنما ذكرت أمير المؤمنين علياً عليه السلام بعد أبيها صلى الله عليه وآله لأن أعلمية الإمام عليه السلام كانت ثابتة حتى عندهم، حيث قال صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»[٢٠٢].

وقال: «أعلمكم علي»[٢٠٣].

وقال: «علي مع الحق والحق مع علي»[٢٠٤].

إلى عشرات من أمثال هذه التصريحات من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

بالإضافة إلى قول أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف ألف باب»[٢٠٥]، كما في بعض الأحاديث.

وإن كان المشهور: «كل باب منها يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب»[٢٠٦].

ولا تعارض إذ العدد لا مفهوم له، وإثبات الشيء لا ينفي ما عداه، إضافة إلى وضوح أن ذلك على سبيل المثال فلا يراد بالعدد الحصر بل الكثرة، وليس (الألف ألف) بحاصر، ولا مبالغة فيه، فإن ذلك هو مقتضى الأدلة العقلية والنقلية، منها قوله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم

(**٢٠١**) التحصين لابن طاووس: ص٦٢٥-٦٢٦ ب٢٢.

(**٢٠٢**) الفضائل: ص١٣٨ في ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله، والفصول المختارة: ص١٣٥، والاحتجاج: ج٢ ص٣٩١ احتجاج أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، ونهج الحق: ص٢٣٦ من فضائله النفسانية، الأول الإيمان.

(**٢٠٣**) الصراط المستقيم: ج١ ص٢٣٠، الفصل العشرون.

(**٢٠٤**) الخصال: ج٢ ص٥٥٩ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بمثل هذه الخصال على الناس يوم الشورى.

(**٢٠٥**) وفي كشف الغمة: ج١ ص٤١٢ قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لحارث الهمداني: «ألا إني عبد الله وأخو رسوله وصديقه الأول، صدقته وآدم عليه السلام بين الروح والجسد، ثم إني صديقه الأول في أمتكم حقاً فنحن الأولون ونحن الآخرون، ألا وأنا خاصته يا حار، وخالصته وصنوه ووصيه ووليه وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب وفصل الخطاب وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح، يفتح من كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد..» الحديث، ومثله في تأويل الآيات الظاهرة: ص٦٢٦ سورة الواقعة، وإرشاد القلوب: ج٢ ص٢٩٧ في فضائله من طريق أهل البيت عليهم السلام، وبشارة المصطفى: ص٤ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى.

(**٢٠٦**) راجع الخصال: ج٢ ص٦٤٣ علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يفتح كل باب ألف باب ضمن ح٢٢.

وعلي بابها»[٢٠٧] بلحاظ الإطلاق المعضود بالأدلة القطعية.

والعلوم لا تعد ولا تحصى والواضح أن ﴿**فوق كل ذي علم عليم**﴾[٢٠٨] حتى بالنسبة إلى النبي ﷺ نفسه، كما يحكيه القرآن: ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾[٢٠٩]، على سبيل اللامتناهي اللايقفي.

فدونكها مخطومة مرحولة

تهديد الظالم

مسألة: تهديد الظالم وإنذاره واجب في الجملة، للآيات والروايات والعقل، وهذا ما صنعته الصديقة الطاهرة عليها السلام في مواطن شتى من الخطبة الشريفة، ومنها هذا المقطع: «فدونكها..» وهو تهديد، أي خذها، مثل قول تعالى: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[٢١٠].

قال سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ**﴾[٢١١].

وقال تعالى: ﴿**وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**﴾[٢١٢].

وقال سبحانه: ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾[٢١٣].

وقال تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ**

(**٢٠٧**) راجع الأمالي للشيخ الصدوق: ص٣٤٥ المجلس ٥٥، والتوحيد: ص٣٠٧ ب٤٣، والصراط المستقيم: ج١ ص١٤٤ ب٦ ف٨.

(**٢٠٨**) سورة يوسف: ٧٦.

(**٢٠٩**) سورة طه: ١١٤.

(**٢١٠**) سورة فصلت: ٤٠.

(**٢١١**) سورة الجاثية: ٢٧.

(**٢١٢**) سورة الزخرف: ٣٩.

(**٢١٣**) سورة هود: ٣٩.

رِجْزاً مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾[٢١٤].

وقال سبحانه: ﴿**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ**﴾[٢١٥].

وقال تعالى: ﴿**وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[٢١٦].

وقال عزوجل: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً**﴾[٢١٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[٢١٨].

وقال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢١٩].

وقال تعالى: ﴿**وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾[٢٢٠].

وروى الشيخ الصدوق Σ في كتاب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) في باب عقاب من ظلم: عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾[٢٢١] قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»[٢٢٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من ارتكب أحداً بظلم بعث الله عزوجل عليه من يظلمه بمثله أو على ولده أو على عقبه من بعده»[٢٢٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عذر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، فإن دعا

(**٢١٤**) سورة الأعراف: ١٦٢.

(**٢١٥**) سورة البقرة: ١٦٥.

(**٢١٦**) سورة الأعراف: ١٦٥.

(**٢١٧**) سورة الكهف: ٥٩.

(**٢١٨**) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(**٢١٩**) سورة إبراهيم: ٤٢.

(**٢٢٠**) سورة الكهف: ٢٩.

(**٢٢١**) سورة الفجر: ١٤.

(**٢٢٢**) ثواب الأعمال: ص٢٧٢ عقاب من ظلم.

(**٢٢٣**) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣١٣ ب٧٩ ح٢٣.

لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»[٢٢٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن في جهنم لجبلاً يقال له الصعداء، وإن في الصعداء لوادياً يقال له سقر، وإن في سقر لجبّاً يقال له هبهب، كلما كشف غطاء ذلك الجب، ضج أهل النار من حره، ذلك منازل الجبارين»[٢٢٥].

قولها عليها السلام: «فدونكها مخطومة مرحولة» الضمير يعود لفدك، لأن فدك تستعمل مؤنثاً ومذكراً كأسامي البلدان مطلقاً، مثلاً: العراق وإيران ومصر والباكستان، فانها قد تؤنث وقد تذكر، كما أن طهران وبغداد وكراچي وما أشبه قد تؤنث وقد تذكر.

ومخطومة: من الخطام ـ بالكسر ـ وهو الحبل الذي يوضع في أنف البعير ليقاد به، حيث إنه يسهل قياد البعير بسبب ذلك الحبل الذي في أنفه.

والرحل في الناقة: كالسرج للفرس، ورحل البعير.. كمنع، بمعنى: شد على ظهره الرحل، فقد شبهت (عليها الصلاة والسلام) فدك في كونها تحت تصرف غاصبي الخلافة بحيث لا يعارضهم في أخذها أحد، بالناقة المنقادة المهيأة للركوب.

فقولها عليها السلام: «دونكها مخطومة مرحولة» تشير إلى إخبار غيبي بالذي سيحدث، وأن غصب فدك سوف لا يواجه بمقاومة ومعارضة قوية، بل إنه سيسيطر عليها كما يسيطر الراكب على الجمل المخطومة المرحولة، وهذا الإخبار المستقبلي قد تحقق كما لا يخفى.

تلقاك يوم حشرك

جزاء هذه المظلمة

مسألة: هل يستفاد من (تلقاك يوم حشرك...) أن جزاء هذه المظلمة لايكون ـ بكامله ـ في الدنيا، عند الظهور، وبعد إحيائهما؟

وجهان:

من أن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، والكلام ليس في مقام البيان من هذه الجهة.

ومن ظهور الكلام وعدم الدليل على جزاء كل عمل في الدنيا، بل الدليل على العدم،

(**٢٢٤**) الكافي: ج٢ ص٣٣٤ باب الظلم ح١٨.

(**٢٢٥**) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٨١ ب٥٩ ح٢٠٨٠٦.

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾[٢٢٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يؤتى يوم القيامة بإبليس مع مضل هذه الأمة في زمامين غلظمها مثل جبل أحد فيسحبان على وجوههما فينسد بهما باب من أبواب النار»[٢٢٧].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ**﴾[٢٢٨] قال: من زعم أنه إمام وليس بإمام»[٢٢٩].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»[٢٣٠].

وعن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا يونس من حبس حق المؤمن، أقامه الله عزوجل يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتى يسيل عرقه أو دمه، وينادي مناد من عند الله هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه فيوبّخ أربعين يوماً ثم يؤمر به إلى النار»[٢٣١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن في جهنم رحى تطحن خمسا أفلا تسألون ما طحنها؟ فقيل له: فما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة، وإن في النار لمدينة يقال لها الحصينة، أفلا تسألوني ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين»[٢٣٢].

تجسم الأعمال

مسألة: يستفاد من قولها عليها السلام: (تلقاك) تجسم الأعمال، إذ المجاز خلاف الأصل، ومع الإمكان الثبوتي والظهور الإثباتي لا مجال للعدول عن الظاهر، والأدلة على تجسم الأعمال

(**٢٢٦**) سورة النجم: ٤١.

(**٢٢٧**) ثواب الأعمال: ص٢٠٨ عقاب الناصب والجاحد لأمير المؤمنين عليه السلام.

(**٢٢٨**) سورة الزمر: ٦٠.

(**٢٢٩**) عقاب الإعمال: ص٢١٤ عقاب من ادعى الإمامة وليس بإمام.

(**٢٣٠**) الكافي: ج١ ص٣٧٢ باب من أدعى الإمامة وليس لها بأهل ح٢.

(**٢٣١**) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٨٨ ب٣٩ ح٢١٨٣٧.

(**٢٣٢**) الخصال: ج١ ص٢٩٦ في جهنم رحى تطحن خمسة ح٦٥.

كثيرة، ومنها:

قوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[٢٣٣] فما تجده هو نفس ﴿**مَا عَمِلَتْ**﴾ وهذا غير آثاره أو جزائه وتفصيل الكلام في محله.

قال تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢٣٤].

وقال سبحانه: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿**ومَا تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢٣٦].

وقال سبحانه: ﴿**هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢٣٧].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٢٣٨].

قولها عليها السلام: «تلقاك يوم حشرك» بمعنى أن فدك تلقى غاصبها يوم الحشر بمظلمتها، فإن كل إنسان سرق من أحد شيئاً أو نهب أو ظلم أحداً يأتي يوم القيامة مع تلك الظلامة، كما في الأحاديث[٢٣٩].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من خان جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقى الله يوم القيامة مطوقا إلا أن يتوب ويرجع»[٢٤٠].

وإنما خصت يوم الحشر بالذكر مع أن الآثار تكون في القبر أيضاً، لأن يوم الحشر هو يوم ﴿**الْجَزَاءَ الأَوْفَى**﴾[٢٤١] مضافاً إلى اجتماع كل الخلائق وكل الناس ومعرفتهم المحق من

(**٢٣٣**) سورة آل عمران: ٣٠.

(**٢٣٤**) سورة يس: ٥٤.

(**٢٣٥**) سورة الجاثية: ٢٨.

(**٢٣٦**) سور الصافات: ٣٩.

(**٢٣٧**) سورة النمل: ٩٠.

(**٢٣٨**) سورة العنكبوت: ٥٥.

(**٢٣٩**) راجع كتاب (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال).

(**٢٤٠**) وسائل الشيعة: ج٢٥ ص٣٨٦ ب١ ح٣٢١٨٨.

(**٢٤١**) سورة النجم: ٤١.

المبطل، بينما في القبر لا يستكشف لجميع الناس عمل الإنسان عادة، وقد ذكرنا في بعض المواطن: أن الإنسان يرى عمل نفسه ـ أثراً وثمراً أو جزاءً ـ في أربعة مواضع أو أكثر، كلياً أو جزئياً: في دنياه وتاريخياً، في نفسه وسمعته وامتداده[٢٤٢]، وفي قبره، وفي حشره، وفي المرحلة الأخيرة من الجنة أو النار «إن خيراً فخير أو شراً فشر»[٢٤٣].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن..» الحديث[٢٤٤].

حكم نهي المعاند

مسألة: يستحب ـ وقد يجب ـ تنبيه الخصم والظالم بيوم الحشر والقيامة والعذاب الأليم وإن كان عالماً بكل ذلك، لكن هل يستحب إن كان معانداً لا يرجى ارتداعه؟

ذكروا أن من شرائط الأمر المعروف والنهي عن المنكر احتمال التأثير، لكن هل هذا شرط الوجوب أو شرط مطلق الرجحان؟ قد يستظهر الأول لكن لزوم اللغوية قد يقتضي الثاني، فتأمل.

ولعل ما هو من قبيل ﴿**مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ**﴾[٢٤٥] وما قام به الأنبياء عليهم السلام وسيد الشهداء عليه السلام وغيرها يقتضي الرجحان، ويؤيد هذا ما سيأتي منها (صلوات الله عليها) حيث تقول: «ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس... وتقدمة الحجة».

وما سبق من (وقد يجب) فيما إذا توقف واجب عليه، سواء كان واجباً إيجابياً كما في موارد الأمر بالمعروف، أم واجباً سلبياً كما في موارد النهي عن المنكر، وهذا ليس خاصاً بتنبيه الخصم والظالم، بل يعم كل موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما لا يخفى.

قولها عليها السلام: «تلقاك يوم حشرك» قد يكون إشارة إلى الحشر الخاص مضافاً إلى الحشر

(**٢٤٢**) الظاهر أن المراد بـ (الامتداد): الذرية وشبهها.

(**٢٤٣**) تفسير القمي: ج١ ص٢٢٤ سورة الأعراف، وتأويل الآيات: ص١٣٥ سورة النساء.

(**٢٤٤**) ثواب الأعمال: ص٢٢٠ عقاب البغي وقطيعة الرحم، والخصال: ج١ ص١٢٤ ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن ح١١٩.

(**٢٤٥**) سورة الأعراف: ١٦٤، وتمام الآية: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾.

العام، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾(٢٤٦).

وقال سبحانه: ﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً**﴾(٢٤٧).

وقال عزوجل: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾(٢٤٨).

فنعم الحكم الله

الله الحاكم

مسألة: (الحَكَم) بقول مطلق هو الله عزوجل، لأنه العالم المطلق، والقادر المطلق، والعادل المطلق، وهو الذي يعلم بكل خصوصيات وشرائط وظروف المتخاصمين، وبكل خصوصيات الدعوى وتشابكاتها، وبالحكم الدقيق لكل صورة من الصور، وهو الذي يقدر على الفصل والبت في الخصومة، وعلى إرجاع الأمر إلى نصابه، وذلك هو مقتضى عدله، ولذلك كله كان عزوجل (نعم الحَكَم) كما قالت عليها السلام، ولأن الله سبحانه وتعالى لا تضيع عنده مظلمة لأحد ولو بمقدار مثقال ذرة، كما قال سبحانه: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾(٢٤٩).

وقال تعالى: ﴿**اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾(٢٥٠).

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾(٢٥١).

وقال تعالى: ﴿**ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾(٢٥٢).

وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾(٢٥٣).

---

(٢٤٦) سورة فصلت: ١٩.

(٢٤٧) سورة طه: ١٠٢.

(٢٤٨) سورة النمل: ٨٣.

(٢٤٩) سورة الزلزلة: ٧ . ٨.

(٢٥٠) سورة الحج: ٦٩.

(٢٥١) سورة الزمر: ٣.

(٢٥٢) سورة الممتحنة: ١٠.

(٢٥٣) سورة النحل: ١٢٤.

وقال تعالى: ﴿**فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[٢٥٤].

وفي الحديث: «قال إعرابي: يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال ﷺ: الله عزوجل»[٢٥٥].

وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم في حالة واحدة؟ فقال: «كما يرزقهم على كثرتهم في حالة واحدة»[٢٥٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم»[٢٥٧].

وقال عليه السلام: «اتقوا معاصي الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم»[٢٥٨].

التنبيه بحَكَمية الله وزعامة النبي ﷺ

مسألة: يستحب تنبيه الخصم والظالم بأن الله هو الحَكَم والزعيم هو محمدﷺ، وقد يجب ذلك، كما ذكرناه في البحث الآنف.

عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «من كنت وليه فعلي وليه، ومن كنت إمامه فعلي إمامه، ومن كنت أميره فعلي أميره، ومن كنت نذيره فعلي نذيره، ومن كنت هاديه فعلي هاديه، ومن كنت وسيلته إلى الله تعالى فعلي وسيلته إلى الله عزوجل، فالله سبحانه يحكم بينه وبين عدوه»[٢٥٩].

وقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: «تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول: يا أحكم الحاكمين، أحكم بيني وبين قاتل ولدي، قال علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله ﷺ: ويحكم لابنتي فاطمة ورب الكعبة»[٢٦٠].

(**٢٥٤**) سورة الأعراف: ٨٧.

(**٢٥٥**) راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٩.

(**٢٥٦**) متشابه القرآن: ج٢ ص١١٠.

(**٢٥٧**) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٣٩ ب١٩ ح٢٠٣٧٨.

(**٢٥٨**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٥ ح٣٥١٨ ذم معصية الله.

(**٢٥٩**) معاني الأخبار: ص٦٦ باب معنى قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه.

(**٢٦٠**) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٨-٩ ب٣٠ ح٢١.

ومعنى أن الله هو الحَكَم أي أنه يحكم بين عباده بالعدل كما هو ضروري، ومقتضى الفطرة السليمة، وقد دل على ذلك القرآن الكريم إذ قال عزوجل: ﴿**ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾(٢٦١).

وقال تعالى: ﴿**وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾(٢٦٢).

وقال سبحانه: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ**﴾(٢٦٣).

والسنة المطهرة، والإجماع من كافة المسلمين، والعقل.

التوكل على الله

مسألة: يستحب إيكال الأمر إلى الله والاعتماد عليه قلباً وقولاً وقالباً، كما قالت عليها السلام: ﴿**فنعم الحَكَم الله**﴾ حيث قد أوكلت أمرها إليه سبحانه وتعالى.

ومن معاني توكيل الأمر إلى الله سبحانه وتعالى: أن الإنسان يعمل ما بوسعه ويكل ما لا يقدر عليه بنفسه إلى الله عزوجل، مثلاً: الزارع عليه أن ينجز كل ما يتمكن من عمله من الحرث والزرع وتعهد الزرع بالسقاية والرعاية والمحافظة، أما ما هو خارج عن قدرته من الإنبات ونمو الزرع والبركة، ومن الطوارئ كبرد شديد مفاجئ أو حر كذلك أو آفة غير مترقبة أو جراد مهاجم من حيث لا يحتسب وشبه ذلك، فإن عليه أن يكله إلى الله تعالى.

وهذا بين واجب ومستحب، كل في مورده، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله: «اعقل وتوكل»(٢٦٤).

أما توكيل الأمر كله إلى الله بأن لا يأتي الإنسان بالأسباب الظاهرية، أو عكسه بأن يعتقد أن كل الأعمال من الإنسان نفسه وليس شيء مرتبطاً بالله سبحانه وتعالى كما قالت اليهود ﴿**يد الله مغلولة**﴾(٢٦٥)، فكلاهما خارج عن موازين العقل والشرع، والسيدة الزهراء عليها السلام أوكلت الأمر إلى الله مع قيامها بالدفاع والذب وإتمام الحجة وما أشبه.

(**٢٦١**) سورة البقرة: ٢٨١، سورة آل عمران: ١٦١.

(**٢٦٢**) سورة النحل: ١١١.

(**٢٦٣**) سورة آل عمران: ٣٠.

(**٢٦٤**) غوالي اللآلي: ج١ ص٧٥ الفصل الرابع ح١٤٩، وفي الأمالي للشيخ المفيد: ص١٧٢-١٧٣ المجلس٢٢ ح١: «اعقل راحلتك وتوكل».

(**٢٦٥**) سورة المائدة: ٦٤.

قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): «الإيمان له أركان أربعة: التوكل على الله وتفويض الأمر إلى الله والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله عزوجل»[٢٦٦].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس شيء إلا وله حد».

قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟

قال: «اليقين».

قلت: فما حد اليقين؟

قال: «ألا تخاف مع الله شيئا»[٢٦٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطناه»[٢٦٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أعطي ثلاثا لم يمنع ثلاثا، من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية» ثم قال: «أتلوت كتاب الله عزوجل ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾[٢٦٩] وقال: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾[٢٧٠] وقال: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾[٢٧١]،»[٢٧٢].

وقال لقمان لابنه: «يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله عزوجل فإن نجوت فبرحمة الله وإن هلكت فبذنوبك»[٢٧٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «خصلة من عمل بها كان من أقوى الناس» قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: «التوكل على الله عزوجل»[٢٧٤].

(**٢٦٦**) الكافي: ج٢ ص٤٧ باب خصال المؤمن ح٢.

(**٢٦٧**) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٠٢ ب٧ ح٢٠٢٧٩.

(**٢٦٨**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢١٦ ب١١ ح١٢٧٨٢.

(**٢٦٩**) سورة الطلاق: ٣.

(**٢٧٠**) سورة إبراهيم: ٧.

(**٢٧١**) سورة غافر: ٦٠.

(**٢٧٢**) الكافي: ج٢ ص٦٥ باب التفويض إلى الله والتوكل عليه ح٦.

(**٢٧٣**) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٨٢ باب الزاد في السفر ح٢٤٥٧.

(**٢٧٤**) معدن الجواهر: ص٢٢ باب ما جاء في واحد.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «التوكل من قوة اليقين»[٢٧٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقوى الناس إيمانا أكثرهم توكلا على الله سبحانه»[٢٧٦].

وقال عليه السلام: «في التوكل حقيقة الإيقان»[٢٧٧].

وقال عليه السلام: «من وثق بالله توكل عليه»[٢٧٨].

وقال عليه السلام: «التوكل خير عماد»[٢٧٩].

وقال عليه السلام: «التوكل حصن الحكمة»[٢٨٠].

وقال عليه السلام: «التوكل أفضل عمل»[٢٨١].

وقال عليه السلام: «صلاح العبادة التوكل»[٢٨٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ينبغي لمن رضي بقضاء الله سبحانه أن يتوكل عليه»[٢٨٣].

وقال عليه السلام: «التوكل كفاية»[٢٨٤].

وقال عليه السلام: «كل متوكل مكفي»[٢٨٥].

وقال عليه السلام: «من توكل على الله عزوجل كفي»[٢٨٦].

وقال عليه السلام: «أصل قوة القلب التوكل على الله»[٢٨٧].

---

(٢٧٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح٣٨٤٨.

(٢٧٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح٣٨٥٠.

(٢٧٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح٣٨٥٣.

(٢٧٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح٣٨٥٤.

(٢٧٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ منشأ التوكل وحقيقته ح٣٨٥٥.

(٢٨٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح٣٨٥٦.

(٢٨١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح٣٨٥٧.

(٢٨٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح٣٨٥٨

(٢٨٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ أهمية التوكل وفضيلته ح٣٨٦٠.

(٢٨٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ من توكل كفي ح٣٨٦٦.

(٢٨٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ من توكل كفي ح٣٨٦٩.

(٢٨٦) بشارة المصطفى: ص٩٦ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى.

وقال عليه السلام: «من توكل على الله تسهلت له الصعاب»[٢٨٨].

وقال عليه السلام: «من توكل على الله أضاءت له الشبهات وكفي المؤنات وأمن التبعات»[٢٨٩].

وقال عليه السلام: «من توكل على الله ذلت له الصعاب وتسهلت عليه الأسباب وتبوأ الخفض والكرامة»[٢٩٠].

بين الحق وتوحيد الكلمة

مسألة: لا يصح منع المحق من الجهر بالحق، أو منع المظلوم من طرح ظلامته بدعوى (الوحدة وتوحيد الكلمة) أو (الانفتاح) أو ما أشبه، إذ ﴿**الحق أحق أن يتبع**﴾[٢٩١] وللعقل والنقل المتواتر، ومنه أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل وغير ذلك، وتفصيل البحث في كتاب القضاء وغيره، حيث يجب على القاضي أن يستمع إلى الدعوى ثم يحكم بالعدل بحيث يعطي الحق لصاحبه.

وهذا ما صنعته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بمواقفها وعملها وأقوالها وخطبها، ومنها هذه الخطبة، وهذا المقطع «وعند الساعة يخسرون المبطلون ولاينفعكم إذ تندمون...»[٢٩٢].

ولذلك كله يجب وجوباً كفائياً بيان أن خصوم الزهراء عليها السلام هم من المبطلين وسيخسرون عند قيام الساعة.

وفي الحديث: إن أمير المؤمنين عليه السلام دخل يوما إلى مسجد الكوفة من الباب القبلي، فاستقبله نفر فيهم فتى حدث يبكي والقوم يسكتونه، فوقف عليهم أمير المؤمنين وقال للفتى: ما يبكيك؟

فقال: يا أمير المؤمنين إن أبي خرج مع هؤلاء النفر في سفر لتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي،

(**٢٨٧**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ آثار التوكل ح٣٨٧٩.

(**٢٨٨**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ آثار التوكل ح٣٨٨٦.

(**٢٨٩**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ آثار التوكل ح٣٨٨٧.

(**٢٩٠**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٦ آثار التوكل ح٣٨٨٨.

(**٢٩١**) سورة يونس: ٣٥.

(**٢٩٢**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ سورة الجاثية: ٢٧.

فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله؟ فقالوا: لم يخلف مالا، فقدمتهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين، وأنا أعلم يا أمير المؤمنين أن أبي كان معه مال كثير.

فقال لهم أمير المؤمنين: ارجعوا فردهم معه ووقف على شريح فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟

فقال شريح: يا أمير المؤمنين إن هذا الفتى ادعى على هؤلاء القوم دعوى فسألته البينة فلم يحضر أحدا، فاستحلفتهم له.

فقال أمير المؤمنين: هيهات يا شريح ليس هكذا يحكم في هذا.

فقال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟

فقال علي: أنا أحكم فيه ولأحكمن اليوم فيه بحكم ما حكم به أحد بعد داود النبي عليه السلام، ثم جلس في مجلس القضاء ودعا بعبد الله بن أبي رافع وكان كاتبه وأمره أن يحضر صحيفة ودواة، ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في نواحي المسجد ويجلس كل رجل منهم إلى سارية وأقام مع كل واحد منهم رجلا وأمر بأن تغطى رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبرت فكبروا.

ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمله وقال: أتظنون أني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى، إني إذا لجاهل، ثم أقبل عليه فسأله؟

فقال: مات يا أمير المؤمنين.

فسأله عن كيف كان مرضه وكم مرض وأين مرض وعن أسبابه في مرضه كلها وحين احتضر ومن تولى تغميضه ومن غسله وما كفن فيه ومن حمله ومن صلى عليه ومن دفنه، فلما فرغ من السؤال رفع صوته: الحبس الحبس، فكبر وكبر من كان معه.

فارتاب القوم ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقر.

ثم دعا برجل آخر فقال له مثل ما قال للأول.

فقال: يا أمير المؤمنين إنما كنت واحدا من القوم وقد كنت كارها للقتل وأقر بالقتل.

ثم دعاهم واحدا واحدا من القوم، فأقروا أجمعون ما خلا الأول وأقروا بالمال جميعا وردوه وألزمهم ما يجب من القصاص.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين كيف كان حكم داود عليه السلام في مثل هذا الذي أخذته عنه؟

فقال علي عليه السلام: مر داود عليه السلام بغلمان يلعبون وفيهم غلام منهم ينادونه: يا مات الدين، فيجيبهم.

فوقف عليهم داود ﷺ فقال: يا غلام ما اسمك؟

فقال: مات الدين.

قال: ومن سماك بهذا الاسم؟

قال: أمي.

قال: أين أمك؟

قال: في بيتها.

قال: امض بين يدي إليها.

فمضى الغلام فاستخرج أمه، فقال لها داود: هذا ابنك؟

قالت: نعم.

قال: ما اسمه؟

قالت: مات الدين.

قال: ومن سماه بهذا الاسم؟

قالت: أبوه.

قال: وأين أبوه؟

قالت: خرج مع قوم في سفر لهم لتجارة فرجعوا ولم يرجع، فسألتهم عنه فقالوا: مات، وسألتهم عن ماله، فقالوا: مات وذهب ماله، فقلت: هل أوصاكم في أمري بشيء؟ فقالوا: نعم أوصانا وأعلمنا أنك حبلى فمهما ولدت من ولد فسميه مات الدين.

قال: وأين هؤلاء القوم؟

قالت: حضور.

قال: امضي معي إليهم.

فجمعهم وفعل في أمرهم مثل هذا الذي فعلته، وحكم بما حكمت وقال للمرأة: سمي ابنك (عاش الدين)[٢٩٣].

(**٢٩٣**) دعائم الإسلام: ج٢ ص٤٠٤-٤٠٦ ف٢ ذكر القصاص ح١٤١٨.

دور الرسول ﷺ في الآخرة

مسألة: ينبغي بيان أن الزعيم محمد ﷺ، ومعنى ذلك أنه ﷺ هو الضامن لبيان أحكام الله تعالى، والمنفذ لها في الدنيا وفي الآخرة، فهو الذي له الزعامة من قبل الله في يوم القيامة، فان أمور الآخرة أيضاً بنيت على الوسائط والمنفذين كما ورد بالنسبة إلى الملائكة، والأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والأئمة المعصومين عليهم السلام، والشهداء والصالحين والولدان المخلدين وغير ذلك.

وكلي المطلب أن الرسول ﷺ هو أفضل الخلائق على الإطلاق، وهو مرسَل لكل الخلائق على الإطلاق ـ إنساً وجنا وملكاً وما نعلم وما لا نعلم ـ وهو عين الله ويده في كل العوالم على الإطلاق، ومن المصاديق عالم الآخرة، يليه في كل ذلك مباشرة أمير المؤمنين ومولى الموحدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إذ هو نفس رسول الله ﷺ بنص الآية الشريفة: ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾[٢٩٤] ولعشرات الأدلة الأخرى.

قال رسول الله ﷺ في حديث: «وجعل اسمي في القرآن محمدا فأنا محمود في جميع القيامة، في فصل القضاء، لا يشفع أحد غيري، وسماني في القيامة حاشرا يحشر الناس على قدمي، وسماني الموقف أوقف الناس بين يدي الله جل جلاله»[٢٩٥].

وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا علي على نجيب من نور وعلى رأسك تاج قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف، فيأتي النداء من عند الله جل جلاله: أين خليفة محمد رسول الله؟ فتقول: ها أنا ذا، قال: فينادي المنادي: يا علي أدخل من أحبك الجنة، ومن عاداك النار، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار»[٢٩٦].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أتاني جبرئيل وبيده لواء الحمد وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر، فيدفعه إلي فآخذه وأدفعه إلى علي بن أبي

(**٢٩٤**) سورة آل عمران: ٦١.

(**٢٩٥**) الخصال: ج٢ ص٤٢٥ باب العشرة أسماء النبي ﷺ عشرة، ضمن ح١.

(**٢٩٦**) الأمالي للصدوق: ص٣٦١ المجلس ٥٧ ح١٤.

طالب».

فقال رجل: يا رسول الله وكيف يطيق علي على حمل اللواء وقد ذكرت أنه سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر؟

فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: «يا رجل إنه إذا كان يوم القيامة أعطى الله عليا من القوة مثل قوة جبرئيل، ومن الجمال مثل جمال يوسف، ومن الحلم مثل حلم رضوان، ومن الصوت ما يداني صوت داود، ولولا أن داود خطيب في الجنان لأعطي علي مثل صوته، وإن عليا أول من يشرب من السلسبيل والزنجبيل، وإن لعلي وشيعته من الله عزوجل مقاما يغبطه به الأولون والآخرون»(٢٩٧).

وفي بعض النسخ: (والغريم)، والمراد: طالب الحق، يعني أنك ـ يا ابن أبي قحافة ـ تقابل رسول الله ﷺ في يوم القيامة ويطالبك بما فعلت، لأنك أخذت حقه إذ قال ﷺ: «من آذاها فقد آذاني»(٢٩٨) ولأنك عصيت أمره وخالفت قراره حيث منحني فدك فغصبتها.

قولها عليها السلام: «والموعد القيامة» أي أن الميعاد بيننا وبينك يوم القيامة، حيث نلتقي هناك ونتخاصم بين يدي الله سبحانه وتعالى وبحضور الرسول ﷺ بل وبحضور الأشهاد كافة، فإن الناس في يوم القيامة حيث تكون أبصارهم حديداً يرون من مسافات بعيدة هذا الموقف والملايين من أمثال هذه المواقف، قال تعالى: ﴿**فبصرك اليوم حديد**﴾(٢٩٩).

(**٢٩٧**) بحار الأنوار: ج٨ ص٢-٣ ب١٨ ضمن ح٢.

(**٢٩٨**) غوالي اللآلي: ج٤ ص٩٣ الجملة الثانية في الأحاديث ح١٣١.

(**٢٩٩**) سورة ق: ٢٢.

درجات النهي عن المنكر

مسألة: النهي عن المنكر بالقلب وباللسان وبسائر الجوارح له درجات، ولا ينتقل للأشد إلا مع عدم كفاية الأضعف في الجملة، كما لا يكتفى بالأضعف مع القدرة على الأشد والحاجة إليه وعدم كفاية الأدنى منه.

وهي (صلوات الله عليها) حيث تعذر عليها النهي عن المنكر الجوارحي (كاليد مثلاً) في مورد كان يقتضيه حيث لم يرتدع القوم بدونه، اكتفيت بالنهي القولي، مضافاً إلى القلبي، وحيث أمكن لها الأشد من مراتبه قامت به وكان منه هذه الجمل هاهنا: «وعند الساعة يخسر المبطلون...».

قال المحقق رحمه الله: «ومراتب الإنكار ثلاث: بالقلب وهو يجب وجوباً مطلقاً، وباللسان، وباليد، ويجب دفع المنكر بالقلب أولاً، كما إذا عرف أن فاعله ينزجر بإظهار الكراهة، وكذا إن عرف أن ذلك لا يكفي وعرف الاكتفاء بضرب من الإعراض والهجر وجب واقتصر عليه.

ولو عرف أن ذلك لا يرفعه انتقل إلى الإنكار باللسان مرتباً للأيسر من القول فالأيسر.

ولو لم يرتفع إلا باليد، مثل الضرب وما شابهه جاز ولو افتقر إلى الجراح أو القتل هل يجب؟ قيل نعم، وقيل لا إلا بإذن الإمام عليه السلام وهو الأظهر»[٣٠٠].

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «إذا ترك امرئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذن بوقاع من الله جل اسمه»[٣٠١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٣٠٢].

---

(٣٠٠) شرائع الإسلام: ج١ ص٢٦٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ط١٠ بيروت مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

(٣٠١) ثواب الأعمال: ص٢٥٥-٢٥٦ عقاب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٣٠٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٢٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٣٠٣].

وقال عليه السلام: «من نهى عن المنكر أرغم أنوف الفاسقين»[٣٠٤].

وقال عليه السلام: «إذا رأى أحدكم المنكر ولم يستطع أن ينكره بيده ولسانه وأنكره بقلبه وعلم الله صدق ذلك منه فقد أنكره»[٣٠٥].

وقال عليه السلام: «... فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء»[٣٠٦].

قولها عليها السلام: «وعند الساعة يخسر المبطلون»، فإن المبطل وإن كان يخسر في الدنيا أيضاً، ويخسر في القبر وفي عالم البرزخ، إلا أن الخسارة الكبرى في الحشر وعند قيام الساعة وذلك بحضور الناس والأشهاد وهي أمضّ، حيث إن في الدنيا الحق والباطل مختلطان كثيراً ما، وفي القبر لا يرى الخسارة إلا نفس الإنسان وبعض الملائكة، وربما بعض البشر، إضافة إلى أن في الدنيا والقبر خسارة جزئية ونسبية وبعض العقاب، أما في الساعة فتظهر الخسارة الكبرى وأمام كل الناس، أو يقال: إن الساعة هي (الموعد الأصلي) للمستقبل النهائي، وبها تحديد المصير والحشر إلى جهنم وبئس المهاد، فكان الأنسب النسبة إليها دون جهنم، فتأمل.

أما ما سبقها في البرزخ وقبله فهو مجرد رشحات ونماذج.

وفي بعض النسخ: (وعند الساعة ما تخسرون)، وعليه تكون (ما) مصدرية أي (في القيامة خسرانكم)، ويحتمل كون (ما) موصولة والفعل محذوف اكتفاء بالدال عليه، أي (وعند الساعة تجدون أو تشاهدون الذي تخسرونه) وهو مشير إلى تجسم الأعمال أيضاً.

ولعلها (صلوات الله عليها) أشارت إلى قوله سبحانه في سورة الزمر: ﴿**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين ۞ لهم من**

(**٣٠٣**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٢ ح٧٦٣٨ الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(**٣٠٤**) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٢٠٧ ب٩ ضمن ح١٣٨٩٥.

(**٣٠٥**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣٢ ح٧٦٤٩ الفصل الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(**٣٠٦**) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٤ ب٣ ح٢١١٧٠.

فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾[٣٠٧].

وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ۞ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾**[٣٠٨].

وفي تفسير هذه الآية روى علي بن إبراهيم القميΣ: «﴿وترى الظالمين﴾ آل محمد حقهم ﴿لما رأوا العذاب﴾ وعلي عليه السلام هو العذاب في هذا الوجه ﴿يقولون هل إلى مرد من سبيل﴾ فنوالي علياً عليه السلام ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل﴾ لعلي عليه السلام ﴿ينظرون﴾ إلى علي ﴿من طرف خفي وقال الذين آمنوا﴾ يعني آل محمد وشيعتهم ﴿إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إنّ الظالمين﴾ آل محمد حقهم ﴿في عذاب مقيم﴾ قال عليه السلام: والله يعني النصاب الذين نصبوا العداوة لعلي وذريته عليهم السلام»[٣٠٩].

ولعل المراد من (الساعة) في قولها عليها السلام: أعم من المحشر والنار كما ربما يكون ظاهر الآية المباركة. والخلاصة: لقد حددت (صلوات الله عليها) في هذه الجمل القصيرة كافة ما يرتبط بالقضية: فالحَكَم هو الله جل وعلا، والقاضي والزعيم هو رسوله صلى الله عليه وآله، ومكان القضاء وزمانه هو يوم القيامة، إذ (الموعد) مصدر ميمي يأتي للمكان والزمان، والنتيجة هي (وعند الساعة يخسر المبطلون) والخاسر هو ابن أبي قحافة وحزبه، ورد فعلهم سيكون الندم، والجزاء الإلهي هو ﴿**فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم﴾**[٣١٠].

ولا ينفعكم إذ تندمون

بين الدنيا والآخرة

(**٣٠٧**) الزمر: الآية: ١٥. ١٦.

(**٣٠٨**) سورة الشورى: ٤٤-٤٥.

(**٣٠٩**) تفسير القمي: ج٢ ص٢٧٨ سورة الشورى.

(**٣١٠**) سورة هود: ٣٩، والزمر: ٣٩-٤٠.

مسألة: الدنيا دار عمل وجزاء في الجملة، وليست دار حساب كذلك، أما الآخرة فهي دار حساب وجزاء[٣١١] دون عمل، ولذلك قالت عليها السلام: «ولا ينفعكم إذ تندمون»، وقد ورد في الحديث: «اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»[٣١٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الدنيا مزرعة الآخرة»[٣١٣].

نعم دل الدليل شرعاً وعقلاً على أن الله تعالى يمتحن في الآخرة عباده القاصرين الذين لم تبلغهم الحجة اللازمة في الدنيا، فتكون الآخرة محل عمل في الجملة[٣١٤]، كما أن الدنيا مكان حساب وجزاء في الجملة، كما يفصح عن ذلك إقرار الشارع تشريعاً والتحقق في الجملة تكويناً للحدود والديات والقصاص والمعاملات وما أشبه.

وفي الحديث قال الإمام الرضا عليه السلام: «ما من فعل فعله العباد من خير وشر إلا ولله فيه القضاء، قال الراوي: فما معنى هذا القضاء؟ قال عليه السلام: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»[٣١٥].

وأوحى الله عزوجل لموسى عليه السلام: «إن الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم عند خطيئته»[٣١٦].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «في كتاب علي عليه السلام ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً

---

(٣١١) من الواضح الفرق بين الحساب والجزاء، فان الحساب هو المحاسبة و(المحاكمة)، والجزاء هو ما يترتب على الحساب من العقوبة أو المثوبة.

(٣١٢) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص٢٠٧-٢٠٨ المجلس ٢٣ ضمن ح٤١.

(٣١٣) راجع تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص١٨٣ بيان ما يحمد من الجاه، وغوالي اللآلي: ج١ ص٢٦٧ ف١٠ ح٦٦.

(٣١٤) ورد في بعض الروايات أن الله تعالى يأمرهم بالدخول في نار مضرمة فمن أطاع امتثالاً لأمره تعالى حول الله النار عليه برداً وسلاماً وكان من أهل الجنة، ومن عصى دخل النار، ويستفاد من بعض الروايات أن الامتحان في يوم القيامة هو أمرهم بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلها كان من أهل الجنة ومن لم يقبلها فمن أهل النار.

(٣١٥) متشابه القرآن: ج١ ص١٩٣، والاحتجاج: ج٢ ص٤١٤ احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في التوحيد والعدل وغيرهما.

(٣١٦) راجع ثواب الأعمال: ص٢٢٢ في أن الدنيا دار عقوبة.

حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها»[٣١٧].

وعن أبي عبد الله قال عليه السلام: «إن في كتاب علي عليه السلام أن آكل مال اليتامى ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده في الدنيا، فإن الله عزوجل يقول: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾[٣١٨].

وأما في الآخرة فإن الله عزوجل يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[٣١٩]»[٣٢٠].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «ما من مؤمن يخذل مؤمناً أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة»[٣٢١].

هل الندم نافع

مسألة: لا تقبل التوبة والندم في يوم القيامة، بل يجب التوبة بشرائطها في دار الدنيا، قال عزوجل: ﴿**وَلَيْسَت التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾[٣٢٢].

وقال سبحانه وتعالى لفرعون: ﴿**ءالآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين**﴾[٣٢٣].

أما من احتمل أن أهل النار لو تابوا إلى الله لتاب عليهم فخلاف ظاهر الآيات والروايات، ولا يجمع مع قولها عليهما السلام «ولا ينفعكم إذ تندمون» مضافاً إلى أنه لو سُلّم صحة الكبرى فيرد عليه:

أولاً: إن الندم أعم من التوبة، إذ رب نادم غير مصمم على الترك بل عازم عليه، كما في قوله تعالى:﴿**ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه**﴾[٣٢٤].

(**٣١٧**) راجع الكافي: ج٢ ص٣٤٧ باب قطيعة الرحم ضمن ح٤.

(**٣١٨**) سورة النساء: ٩.

(**٣١٩**) سورة النساء: ١٠.

(**٣٢٠**) ثواب الأعمال: ص٢٣٣ عقاب آكل مال اليتيم.

(**٣٢١**) ثواب الأعمال: ص٢٣٨ عقاب من خذل مؤمناً.

(**٣٢٢**) سورة النساء: ١٨.

(**٣٢٣**) سورة يونس: ٩١.

(**٣٢٤**) سورة الأنعام: ٢٨.

وكما يشعر به قوله تعالى: ﴿**إنها كلمة هو قائلها**﴾[٣٢٥].

وكما قال ابن أبي قحافة في مرضه: «ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكشفه»[٣٢٦].

وكما قال: «ليتني في ظلة بني ساعدة ضربت يدي على أحد الرجلين فكان هو الأمير وكنت الوزير، عنى عمر وأبا عبيدة»[٣٢٧].

وكما قال: (ليتني كنت بعرة) أو (شعرة)[٣٢٨].

(**٣٢٥**) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(**٣٢٦**) انظر الصراط المستقيم: ج٢ ص٣٠١.

(**٣٢٧**) انظر الصراط المستقيم: ج٢ ص٣٠١.

(**٣٢٨**) انظر (مصنف ابن أبي شيبة): ج٧ ص٩١ ح٣٤٤٣٢ ط: مكتبة الرشد، الرياض عام ١٤٠٩هـ، وفيه: (حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال: رأى أبو بكر الصديق طيرا واقعا على شجرة فقال: طوبى لك يا طير، والله لوددت أني كنت مثلك تقع على الشجرة وتأكل من الثمر ثم تطير وليس عليك نجاسة ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق مر علي جمل فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا).

وفي كتاب (شعب الإيمان) لأبي بكر البيهقي: ج١ ص٤٨٥ ح٧٨٦ ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠هـ: (عن الحسن قال: أبصر أبو بكر طائرا على شجرة فقال: طوبى لك يا طير تأكل الثمر وتقع على الشجر لوددت أني ثمرة ينقرها الطير). وقال في الحديث ٧٨٧ عن جويبر عن الضحاك قال: مر أبو بكر على طير قد وقع على شجرة فقال: طوبى لك يا طير تطير فتقع على الشجر ثم تأكل من الثمر ثم تطير ليس عليك نجاسة ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانت الطريق فمر علي بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم إزدردني ثم أخرجني بعرا ولم أكن بشرا). وقال في الحديث ٧٨٨: (عن يعقوب بن زيد وعمر بن عبد الله مولى غفرة قالا: نظر أبو بكر إلى طير حين وقع على الشجر فقال ما أنعمك يا طير تأكل وتشرب وليس عليك نجاسة وتطير يا ليتني كنت مثلك).

وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج١ ص٢٥٨ باب من قال ليتني لم أخلق ح٤٤٩ ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام ١٤٠٦هـ: (حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك قال: مر أبو بكر بطير وعشرون على شجرة فقال طوبى لك يا طير تقع على الشجر وتأكل الثمر ثم تطير وليس عليك نجاسة ولا عذاب يا ليتني كنت مثلك والله لوددت أن الله خلقني شجرة إلى جانب الطريق فمر بي بعير فأخذني فأدخلني فاه فلاكني ثم ازدردني ثم أخرجني بعرا ولم أك بشرا).

وفي كتاب (صفوة الصفوة) ج١ ص٢٥١ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩هـ: (قال أبو بكر: يا ليتني شجرة تعضد ثم تؤكل) وفيه أيضا: (قال أبو بكر: لوددت أني شعرة في جنب مؤمن).

وفي كتاب (الرياض النضرة) للطبري: ج٢ ص١٣٧ ط: دار الغرب الإسلامي بيروت عام ١٩٩٦م: (عن الحسن قال: كان أبو بكر يقول: يا ليتني كنت شجرة تعضد وتؤكل)، وفيه أيضا: (عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر أنه كان يقول: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن خرجها في الصفوة)

وكما قال صاحبه: (ليتني كنت عذرة) [٣٢٩].

وفي (نوادر الأصول) للترمذي: ج١ ص٢٧١ ط: دار الجيل بيروت عام ١٩٩٢م: (قال أبوبكر: وددت أني شعرة في صدر مؤمن) وأيضا في ج٣ ص١٥٧.

وفي كتاب (فيض القدير) للمناوي: ج٤ ص٣١٧ ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر عام ١٣٥٦هـ: (يقول الصديق: ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن).

(٣٢٩) انظر كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج١ ص٥٢ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥هـ، وفيه: (قال عمر: ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشرا).

وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج١ ص٢٥٨ باب من قال ليتني لم أخلق ح٤٤٩ ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام ١٤٠٦هـ: (وقال عمر يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض ما يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديدا ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشرا).

وفي كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج١ ص٤٨٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠هـ: (فقال عمر: يا ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضه قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا).

وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج٧ ص٩٨ ح٣٤٤٨٠ ط: مكتبة الرشد، الرياض عام ١٤٠٩هـ: (عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني ليتني كنت منسيا).

وفي كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج١ ص٤٨٥ ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠هـ: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ليتني لم أكن شيئا ليت أمي لم تلدني ليتني كنت منسيا).

وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص٧٩ ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن عبد الله ابن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال يا ليتني هذه التبنة ليتني لم أك شيئا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيا منسيا أخرجه ابن سعد).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج٣ ص٣٦٠ ط: دار صادر بيروت: (عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتني لم أك شيئا ليتني كنت نسيا منسيا). وفيه أيضا: (عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: ليتني لم أكن شيئا قط ليتني كنت نسيا منسيا قال ثم أخذ كالتبنة أو كالعود عن ثوبه فقال ليتني كنت مثل هذا).

وفي (فيض القدير) للمناوي: ج٤ ص٣١٧ ط: المكتبة التجارية الكبرى مصر عام ١٣٥٦هـ: (وأن يقول عمر: الويل إن لم يغفر له).

وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج٧ ص٩٨ ح٣٤٤٨١ ط: مكتبة الرشد، الرياض عام ١٤٠٩هـ: (عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على حجري فقال: ضعه لا أم لك، ثم قال: ويلي، ويل أم عمر إن لم يغفر لي ربي)

وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص٧٩ ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن ابن عمر قال أخبرني أبان بن عثمان بن عفان قال: قال عمر حين حضر: ويلي وويل أمي إن لم يغفر لي، فقضى ما بينهما كلام).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج١ ص٥٢ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥هـ: (عن ابن عمر قال: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي على الأرض، قال: فقلت: وما عليك كان على فخذي أم على الأرض، قال: ضعه على الأرض، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي).

وفي (صفوة الصفوة) ج١ ص٢٩١ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩هـ: (وعن عثمان بن عفان قال: أنا آخركم عهدا بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له: ضع خدي وضوء قال فهل فخذي والأرض إلا سواء، قال: ضع خدي وضوء لا أم لك في الثانية أو الثالثة، وسمعته يقول: ويلي وويل أمي، إن لم يغفر لي حتى فاضت نفسه).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج٣ ص٣٦٠ و٣٦١ ط: دار صادر بيروت: (عن عبد الله بن عامر ابن ربيعة أن عمر قال لعبد الله بن عمر ورأسه في حجره ضع خدي في الأرض فقال وما عليك في الأرض كان أو في حجري قال ضعه في الأرض ثم قال ويل لي ولأمي إن لم يغفر الله لي ثلاثا). وفيه أيضا: (عن عثمان بن عفان قال أنا آخركم عهدا بعمر دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر فقال له: ضع خدي وضوء، قال: فهل فخذي والأرض إلا سواء، قال: ضع خذي وضوء لا أم لك في الثانية أو في الثالثة، ثم شبك بين رجليه فسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، حتى فاضت نفسه) وفيه أيضا: (عن عثمان قال: آخر كلمة قالها عمر حتى قضى: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي)، وفيه أيضا: (عن ابن أبي مليكة أن عثمان بن عفان وضع رأس عمر بن الخطاب في حجره فقال أعد رأسي في التراب ويل لي وويل لأمي إن لم يغفر الله لي) وفيه أيضا: (عن أيوب عن بن أبي مليكة قال: لما طعن عمر جاء كعب فجعل يبكي بالباب ويقول والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره ! فدخل بن عباس عليه فقال يا أمير المؤمنين هذا كعب يقول كذا وكذا قال إذا والله لا أسأله، ثم قال ويل لي ولأمي إن لم يغفر الله لي).

وفي (صفوة الصفوة) ج١ ص٢٨٥ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩هـ: (وعن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أخلق، ليت أمي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئا، ليتني كنت نسيا منسيا).

وفي صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٥٠ ح٣٤٨٩ ط: دار ابن كثير بيروت عام ١٤٠٧هـ: (ثم لما طعن عمر جعل يألم . إلى أن قال: . والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا افتديت به من عذاب الله عزوجل).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج١ ص٥٢ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥هـ: (عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر قال: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله من قبل). وفيه أيضا: (عن سماك قال سمعت عبد الله بن عباس يقول: لما طعن عمر دخلت عليه فقلت له أبشر يا أمير المؤمنين فان الله قد مصر بك الأمصار ودفع بك النفاق وأفشى بك الرزق، قال: أفي الامارة تثني علي يا ابن عباس، فقلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر).

وكما قالت ابنته: (ليتني كنت حيضة)[٣٣٠].

وفي كتاب (الرياض النضرة) للطبري: ج٢ ص١٥٧ ح٦٣٦ ط: دار الغرب الإسلامي بيروت عام ١٩٩٦م: (قال عمر: وددت أني شعرة في صدر أبي بكر).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج٣ ص٣٦١ ط: دار صادر بيروت: (عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: ليتني لم أكن شيئا قط، ليتني كنت نسيا منسيا، قال: ثم أخذ كالتبنة أو كالعود عن ثوبه فقال ليتني كنت مثل هذا).

(**٣٣٠**) في كتاب (شعب الإيمان) للبيهقي: ج١ ص٤٨٦ ح٧٩١، ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١٠هـ: (عن عروة قال قالت عائشة: يا ليتني كنت نسيا منسيا أي حيضة).

وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج٢ ص٤٥ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥هـ: (عن عروة قال قالت عائشة: يا ليتني كنت نسيا منسيا أي حيضة).

وتراه أيضا في كتاب (الجامع) لمعمر بن راشد.

وفي (الاعتقاد) للبيهقي: ص٣٧٣ ط: دار الآفاق الجديدة بيروت عام ١٤٠١هـ: (فكانت عائشة تقول وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل ولد الحرث بن هشام وأني لم أسر مسيري الذي سرت وروي أنها ما ذكر مسيرها قط إلا بكت حتى تبل خمارها وتقول يا ليتني كنت نسيا منسيا).

وفي (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي: ج٥ ص٥٤ ط دار الكتب العلمية بيروت: (عن عائشة قالت: يا ليتني كنت نسيا منسيا). وأيضاً في تاريخ بغداد: ج٩ ص١٨٥: (عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قط الا بكت حتى تبل خمارها وتقول: يا ليتني كنت نسيا منسيا قال سفيان النسي المنسي الحيضة الملقاة).

وفي (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل: ج١ ص٤٦٢ ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ، (عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تقول: ثم يا ليتني كنت نسيا منسيا).

وفي (مصنف ابن أبي شيبة): ج٧ ص١٣١ ح٣٤٧٣٥ ط: مكتبة الرشد، الرياض عام ١٤٠٩هـ: (عن عائشة أنها قالت: وددت أني إذا مت كنت نسيا منسيا) وفي ح٣٤٧٣٦ (أن عائشة قالت: يا ليتها شجرة تسبح وتقضي ما عليها وأنها لم تخلق) وفي ح٣٤٧٣٧ (عن عروة أنه سمع عائشة تقول يا ليتني لم أخلق).

وفي كتاب (الزهد) لهناد: ج١ ص٢٦٠ باب من قال ليتني لم أخلق ح٤٥٣ ط: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت، عام ١٤٠٦هـ: (عن عائشة قالت ليتني إذ مت كنت نسيا منسيا).

وفي (الطبقات الكبرى) للزهري: ج٨ ص٧٤ ط: دار صادر بيروت: (أخبرنا أسامة بن زيد عن بعض أصحابه عن عائشة أنها قالت حين حضرتها الوفاة: يا ليتني لم أخلق، يا ليتني كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي)، وفيه أيضا: (عن عمرو بن سلمة أن عائشة قالت: والله لوددت أني كنت شجرة والله لوددت أني كنت مدرة والله لوددت أن الله لم يكن خلقني شيئا قط) وفيه أيضا: (عن عيسى بن دينار قال سألت أبا جعفر عن عائشة فقال: استغفر الله لها أما علمت ما كانت تقول: يا ليتني كنت شجرة، يا ليتني كنت حجرا، يا ليتني كنت مدرة، قلت: وما ذاك منها؟ قال: توبة!) وفيه أيضا: (عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس دخل على عائشة قبل موتها فأثنى عليها قال أبشري زوجة رسول الله ولم ينكح بكرا غيرك ونزل عذرك من السماء فدخل عليها بن الزبير

وثانياً: إن كلام الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) خاص وذاك عام.

وثالثاً: قد يراد عدم النفع في الجملة، فتأمل.

ورابعاً: إنهم لا يوفقون للتوبة.

وفي الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام وهو خارج من الكوفة، فتبعته من ورائه حتى إذا صار إلى جبانة اليهود ووقف في وسطها ونادى: يا يهود، يا يهود، فأجابوه من جوف القبور: لبيك لبيك مطلاع، يعنون بذلك يا سيدنا.

فقال: كيف ترون العذاب؟

فقالوا: بعصياننا لك كهارون فنحن ومن عصاك في العذاب إلى يوم القيامة.

ثم صاح صيحة كادت السماوات ينقلبن، فوقعت مغشياً على وجهي من هول ما رأيت، فلما أفقت رأيت أمير المؤمنين عليه السلام على سرير من ياقوتة حمراء على رأسه أكليل من الجوهر وعليه حلل خضر وصفر ووجهه كدارة القمر، فقلت: يا سيدي هذا ملك عظيم!

قال: نعم يا جابر إن ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود عليه السلام، وسلطاننا أعظم من سلطانه.

خلافه فقالت أثنى علي عبد الله بن عباس ولم أكن أحب أن أسمع أحدا اليوم يثني علي لوددت أني كنت نسيا منسيا). وفي ص ٧٤-٧٥: (عن إبراهيم قال: قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة). وفي ص٨٥: (فقالت: دعني منك بابن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني: ج٢ ص٤٥ ط: دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٥هـ: (فقالت: يا بن عباس دعني منك ومن تزكيتك، فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً).

وفي (مسند أبي يعلى): ج٥ ص٥٧ ح٢٦٤٨ ط: دار المأمون للتراث، دمشق عام ١٤٠٤هـ (قالت دعني يا بن عباس فوالله لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني: ج٨ ص٤٨٤ ط دار المعرفة بيروت، عام ١٣٧٩هـ: (فقالت دعني منك يا بن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي (صفوة الصفوة) ج٢ ص٣٨ ط: دار المعرفة بيروت عام ١٣٩٩هـ: (فقالت دعني منك يا ابن عباس فوالذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسيا منسيا).

وفي كتاب (الزهد) لابن المبارك: ص٨١ ح٢٣٩، ط: دار الكتب العلمية بيروت: (عن إبراهيم أن عائشة مرت بشجرة فقالت: يا ليتني ورقة من هذه الشجرة) أخرجه أحمد في الزهد.

وفي (سير أعلام النبلاء) للذهبي: ج٢ ص١٨٩ ط مؤسسة الرسالة بيروت، عام ١٤١٣هـ: (قالت عائشة: يا ليتني كنت ورقة من هذه الشجرة).

ثم رجع عليه السلام ودخلنا الكوفة، ودخلت خلفه إلى المسجد فجعل يخطو خطوات وهو يقول: لا والله لا فعلتَ، لا والله لا كان ذلك أبداً!

فقلت: يا مولاي لمن تكلم ولمن تخاطب وليس أرى أحداً؟

فقال عليه السلام: يا جابر كشف لي عن برهوت فرأيت شنبويه وحبتر وهما يعذبان في جوف تابوت في برهوت، فناديا: يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين ردنا إلى الدنيا نقر بفضلك ونقر بالولاية لك.

فقلت: لا والله لا فعلت، لا والله لا كان ذلك أبداً، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**﴾[٣٣١] يا جابر وما من أحد خالف وصي نبي إلا حشره الله أعمى يتكبكب في عرصات القيامة»[٣٣٢].

قولها عليها السلام: «ولا ينفعكم إذ تندمون» إذ قد سبق أن ندامة الإنسان في الآخرة لا تنفع، نعم الندامة في الدنيا تنفع وذلك للانقلاع والتدارك، قال سبحانه: ﴿**رب ارجعون ۞ لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها**﴾[٣٣٣].

وربما يظهر من تعبيرها (صلوات الله عليها) بـ (إذ) دون (إذا) أو (لو) أنهم سيندمون فإن إذ طرفية، لكن ندمهم غير نافع، مضافاً إلى عدم عزمهم على الترك، بل العود لو عادوا.

فاطمة عليها السلام في يوم القيامة

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال جابر لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله، حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة عليها السلام إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور فيكون منبري أعلى منابرهم يوم القيامة ثم يقول الله: يا محمد اخطب.

فاخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها.

(**٣٣١**) سورة الأنعام: ٢٨.

(**٣٣٢**) تأويل الآيات الظاهرة: ص١٦٨-١٦٩ سورة الأنعام وما فيها من الآيات في الأئمة الهداة.

(**٣٣٣**) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب لوصيي علي بن أبي طالب عليه السلام في أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره (منبر علي) أعلى منابرهم.

ثم يقول الله: يا علي اخطب.

فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها.

ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور فيكون لابنيّ وسبطيّ وريحانتيّ أيام حياتي منبر (منبران) من نور.

ثم يقال لهما: اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما.

ثم ينادي المنادي (مناد) وهو جبرئيل عليه السلام: أين فاطمة بنت محمد، أين خديجة بنت خويلد، أين مريم بنت عمران، أين آسية بنت مزاحم، أين أم كلثوم، أين أم يحيى بن زكريا؟

فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة: (لله الواحد القهار).

فيقول الله جل جلاله (تعالى): يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار، فان هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرئيل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ المحقق الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها، فتركبها.

فيبعث إليها مائة ألف ملك فيصيروا على يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيروها (يسيروها) على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت!.

فيقول الله: يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي (الجنة)؟

فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم.

فيقول الله تعالى: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده، فأدخليه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام: والله يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يلقي الله في قلوبهم

أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم!

فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وادخلوه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام: والله لا يبقى في الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿**فما لنا من شافعين ۞ ولا صديق حميم**﴾[٣٣٤].. فيقولون: ﴿**فلو أنّ لنا كرّة فنكون من المؤمنين**﴾[٣٣٥].

قال أبو جعفر عليه السلام: هيهات هيهات، منعوا ما طلبوا، ﴿**ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون**﴾[٣٣٦]، [٣٣٧].

ولكل نبأ مستقر

الأخبار المستقبلية ومحل الاستقرار

مسألة: إن الأخبار المستقبلية لابد وأن يكون لها محل استقرار وتقرر وثبوت وظهور، مثلاً: إذا قال: بأن زيداً سوف يقدم، فان قدومه بعد غد. مثلاً- هو مستقر هذا الخبر والنبأ. وهكذا.

ولا يختص ذلك بالمستقبلية، بل والماضية أيضاً، والحالية كذلك كما لا يخفى.

فكل نبأ صادق له مستقر زماني ومكاني إذا كان المخبر عنه من غير المجردات، وإلا كان له مستقر حقيقي وإن كان دون زمان ومكان وشبههما، ولكل نبأ مستقر في إحدى العوالم

(**٣٣٤**) سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١.

(**٣٣٥**) سورة الشعراء: ١٠٢.

(**٣٣٦**) سورة الأنعام: ٢٨.

(**٣٣٧**) تفسير فرات الكوفي: ص٢٩٨-٢٩٩ من سورة الشعراء.

الأربعة في عدد منها أو فيها كلها[٣٣٨]، أما الخبر الكاذب فليس له مستقر عيني كما لا يخفى، والأمور الاعتبارية لها ظرف تقررها كما فصلناه في (الأصول).

والظاهر أن المنصرف من آية ﴿**لكل نبأ مستقر**﴾[٣٣٩] هو الأخبار الصادقة، ولو قصد الأعم كان المراد من المستقر الأعم من المستقر العيني وغيره.

وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم

من ينقلب على عقبيه

مسألة: يظهر من اقتباسها عليها السلام ذلك من الآية الشريفة: ﴿**فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم**﴾[٣٤٠]، الحكم بكفر الذين انقلبوا على أعقابهم، قال تعالى: ﴿**أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾[٣٤١]، وقد سبق أن المراد بالكفر هل هو موضوعي أو حكمي.

وفي الآية إشارة إلى الإيلام النفسي والجسدي، فإن الخزي إيلام نفسي، والعذاب إيلام جسدي.

قولها عليها السلام: «وسوف...» أي سوف تعلمون عند وقوع مستقر العذاب من يأتيه عذاب يخزيه، فإن العذاب يخزي الإنسان نفساً، ويؤلمه جسماً.

وقد اقتبست (عليها الصلاة والسلام) كلامها هذا من مواضع من القرآن الحكيم، والخطاب في كلها إلى الكفار الذين وقفوا بوجه الأنبياء عليهم السلام، فالذي وقف بوجه فاطمة عليها السلام كأنما وقف بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء عليهم السلام:

أحدها: سورة الزمر خطاباً للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ﴿**قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون ۞ من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم**﴾[٣٤٢].

(**٣٣٨**) المراد: عالم الوجود العيني وعالم الوجود الذهني وعالم الوجود الكتبي وعالم الوجود اللفظي.

(**٣٣٩**) سورة الأنعام: ٦٧.

(**٣٤٠**) سورة هود: ٣٩.

(**٣٤١**) سورة آل عمران: ١٤٤.

(**٣٤٢**) سورة الزمر: ٣٩-٤٠.

والآخر: سورة هود في قصة نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) حيث قال: ﴿**وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ۞ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم**﴾[٣٤٣].

فالعذاب الذي أخزاهم في الدنيا هو الذلة في الغرق، والعذاب الذي يقيم عليهم في الآخرة هو النار ﴿**وبئس المصير**﴾[٣٤٤].

والمراد من العلم في (فسوف تعلمون) في المقام هو علم حق اليقين أو عين اليقين في الآخرة عند مشاهدة العذاب، أو المراد تجدون، إذ أن ظالميها عليهم السلام كانوا عالمين بالجزاء الإلهي وشدة عقابه فلا دلالة في قولها عليها السلام على عدم علمهم كما لايخفى.

وفي سورة هود قال تعالى في قصة شعيب (على نبينا وآله وعليه السلام): ﴿**قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ۞ ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب**﴾[٣٤٥].

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار

حدود النظر

مسألة: الظاهر أنه ليس المراد بـ (ثم رمت بطرفها نحو الأنصار) النظر إليهم، بل المراد النظر إلى جهتهم، فإن النظر وإن كان جائزاً إذا كان بدون ريبة وشهوة إلى مثل الوجه وما أشبه ذلك، من الطرفين على رأي المشهور بين الفقهاء، لكن الظاهر في المقام أن المراد أنها عليها السلام رمت بطرفها من وراء الستر نحو جهة الأنصار، أي المكان الذي علمت أن الأنصار كانوا مستقرين فيه، فإنه المستفاد من كونها عليها السلام جلست خلف الستر منذ بداية الخطبة.

وعلى هذا فلا يستند إلى هذا الكلام (ثم رمت) في جواز النظر وحدوده، بل الاستناد

(**٣٤٣**) سورة هود: ٣٨ ـ ٣٩.

(**٣٤٤**) سورة البقرة: ١٢٦.

(**٣٤٥**) سورة هود: ٩٢-٩٣.

بالأدلة الأخرى[٣٤٦].

التعددية زمن الرسول صلى الله عليه وآله

مسألة: التعددية الإيجابية، والتمييز على إثرها بشعار أو عمل بين فريقين من المؤمنين جائز، وذلك التنافس المطلوب، ولا ينافي الأخوة الإسلامية والأمة الواحدة كما لا يخفى.

ومن مصاديقه ما يفهم من كلامها عليها السلام من أن المهاجرين والأنصار كانوا يجلسون متمايزين جماعة هنا وجماعة هناك.

وقد ذكرنا في بعض الكتب الفقهية: أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله جعل المسلمين على حزبين . وذلك لحفظ التعددية وإيجاد التنافس البناء .:

حزب المهاجرين.

وحزب الأنصار.

وكان لكل حزب تجمعه وخصوصياته، وإن لم يكونوا مختلفين في شتى الأحكام والطقوس الإسلامية العبادية والمعاملية والقضائية والعسكرية وغيرها، بل كانوا أخوة مؤمنين.

وهناك رواية ذكرها (جامع المقاصد) و(المسالك) و(الجواهر) وغيرهم يظهر منها أن المسلمين عرفوا بهذا اللفظ في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي كتاب (السبق والرماية)[٣٤٧] حيث قال صلى الله عليه وآله في قصة مذكورة: (أنا مع الحزب الذي فيه ابن الأدرع) [٣٤٨].

لكن الحزب في الإسلام ليس بالمفهوم الغربي الذي هو قائم على أساس البرلمان الذي بيده التشريع، إذ التشريع خاص بالله سبحانه وتعالى، والرسول والأئمة الطاهرون عليهم السلام هم المبلغون لتلك الأحكام وهم عليهم السلام أوعية مشيئة الله عزوجل[٣٤٩].

(**٣٤٦**) للتفصيل راجع موسوعة الفقه: ج٢٦ ص١٦٥-٢٦٢ كتاب النكاح أحكام النظر.

(**٣٤٧**) راجع موسوعة الفقه: ج٦٠ كتاب السبق والرماية.

(**٣٤٨**) غوالي اللئالي: ج٣ ص٢٦٦ باب السبق والرماية ح٥ وفيه: «وروي أنه صلى الله عليه وآله مر بقوم من الأنصار يترامون، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع، فأمسك الحزب الآخر وقالوا لن يغلب حزب فيه رسول الله».

(**٣٤٩**) راجع موسوعة الفقه: ج١٠٦ كتاب السياسة ص١١٧ وما بعدها.

نعم للفقهاء التطبيق، وكذلك الاستنباط من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ولذا ذكرنا في بعض الكتب أن البرلمان هو (للتأطير) لا للتشريع[٣٥٠].

إذن فتقسيم الرسول ﷺ المسلمين إلى قسمين: مهاجرين وأنصار كان لإيجاد التنافس الإيجابي في إطار الشرع لا خارجه، وكان للتسارع والتسابق نحو الخير والفضيلة كما هو أوضح من أن يخفى.

وقد تأسى ﷺ في ذلك بالقرآن الكريم حيث تكررت هذه الألفاظ فيها، ووردت أكثر من مرة، وكان ذلك من حكمة رسول الله ﷺ المستقاة من الوحي الإلهي، لأن التعددية توجب التنافس بينهما، قال سبحانه وتعالى: ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾[٣٥١].

وقال عزوجل: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين**﴾[٣٥٢].

وحتى أنه سبحانه جعل الجنة في مضمار المنافسة والمسابقة فقال عز من قائل: ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾[٣٥٣].

بل إن حكمة الرب في الكون قائمة على ذلك، كما قال تعالى: ﴿**إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾[٣٥٤].

فالتقسيم والتشقيق والتعددية سنة إلهية ينبغي صبها في التعاون والتكامل والتنافس الإيجابي حسب المقرر شرعاً.

وفي التاريخ نشاهد مواطن عديدة أن الرسول ﷺ كان (يوازن) بين المجموعتين، وكان يلتجأ تارة إلى هذه في قبال تلك. عندما تعدل عن الحق. وكذلك العكس، كما ورد في قصة تكلمه ﷺ عند احتضاره، فإنه ﷺ عندما رد عليه عمر بقوله الجارح: (إن الرجل ليهجر)

(**٣٥٠**) راجع كتاب (هكذا حكم الإسلام) و(الفقه: القانون).

(**٣٥١**) سورة البقرة: ١٤٨، والمائدة: ٤٨.

(**٣٥٢**) سورة آل عمران: ١٣٣.

(**٣٥٣**) سورة المطففين: ٢٦.

(**٣٥٤**) سورة الحجرات: ١٣.

(٣٥٥) أخرجه النبي ﷺ مع جماعته من غرفته وأمر أن يأتوا بالأنصار فذكر لهم ما أراد أن

(**٣٥٥**) كشف الغمة: ج١ ص٤٢٠، الصراط المستقيم: ج٣ ص١٠٠، الصوارم المهرقة: ص٢٢٤، نهج الحق: ص٢٧٣، بحار الأنوار: ج٣٠ ص١٣٠ وص٤٦٦ وص٥١٣ وص٥٢٩ و٥٣٥ و٥٥١ و٥٩٢ و...

ومن مصادر العامة:

في صحيح البخاري: ج١ ص٣٧ ط دار الفكر ١٤٠١هـ أوفست على طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول: عن ابن عباس قال: (لما اشتد بالنبي ﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبيﷺ غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قالﷺ: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع، فخرج ابن عباس يقول: ان الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه).

وفي صحيح البخاري ج٤ ص٣١ ط دار الفكر ١٤٠١هـ: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء، فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه...).

وفي صحيح البخاري: ج٥ ص١٣٧-١٣٨ ط دار الفكر بيروت عام ١٤٠١هـ أوفست على طبعة دار الطباعة العامرة باستانبول: عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله ﷺ . أي الوفاة . وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول اللهﷺ: قوموا عني، قال عبيد الله: فكان يقول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول اللهﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم).

وفي صحيح البخاري: ج٨ ص١٦١ ط دار الفكر أوفست على دار الطباعة العامرة باستانبول: (عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر النبي ﷺ . أي الوفاة . قال: وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول اللهﷺ كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي ﷺ قال: قوموا عني، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم).

وفي صحيح مسلم: ج٥ ص٧٦ ط دار الفكر بيروت عن ابن عباس إنه قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: ائتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا، فقالوا إن رسول اللهﷺ يهجر).

وفي صحيح مسلم بشرح النووي: ج١١ ص٩٠ ط دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٧: (وفي رواية: فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله).

وفي مسند أحمد: ج١ ص٣٢٤-٣٢٥ ط دار صادر بيروت: عن ابن عباس قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة قال: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، قال: فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول يكتب لكم رسول الله ﷺ أو قال قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف وغم رسول الله ﷺ قال: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم).

وفي مسند أحمد: ج١ ص٣٥٥ ط دار صادر بيروت: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم نظرت إلى دموعه على خديه تنحدر كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: ائتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فقالوا: رسول الله ﷺ يهجر).

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج٨ ص١٠١ ط دار المعرفة بيروت : (فقال بعضهم إنه قد غلبه الوجع... ما شأنه يهجر... إن نبي الله ليهجر...).

وفي السنن الكبرى للنسائي: ج٣ ص٤٣٥ ح٥٨٥٧ ط: دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤١١هـ : عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال رسول الله ﷺ ائتوني باللوح والدواة والكتف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبدا، قالوا: رسول الله ﷺ يهجر).

وفي المصدر نفسه الحديث٥٨٥٦ عن جابر: (إن رسول الله ﷺ دعا بصحيفة في مرضه ليكتب فيها كتاباً لأمته لا يضلون بعده ولا يضلون وكان في البيت لغط وتكلم عمر فتركه).

وفي المصدر نفسه ج٤ ص٣٦٠ ح٧٥١٦: (عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاجتمعوا في البيت فقال قوم: يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، وقال قوم ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال لهم: قوموا عني، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما فات من الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتب لا تضلوا بعده أبداً لما كثر لغطهم واختلافهم).

وفي المعجم الكبير: ج١١ ص٣٥٢ ط مكتبة ابن تيمية القاهرة: عن ابن عباس: (لما كان يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى، فقال: قال رسول الله ﷺ ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبدا، فقالوا: يهجر رسول الله ﷺ ثم سكتوا وسكت...).

وفي البداية والنهاية لابن كثير: ج٥ ص٢٤٧-٢٤٨ ط: دار إحياء التراث العربي بيروت عام ١٤٠٨: عن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فقال النبي ﷺ: هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فقال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله).

وفي الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٤٣ ط دار صادر بيروت: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: وكأني أنظر إلى دموع ابن عباس على خده كأنها نظام لؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: ائتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبدا، قال: فقالوا إنما يهجر رسول الله ﷺ).

يذكر للمهاجرين وإن لم يكتبه[٣٥٦].

وقد يسأل سائل: لماذا لم يخرج النبي ﷺ القائل وجماعته فقط ويتكلم مع بقية المهاجرين ويوصي لهم بما أراد ويكتبها؟

الجواب: لأنهم كانوا سيكررون دعوى الرجل (إنه ليهجر) خوفاً أو طمعاً أو عصبية، وكان ذلك مما يجعلهم أن يعمموا دعواهم في سائر أوامره ونواهيه ﷺ ويسعوا في إسقاطها عن الحجية. إضافة إلى ما يتضمنه ذلك من التأديب ومن تكريس واقع التعددية الهادفة التي

وفي ص٢٤٣-٢٤٤: عن عمر بن الخطاب قال: (كنا عند النبي ﷺ وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: اغسلوني بسبع قرب وائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال النسوة: ائتوا رسول الله ﷺ بحاجته، قال عمر: فقلت: اسكتهن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه، فقال رسول الله ﷺ هن خير منكم).

وفي ص٢٤٤ عن جابر قال: (دعا النبي ﷺ عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لأمته لا يضلوا ولا يضلوا، فلغطوا عنده حتى رفضها النبي ﷺ).

وفي ص٢٤٤: عن الزهري بسنده عن ابن عباس قال: (لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط والاختلاف وغموا رسول الله ﷺ فقال: قوموا عني، فقال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم).

وفي تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٣٦ ط مؤسسة الأعلمي بيروت: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدي أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر، استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه).

وفي المصدر نفسه: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس، قال: ثم نظرت إلى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ ائتوني باللوح والدواة أو الكتف والدواة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده، قال: فقالوا: إن رسول الله يهجر).

(**٣٥٦**)فأكد عليهم ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرح لهم بعض ما يجري على أهل بيته عليهم السلام وهذا ما يستفاد من بعض الروايات، فإنه ورد في وصية النبي ﷺ عند قرب وفاته: «معاشر الأنصار، ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى . راوي الحديث .: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلا وقطع بقية كلامه وقال: هُتك والله حجاب الله، هُتك والله حجاب الله، هُتك والله حجاب الله يا أمه صلوات الله عليها». راجع بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٧٧ ب١ ضمن ح٢٧.

تستقي قيمتها من محاولة الوصول للحق لا لوأده، حيث أخرجهم الرسول ﷺ وطلب الأنصار.

(ثم رمت بطرفها نحو الأنصار)، الطرف: مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت، وهو أن ينظر ثم يغمض، كما يطلق الطرف أيضاً على العين نفسها، فإنها (عليها الصلاة والسلام) كانت توجه خطابها ـ عموماً ـ لمن غصب حقها مباشرة، ومن الطبيعي أن يكون المهاجرون أيضاً مورد هذا الخطاب حيث آزروه على اغتصاب الخلافة وفدك.

فقالت: يا معشر الفتية[٣٥٧]

توجيه الخطاب لفئة خاصة

مسألة: ينبغي ـ في الجملة ـ توجيه الخطاب لخصوص جمع، رغم توجيهه من قبل لمن يعمهم، فإنه أحرى بالتأثير وأوقع في القلب ومن مصاديق ﴿**فذكّر**﴾[٣٥٨] و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ولذلك ولغيره، وجهت عليها السلام الخطاب للأنصار بعد أن شملتهم بخطابها السابق: (أيها المسلمون) وغيره، فقالت: (يا معشر الفتية).

المعشر: عبارة عن الجماعة.

والفتية: جمع فتى وهو الشاب، وقد يطلق على الإنسان الكريم.

فقد أرادت (صلوات الله عليها) استثارة حمية الأنصار وغيرتهم في مقابل المهاجرين لعلهم يقولون شيئاً من الحق، ويتخذون موقفاً ضد الباطل، لكن الخوف والرعب كان قد استولى عليهم نتيجة الإرهاب الشديد الذي ساد بعد استشهاد الرسول الأعظم ﷺ والذي كان التخطيط له قد جرى من قبل الخليفة وجماعته قبل وفاة الرسول ﷺ حيث تواطؤوا على

(**٣٥٧**) وفي بعض النسخ: (يا معشر النقيبة)، وفي بعضها: (يا معشر البقية).

ية).

(**٣٥٨**) قال تعالى في سورة الغاشية الآية ٢١: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ ، وقال سبحانه في سورة ق الآية ٤٥: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وقال عزوجل في سورة الطور الآية ٢٩: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ وقال تعالى في سورة الأعلى الآية ٩: ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾.

ذلك..

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وإن أشد أقوام لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم»[٣٥٩].

ولهذا ابتدؤوا بعقد الرايات لعكرمة بن أبي جهل وعمومته الحارث بن هشام وغيرهم من بني مخزوم على بلاد اليمن..

وسموا خالد بن الوليد المخزومي الفاسق الذي قال فيه النبي ﷺ: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعله خالد»[٣٦٠] سيف الله، وسلطوه على مشتهياته من فروج المسلمين ودمائهم وأموالهم[٣٦١]..

---

(٣٥٩) الصوارم المهرقة: ص٢٩٠.

(٣٦٠) راجع إعلام الورى: ص١١٣، ونهج الحق: ٣٢٣.

(٣٦١) في بحار الأنوار: ج٣٠ ص٣٥٠: (ولما امتنع طائفة من الناس في دفع الزكاة إليه . أي إلى أبي بكر . وقالوا إنّ رسول اللهﷺ لم يأمرنا بدفع ذلك إليك، سمّاهم أهل الردّة، وبعث إليهم خالد بن الوليد في جيش، فقتل مقاتلهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وجعل ذلك فيئا للمسلمين، وقتل خالدُ بن الوليد رئيس القوم مالك بن نويرة، وأخذ امرأته فوطأها من ليلته تلك، واستحلّ الباقون فروج نسائهم من غير استبراء. وقد روى أهل الحديث جميعا بغير خلاف عن القوم الّذين كانوا مع خالد أنّهم قالوا أذّن مؤذّننا وأذّن مؤذّنهم، وصلّينا وصلّوا، وتشهّدنا وتشهّدوا، فأيّ ردّة هاهنا، مع ما رووه أنّ عمر قال لأبي بكر: كيف نقاتل قوما يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأنّ محمّدا رسول اللّه ﷺ، و قد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأنّي رسول اللّه ﷺ، فإذا قالوها حقنوا دماءهم وأموالهم. فقال: لو منعوني عقالا ممّا كانوا يدفعونه إلى رسول اللّه ﷺ لقاتلتهم أو قال لجاهدتهم، وكان هذا فعلا فظيعا في الإسلام وظلما عظيما، فكفى بذلك خزيا وكفرا وجهلا، وإنّما أخذ عليه عمر بسبب قتل مالك بن نويرة، لأنّه كان بين عمر وبين مالك خلّة أوجبت المعصية له من عمر. ثم رووا جميعا أنّ عمر لما ولي جمع من بقي من عشيرة مالك واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم، وردّ ذلك جميعا عليهم. فإن كان فعل أبي بكر بهنّ خطأ فقد أطعم المسلمين الحرام من أموالهم وملّكهم العبيد الأحرار من أبنائهم، وأوطأهم فروجا حراما من نسائهم، وإن كان ما فعله حقّا فقد أخذ عمر نساء قوم ملكوهنّ بحقّ فانتزعهنّ من أيديهم غصبا وظلما وردّهنّ إلى قوم لايستحقّونهنّ بوطئهنّ حراما من غير مباينة وقعت ولا أثمان دفعت إلى من كنّ عنده في تملّكه، فعلى كلا الحالين قد أخطئا جميعا أو أحدهما، لأنّهما أباحا للمسلمين فروجا حراما، وأطعماهم طعاما حراما من أموال المقتولين على دفع الزكاة إليه، وليس له ذلك على ما تقدّم ذكره). انتهى.

وفي الفضائل: ص٧٥-٧٦: قال البراء بن عازب: بينا رسول الله ﷺ جالس في أصحابه إذ أتاه وفد من بني تميم مالك بن نويرة فقال: يا رسول الله ﷺ علمني الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وتصلي الخمس وتصوم رمضان وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتوالي

وصيي هذا من بعدي وأشار إلى علي عليه السلام بيده، ولا تسفك دما ولا تسرق ولا تخون ولاتأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر وتوفي بشرائعي وتحلل حلالي وتحرم حرامي وتعطي الحق من نفسك للضعيف والقوي والكبير والصغير، حتى عد عليه شرائع الإسلام.

فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أعد علي فإني رجل نساء، فأعاد عليه فعقدها بيده وقام وهو يجر إزاره وهو يقول: تعلمت الإيمان ورب الكعبة، فلما بعد من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل، فقال أبو بكر وعمر: إلى من تشير يا رسول الله، فأطرق إلى الأرض، فجدا في السير فلحقاه فقالا: لك البشارة من الله ورسوله بالجنة.

فقال: أحسن الله تعالى بشارتكما إن كنتما ممن يشهد بما شهدت به فقد علمتما ما علمني النبي محمد، وإن لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما.

فقال أبو بكر: لا تقل فأنا أبو عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله .

قال: قلت ذلك فما حاجتكما.

قالا: إنك من أصحاب الجنة فاستغفر لنا.

فقال: لا غفر الله لكما تتركان رسول الله صاحب الشفاعة وتسألاني أستغفر لكما.

فرجعا والكآبة لائحة في وجهيهما، فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وآله تبسم وقال: أفي الحق مغضبة.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بن نويرة فخرج لينظر من قام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس فنظر إليه وقال: أخو تيم!

قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أمرني بموالاته؟

قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر.

قال: بالله ما حدث شيء وإنكم قد خنتم الله ورسوله، ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله صلى الله عليه وآله جالس.

فقال أبوبكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكان عنقه حتى أخرجاه فركب راحلته وأنشأ يقول

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
إذا مات بكر قام عمرو مقامه فتلك وبيت الله قاصمة الظهر
يدب ويغشاه العشار كأنما يجاهد جما أو يقوم على قبر
فلو قام فينا من قريش عصابة أقمنا ولكن القيام على جمر

قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤوس الأشهاد ولست آمن أن يفتق علينا فتقا لا يلتئم فاقتله.

فحين أتاه خالد ركب جواده وكان فارسا يعد بألف فخاف خالد منه فآمنه وأعطاه المواثيق ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه فقتله وأعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو الحمار والحديث طويل. انتهى ما في (الفضائل).

وفي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد: ج١ ص١٧٩ طرف من أخبار عمر بن الخطاب: (لما قتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته كان في عسكره أبو قتادة الأنصاري فركب فرسه والتحق بأبي بكر وحلف ألا يسير في

وسموا أبا عبيدة الجراح[٣٦٢] المجروح أمين الأمة وجعلوه مشيراً لهم..

وأرضوا أبا سفيان بتفويض إمارة الشام ولده يزيد[٣٦٣]، ووجهوا أسامة مع من كان في جيشه من الذين خافوا فتنتهم، مظهرين له إبقاءه على إمارته ليسكت عن مخالفتهم حتى إذا انتهى إلى نواحي الشام عزلوه واستعملوا مكانه يزيد بن أبي سفيان، فما كان بين خروج أسامة ورجوعه إلى المدينة إلاّ نحواً من أربعين يوماً، فلما قدم المدينة قام على باب المسجد ثم صاح: يا معشر المسلمين عجباً لرجل استعملني عليه رسول الله ﷺ فتآمر علي وعزلني[٣٦٤].

فغصب الخلافة كان تواطؤ بين الذين تصدّوا للغصب وبين آخرين كبعض بني تميم وبني

جيش تحت لواء خالد أبدا، فقص على أبي بكر القصة، فقال أبو بكر: لقد فتنت الغنائم العرب وترك خالد ما أمر به، فقال عمر: إن عليك أن تقيده بمالك، فسكت أبو بكر، وقدم خالد فدخل المسجد وعليه ثياب قد صدئت من الحديد وفي عمامته ثلاثة أسهم، فلما رآه عمر قال: أرياء يا عدو الله، عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امرأته، أما والله إن أمكنني الله منك لأرجمنك، ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها، وخالد ساكت لا يرد عليه ظنا أن ذلك عن أمر أبي بكر ورأيه، فلما دخل إلى أبي بكر وحدثه صدقه فيما حكاه وقبل عذره، فكان عمر يحرض أبا بكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك، فقال أبو بكر: إيها يا عمر ما هو بأول من أخطأ فارفع لسانك عنه ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين. انتهى.

(٣٦٢) عن الحارث بن الحصيرة الأسدي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (كنت دخلت مع أبي الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبدا، قال: قلت: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة). الكافي: ج٤ ص٥٤٥ ح٢٨.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قال: (نزلت هذه الآية في فلان وفلان وأبي عبيدة الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتوافقوا لئن مضى محمدٌ لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبدا، فأنزل الله عزوجل فيهم هذه الآية، قال: قلت: قوله عزو جل ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ قال: وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم). الكافي: ج٨ ص١٧٩ ح٢٠٢.

(٣٦٣) ولى أبوبكر يزيد بن أبي سفيان إمارة الشام وتوفي وهو خليفته على ذلك، فأقره عمر إلى أن مات فولى أخاه معاوية. انظر بحار الأنوار: ج٣٣ ص٢٠١. وإعلام الورى: ص١٣٨. والإفصاح: ص١٠٤.

(٣٦٤) الصوارم المهرقة: ص٢٩٠.

عدي وطوائف من قريش والسرّ في أن بني مخزوم وبني أمية وغيرهم من صناديد قريش لم يتصدوا لغصبها بأنفسهم وإنما حملوا ابن أبي قحافة على ذلك، لعدم سابقيتهم في الإسلام وسرعة توجه التهمة إليهم بمعاداة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأهل بيته، بل بمعاداة الأنصار أيضاً، فحملوا ابن أبي قحافة على أكتاف الناس رغماً لعلي عليه السلام ولهم[٣٦٥].

وقد ورد في الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام حيث سأله أحد أصحابه أن أحد المخالفين طرح عليه هذه الشبهة أن فلاناً وفلاناً هل أسلما طوعاً أو كرهاً، فقال عليه السلام: «لم لم تقل له: بل أسلما طمعاً، وذلك بأنهما كانا يجالسان اليهود ويستخبرانهم عما كانوا يجدون في التوارة وفي سائر الكتب المتقدمة الناطقة بالملاحم من حال إلى حال، من قصة محمد صلى الله عليه وآله ومن عواقب أمره، فكانت اليهود تذكر أن محمداً يسلط على العرب كما كان بخت نصر سلط على بني إسرائيل، ولابد له من الظفر بالعرب كما ظفر بخت نصر ببني إسرائيل».

ثم قال عليه السلام: «فأتيا محمداً فساعداه على شهادة أن لا إله إلا الله وبايعاه طمعاً في أن ينال كل واحد منهما من جهته ولاية بلد إذا استقامت أموره واستتبت أحواله، فلما آيسا من ذلك تلثما وصعدا العقبة مع عدة من أمثالهما من المنافقين على أن يقتلوه صلى الله عليه وآله فدفع الله تعالى كيدهم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، كما أتى طلحة والزبير علياً عليه السلام فبايعاه وطمع كل واحد منهما أن ينال من جهته ولاية بلد، فلما آيسا نكثا بيعته وخرجا عليه» الحديث[٣٦٦].

العقل والعاطفة

مسألة: من أساليب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شفع الدليل العقلي بالإثارة العاطفية، وتحريك العواطف نحو الالتزام بالحق أو الدفاع عن المظلوم، وقد ثبت ذلك في (علم النفس) أيضاً، وربما كان من ذلك قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[٣٦٧]، وقوله سبحانه: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل**

---

(٣٦٥) الصوارم المهرقة: ص٢٩٠.

(٣٦٦) كمال الدين: ج٢ ص٤٦٣ ب٤٣ ضمن ح٢١.

(٣٦٧) سورة القلم: ٤.

على الله إن الله يحب المتوكلين﴾[٣٦٨].

وهذا[٣٦٩] هو ما صنعته فاطمة الزهراء عليها السلام حيث استثارت همم الأنصار بقولها: «يا معشر النقيبة أو الفتية» تحريكاً للفتوة فيهم، وبقولها: «وأعضاد الملة...» تذكيراً لهم بماضيهم المشرق.

لا يقال: كيف خاف أولئك الذين آووا ونصروا كما في القرآن الحكيم[٣٧٠] وبذلوا النفس والنفيس في سبيل الرسول صلى الله عليه وآله والإسلام؟

لأنه يقال: من الواضح أن الناس يرهبون حكومات الانقلاب دائماً، فإن الحكومة العسكرية عادة تنسف الناس مالاً وعرضاً ودماً، وفي حياة الرسول صلى الله عليه وآله كان صلى الله عليه وآله هو قطب الرحى وعمود الخيمة الذي يستندون إليه وإلى حكومته، وكانت به استقامتهم وصبرهم وصمودهم، فلما توفي صلى الله عليه وآله وتحولت الحكومة إلى حكومة عسكرية إرهابية وتعرضوا لامتحان عسير، سقطوا في الامتحان وتراجعوا حتى عن الدفاع بالكلام إلا القليل منهم.

وكان ذلك كما أخبر جل وعلا: ﴿**أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾[٣٧١].

وكما جرى على مر التاريخ بالنسبة إلى الكثير من الأقوام، حيث قال تعالى: ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾[٣٧٢]، و...

وبالنسبة إلى الكثير من الأفراد حتى من امتلك الاسم الأعظم كما في قصة بلعم بن باعوراء[٣٧٣] حيث قال سبحانه: ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾[٣٧٤].

وتلك هي سنة الله في الحياة: ﴿**ألم ۞ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم**

---

(٣٦٨) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣٦٩) أي الشفع بين الدليل العقلي والعاطفي.

(٣٧٠) قال تعالى: ﴿ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ سورة الأنفال: ٧٢.

(٣٧١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٣٧٢) سورة الصف: ٥.

(٣٧٣) راجع قصص الأنبياء للجزائري: ص٣١١ الفصل العاشر في قصة بلعم بن باعوراء...

(٣٧٤) سورة الأعراف: ١٧٥.

لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[٣٧٥].

هذا مضافاً إلى أن العديد ممن كانوا يدعون الإسلام كانوا يبغضون أمير المؤمنين علياً عليه السلام لأجل هلاك آبائهم وإخوانهم وأولادهم بيده عليه السلام في غزوات النبي صلى الله عليه وآله حتى روي أنه لم يكن بيت من قريش إلا ولهم عليه دعوى دم أراقه في سبيل الله[٣٧٦]، فإن المشركين عندما كانوا يهاجمون رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يقتلوه كان أمير المؤمنين علي عليه السلام هو الذي يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله ويقتل المشركين.

وكان العديد منهم يحسدون أمير المؤمنين علياً عليه السلام على ما آتاه الله من فضله، خصوصاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم ومن أشبه.

قال تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾[٣٧٧].

وفي الحديث الشريف: «يعني بالناس ههنا أمير المؤمنين والأئمة»[٣٧٨].

بين طائفتين

مسألتان: استعداء طائفة من المؤمنين على طائفة أخرى محرم، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[٣٧٩]. وقال سبحانه: ﴿**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[٣٨٠]. وقال عزوجل: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء**﴾[٣٨١].

---

(٣٧٥) سورة العنكبوت: ١-٣.

(٣٧٦) راجع الصوارم المهرقة: ص٢٨٩.

(٣٧٧) سورة النساء: ٥٤.

(٣٧٨) تفسير القمي: ج١ ص١٤٠ سورة النساء.

(٣٧٩) سورة البقرة: ١٧٨، وسورة المائدة: ٩٤.

(٣٨٠) سورة البقرة: ١٩٠، وسورة المائدة: ٨٧.

(٣٨١) سورة المائدة: ٩١.

وقال تعالى: ﴿**فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[٣٨٢].

والاستنصار بطائفة على طائفة أخرى دفاعاً عن الحق والمظلوم واجب، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيء إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[٣٨٣]. ولذلك استنصرت فاطمة الزهراء عليها السلام الأنصار على المهاجرين كما هو أبين من الشمس.

بل قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[٣٨٤].

---

(٣٨٢) سورة المؤمنون: ٧، وسورة المعارج: ٣١.

(٣٨٣) سورة الحجرات: ٩.

(٣٨٤) سورة الحج: ٤٠.

المشتق بلحاظ حال التلبس

مسألة: المشتق حقيقة فيما انقضى عنه المبدأ بلحاظ حال التلبس، فإطلاقها عليهم (أعضاد الملة) عليهم حقيقة بهذا اللحاظ، ومجاز لو أريد الحال الحاضر ـ أي حال الخطاب ..

أو يقال[٣٨٧]: إن هذا الإطلاق وأشباهه مبني على الحال الغالب وليس على المفردات كلها، وهم كانوا كذلك في طابعهم العام وإن لم ينصروها عليهم في فدك.

أو يقال: إن هذه كانت صفتهم إلى الخطاب، أما بعده فسقطوا عنها لتخليهم عنها عليهم في فدك، وعن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة وسائر ما يتعلق بها.

والذي يدل على ذلك قولها عليها السلام فيما سيأتي: «فأنى حزتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان».

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين، ومن شهد رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجب فليس من المسلمين»[٣٨٨].

قولها عليها السلام: «وأعضاد الملة»، الأعضاد: جمع عضد، وهو عبارة عن: الأعوان، ولذا يقال: عضده بمعنى: نصره إي صار عضداً له.

و«الملة»: الأمة التي على طريقة واحدة.

قولها عليها السلام: «وأنصار الإسلام» فإنهم كانوا ينصرون الإسلام في صلاته وصيامه وحجه وجهاده وزكاته وسائر شؤونه، فيقال: أنصار الإسلام باعتبار المبدأ والدين، كما يقال: أنصار المسلمين أو أنصار زيد وعمرو باعتبار الفرد أو الأفراد.

وفي الحديث: إن جابراً كان يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك الأنصار ومجالسهم

---

(٣٨٥) وفي بعض النسخ: وأعوان الملة.

(**٣٨٦**) وفي بعض النسخ: وحضنة الإسلام.

(**٣٨٧**) لا يخفى أن مآل هذا القول ولاحقه إلى أن الإطلاق حقيقي.

(**٣٨٨**) الجعفريات: ص٨٨ باب وجوب الاهتمام بأمور المسلمين وإعانتهم.

ويقول: علي خير البشر فمن أبى فقد كفر، يا معشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي عليه السلام فمن أبى فانظروا في شأن أمه[٣٨٩].

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو آخذ بيد علي ابن أبي طالب وهو يقول: «يا معشر الأنصار، يا معشر بني هاشم، يا معشر بني عبد المطلب، أنا محمد رسول الله، ألا إني خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعلي وحمزة وجعفر» الحديث[٣٩٠].

وفي بعض النسخ (وحضنة الإسلام) فإنهم احتضنوا نواة الإسلام في المدينة قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وآله وبعده، ولكن في قصة الامتحان في الخلافة تغيرت المعادلة.

وفي كتاب كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: «... إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبضه الله إليه ونحن أهل بيته أحق الناس به، فقلنا: لا يعدل الناس عنا ولا يبخسونا حقنا، فما راعنا إلا والأنصار قد صارت إلى سقيفة بني ساعدة يطلبون هذا الأمر، فصار أبو بكر إليهم وعمر فيمن تبعهما، فاحتج أبو بكر عليهم بأن قريشاً أولى بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله منهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله من قريش وتوصل بذلك إلى الأمر دون الأنصار، فإن كانت الحجة لأبي بكر بقريش، فنحن أحق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ممن تقدمنا، لأننا أقرب من قريش كلها إليه وأخصهم به»[٣٩١].

نصرة الإسلام

مسألة: عضد الملة ونصرة الإسلام من الواجبات، ومن الواضح أن الإسلام الذي ارتضاه الله للناس هو مشروط بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث كمل الدين وأتمت النعمة بولايته عليه السلام وعند ذلك رضي الله الإسلام ديناً لنا، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا**﴾[٣٩٢].

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال

(**٣٨٩**) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٧٦-٧٧ المجلس ١٨ ضمن ح٦.

(**٣٩٠**) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢٠٦-٢٠٧ المجلس ٣٧ ضمن ح٧.

(**٣٩١**) الفصول المختارة: ص٢٨٧.

(**٣٩٢**) سورة المائدة: ٣.

أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نورا وجعل له حصنا وجعل له ناصرا، فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم، فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة، ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني إلى أهل الأرض فاستودع الله عزوجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي، فمؤمنو أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة، ألا فلو أن الرجل من أمتي عبد الله عزوجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضا لأهل بيتي وشيعتي ما فرج الله صدره إلا عن النفاق»(٣٩٣).

وعن مجاهد عن ابن عباس قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام فاطمة عليها السلام تحدثن نساء قريش وغيرهن وعيرنها وقلن: زوجك رسول الله صلى الله عليه وآله من عائل لا مال له.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة أما ترضين أن الله تبارك وتعالى اطلع اطلاعة إلى الأرض فاختار منها رجلين: أحدهما أبوك والآخر بعلك، يا فاطمة كنت أنا وعلي نورين بين يدي الله عزوجل مطيعين من قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزءين جزء أنا وجزء علي».

ثم إن قريشا تكلمت في ذلك وفشا الخبر فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فأمر بلالا فجمع الناس وخرج إلى مسجده ورقي منبره يحدث الناس بما خصه الله تعالى من الكرامة وبما خص به عليا وفاطمة عليها السلام فقال: «يا معشر الناس إنه بلغني مقالتكم وإني محدثكم حديثا فعوه واحفظوه مني واسمعوه فإني مخبركم بما خص به أهل البيت وبما خص به عليا عليه السلام من الفضل والكرامة وفضله عليكم، فلا تخالفوه فتنقلبوا على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين، معاشر الناس إن الله قد اختارني من خلقه فبعثني إليكم رسولا واختار لي عليا خليفة ووصيا، معاشر الناس إني لما أسري بي إلى السماء وتخلف عني جميع من كان معي من ملائكة السماوات وجبرئيل والملائكة المقربين ووصلت إلى حجب ربي دخلت سبعين ألف حجاب بين كل حجاب إلى حجاب من حجب العزة والقدرة والبهاء

---

(٣٩٣) الكافي: ج٢ ص٤٦ باب نسبة الإسلام ح٣.

والكرامة والكبرياء والعظمة والنور والظلمة والوقار، حتى وصلت إلى حجاب الجلال فناجيت ربي تبارك وتعالى وقمت بين يديه وتقدم إلي عز ذكره بما أحبه وأمرني بما أراد، لم أسأله لنفسي شيئا في علي عليه السلام إلا أعطاني ووعدني الشفاعة في شيعته وأوليائه، ثم قال لي الجليل جل جلاله: يا محمد من تحب من خلقي؟

قلت: أحب الذي تحبه أنت يا ربي.

قال لي جل جلاله: فأحب عليا، فإني أحبه وأحب من يحبه.

فخررت لله ساجدا مسبحا شاكرا لربي تبارك وتعالى.

فقال لي: يا محمد، علي وليي وخيرتي بعدك من خلقي، اخترته لك أخا ووصيا ووزيرا وصفيا وخليفة وناصرا لك على أعدائي، يا محمد وعزتي وجلالي لا يناوي عليا جبار إلا قصمته، ولا يقاتل عليا عدو من أعدائي إلا هزمته وأبدته، يا محمد إني اطلعت على قلوب عبادي فوجدت عليا أنصح خلقي لك وأطوعهم لك، فاتخذه أخا وخليفة ووصيا وزوّجه ابنتك فإني سأهب لهما غلامين طيبين طاهرين تقيين نقيين، فبي حلفت وعلى نفسي حتمت أنه لا يتولين عليا وزوجته وذريتهما أحد من خلقي إلا رفعت لواءه إلى قائمة عرشي وجنتي وبحبوحة كرامتي وسقيته من حظيرة قدسي، ولا يعاديهم أحد ويعدل عن ولايتهم يا محمد إلا سلبته ودي وباعدته من قربي وضاعفت عليهم عذابي ولعنتي، يا محمد إنك رسولي إلى جميع خلقي وإن عليا وليي وأمير المؤمنين وعلى ذلك أخذت ميثاق ملائكتي وأنبيائي وجميع خلقي من قبل أن أخلق خلقا في سمائي وأرضي محبة مني لك يا محمد ولعلي ولولدكما ولمن أحبكما وكان من شيعتكما ولذلك خلقتهم من خليقتكما.

فقلت: إلهي وسيدي فاجمع الأمة عليه، فأبى علي وقال: يا محمد إنه المبتلى والمبتلى به وإني جعلتكم محنة لخلقي أمتحن بكم جميع عبادي وخلقي في سمائي وأرضي وما فيهن، لأكمل الثواب لمن أطاعني فيكم وأحل عذابي ولعنتي على من خالفني فيكم وعصاني وبكم أميز الخبيث من الطيب، يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت آدم، ولولا علي ما خلقت الجنة، لأني بكم أجزي العباد يوم المعاد بالثواب والعقاب، وبعلي وبالأئمة من ولده أنتقم من أعدائي في دار الدنيا، ثم إلي المصير للعباد والمعاد، وأحكمكما في جنتي وناري فلا يدخل الجنة لكما عدو ولا يدخل النار لكما ولي، وبذلك أقسمت على نفسي.

ثم انصرفت فجعلت لا أخرج من حجاب من حجب ربي ذي الجلال والإكرام إلا سمعت في النداء ورائي: يا محمد قدم عليا، يا محمد استخلف عليا، يا محمد أوص إلى علي، يا محمد واخ عليا، يا محمد أحب من يحب عليا، يا محمد استوص بعلي وشيعته خيرا.

فلما وصلت إلى الملائكة جعلوا يهنئونني في السماوات ويقولون: هنيئا لك يا رسول الله بكرامة لك ولعلي.

معاشر الناس علي أخي في الدنيا والآخرة ووصيي وأميني على سري وسر رب العالمين ووزيري وخليفتي عليكم في حياتي وبعد وفاتي، لا يتقدمه أحد غيري، وخير من أخلف بعدي، ولقد أعلمني ربي تبارك وتعالى أنه سيد المسلمين وإمام المتقين وأمير المؤمنين ووارثي ووارث النبيين ووصي رسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين من شيعته وأهل ولايته إلى جنات النعيم بأمر رب العالمين، يبعثه الله يوم القيامة مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون، بيده لوائي لواء الحمد يسير به أمامي وتحته آدم وجميع من ولد من النبيين والشهداء والصالحين إلى جنات النعيم حتما من الله محتوما من رب العالمين، وعد وعدنيه ربي فيه ولن يخلف الله وعده وأنا على ذلك من الشاهدين»[٣٩٤].

ما هذه الغميزة[٣٩٥] في حقي؟

الغمز من قناة الحق

مسألتان: يحرم الغمز من قناة الحق، كما يحرم الضعف عن الدفاع عن الحق إن أدى إلى تضييعه، وتتأكد الحرمة إذا كان حقاً متعلقاً بأولياء الله الصالحين، فكيف بحق سيدة نساء العالمين عليها السلام.

فإن الحرمة كما تتأكد بلحاظ الزمان (كالمعصية في شهر الصيام أو ليلة القدر أو يوم الجمعة) والمكان (كشرب الخمر في المسجد وشبهها) كذلك تتأكد بلحاظ المنسوب إليه، مثلاً اتهام شخص عادي محرم، واتهام المؤمن العالم أشد حرمة، واتهام رسول الله صلى الله عليه وآله وآل

(**٣٩٤**) اليقين: ص٤٢٤-٤٢٨ ب١٥٨.

(**٣٩٥**) وفي بعض النسخ (والغميرة) بالراء وهو بمعنى الحقد، أو بمعنى الستر.

بيته الأطهار عليهم السلام أشد بمراتب وقد يوجب الكفر والارتداد، حسب الموازين المذكورة لهما في الأصول والفقه، وقد قال الإمام الحسين عليه السلام عندما وقف على مصرع ولده الأكبر عليه السلام: «ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع»[٣٩٦].

ومن هنا أفتى الفقهاء بأنه من زنى في شهر رمضان نهاراً أقيم عليه الحد وعوقب زيادة عليه لانتهاكه حرمة شهر رمضان[٣٩٧]، وكذلك الحكم في شارب الخمر في شهر رمضان[٣٩٨]، وكل من فعل شيئاً من المحظورات إن كان عليه حد أقيم عليه وعزر لانتهاكه حرمة شهر الصيام.

ومن زنى في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله أو في حرم إمام عليه السلام حد للزنا وعزر لانتهاكه حرمة حرم الله وأوليائه عليهم السلام وكذلك من فعل شيئاً يوجب عليه حداً في مسجد أو موضع عبادة وجب عليه مع الحد التعزير[٣٩٩].

ويغلظ عقاب من أتى محظوراً في ليالي الجمع وأيامها وليالي العبادات وأيامها كليلة النصف من شعبان وليلة الفطر ويومه، ويوم سبعة وعشرين من رجب، وخمسة وعشرين من ذي القعدة، وليلة سبع عشرة من ربيع الأول ويومه، وليلة الغدير ويومه، وليلة عاشوراء ويومه[٤٠٠].

وقال رحمه الله أيضاً: من نكح امرأة ميتة كان الحكم عليه الحكم في ناكح الحية سواء، وتغلظ عقوبته لجرأته على الله عزوجل في انتهاك محارمه والاستخفاف بما عظم فيه الزجر ووعظ به العباد[٤٠١].

ومعنى الغميزة: أن يشيروا بأن لا حق لها إن كانت بمعنى الطعن، أو معناها: الضعف عن المطالبة بحقها وهو الأنسب للقرينة المقامية وبقرينة (والسِنة). فالتقاعس عن الحق محرم وله أثره الوضعي في الدنيا قبل الآخرة.

---

(٣٩٦) إعلام الورى: ص٢٤٦ الفصل الرابع.

(٣٩٧) راجع موسوعة الفقه: ج٨٧ ص٢٧٩ كتاب الحدود والتعزيرات.

(٣٩٨) راجع موسوعة الفقه: ج٨٧ ص٢٨٠ كتاب الحدود والتعزيرات.

(٣٩٩) المقنعة: ص٧٨٢ باب حدود الزنا.

(٤٠٠) المقنعة: ص٧٨٢ باب حدود الزنا.

(٤٠١) المقنعة: ص٧٩٠ باب الحد في نكاح الأموات.

وقد قال الرسول ﷺ في دعائه يوم غدير خم لأمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «اللهم انصر من نصره، واخذل من خذله»[٤٠٢]، وهو يشمل كل أهل البيت عليهم السلام إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه[٤٠٣]، ودعاء الرسول ﷺ مستجاب قطعاً كما نشاهد ذلك تاريخياً بالنسبة إلى الذين خذلوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام أو نصروهم.

وقد استنصر أمير المؤمنين عليه السلام المهاجرين والأنصار فلم ينصروه، وفي احتجاجه عليه السلام مع القوم قال: «يا معاشر المهاجرين والأنصار، الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد ﷺ من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس، فوالله معاشر الجمع إن الله قضى وحكم، ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله، المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا، وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم».

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر، وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي عليه السلام: «يا هؤلاء كنت أدع رسول الله ﷺ مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحداً يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحللتموه، ولا علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالاً، فانشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يوم غدير خم يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع».

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلاً بدرياً بذلك، وكنت ممن سمع القول من رسول الله ﷺ فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي عليه السلام عليّ، فذهب بصري، قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت، وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي عليه السلام ففسخ المجلس

---

(٤٠٢) كشف الغمة: ج١ ص٢٤٥.

(٤٠٣) ليس المقصود التعميم، للمناط والملاك القطعي فقط بل لوضوح كونهم نوراً واحداً، كما أن علياً نفس الرسول بشهادة قوله تعالى: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ سورة آل عمران: ٦١، وهذا مع أن الأدلة على خذلان من خذل أهل البيت عليهم السلام كثيرة جداً.

وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك[٤٠٤].

وبشكل عام لا يجوز التقاعس عن نصرة أهل الحق مطلقاً، بل نصرتهم واجبة، وعدمها لها أثره الوضعي، لكنه كالكلي المشكك وبالنسبة إلى غيرهمﷺ في مرتبة دون مرتبتهم (عليهم الصلاة والسلام) حسب اختلاف الموضوع ودرجاته.

الحق القديم

مسألة: ليس (الزمان) من مسقطات الحق، فإن الحق القديم لا يبطله شيء كما ورد، على خلاف ما تذهب إليه القوانين الوضعية في عدد من الحقوق، وقد خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفرّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق»[٤٠٥].

فإذا كانت ظلامتها عليها السلام لا تزال قائمة .كما هو كذلك في العديد من القضايا ومنها فدك وغصب الخلافة . فإن الضعف عن الدفاع عنها والسِنة عن ظلامتها محرم على عامة الناس في هذا الزمن أيضاً.

فقولها عليها السلام: «ما هذا الغميزة عن حقي» وإن لم يشمل الأجيال اللاحقة خطاباً مباشراً إلا أنه يشملهم ملاكاً وضرورة.

(**٤٠٤**) الاحتجاج: ص٧٤-٧٥ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة..

(**٤٠٥**) شرح نهج البلاغة: ج١ ص٢٦٩. خطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن أبن عباس.

التواني في ظلامتها عليها السلام

مسألة: الظاهر أن مثل هذا العتاب يقتضي الحرمة، بقرينة المقام وغيره.

قولها عليها السلام: «والسِنة عن ظلامتي» السِنة: هي النعاس وأول النوم، قال سبحانه: ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾[٤٠٦]، كأنهم بعدم اعتنائهم بظلامتها وقضيتها (صلوات الله عليها) في حالة نوم ونعاس، كمن هو كذلك حيث لا يسمع ولا يرى ولا يجيب.

والظلامة: بالضم كالمظلمة، بمعنى ما يأخذه الظالم فتطلبه عنده، فإنهم لم يساعدوها (عليها الصلاة والسلام) في استرجاع فدك وخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

روي أن فاطمة عليها السلام جاءت إلى أبي بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبا بكر من يرثك إذا مت؟

قال: أهلي وولدي.

قالت: فما لي لا أرث رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قال: يا بنت رسول الله إن النبي لا يورث! ولكن أنفق على من كان ينفق عليه رسول الله وأعطي ما كان يعطيه.

قالت: والله لا أكلمك بكلمة ما حييت، فما كلمته حتى ماتت[٤٠٧].

وقد أخبرها عليها السلام رسول الله صلى الله عليه وآله بما يجري عليها من الظلم، حيث روى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في سكرات الموت، فانكبت عليه تبكي، ففتح عينه وأفاق ثم قال صلى الله عليه وآله: «يا بنية أنت المظلومة بعدي وأنت المستضعفة بعدي، فمن آذاك فقد آذاني، ومن غاظك فقد غاظني، ومن سرك فقد سرني، ومن برك فقد برني، ومن جفاك فقد جفاني، ومن وصلك فقد وصلني، ومن قطعك فقد قطعني، ومن أنصفك فقد أنصفني، ومن ظلمك فقد ظلمني، لأنك مني وأنا منك وأنت بضعة مني

---

(٤٠٦) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤٠٧) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٠٦ ب١١ نزول الآيات في أمر فدك وقصصه وجوامع الاحتجاج فيه.

وروحي التي بين جنبي»، ثم قال ﷺ: «إلى الله أشكو ظالميك من أمتي» ثم دخل الحسن والحسين عليهما السلام فانكبا على رسول الله ﷺ وهما يبكيان ويقولان: «أنفسنا لنفسك الفداء يا رسول الله» فذهب علي عليه السلام لينحيهما عنه، فرفع رأسه إليه ثم قال: «يا علي دعهما يشماني وأشمهما، ويتزودان مني وأتزود منهما، فإنهما مقتولان بعدي ظلما وعدوانا، فلعنة الله على من يقتلهما» ثم قال: «يا علي وأنت المظلوم المقتول بعدي وأنا خصم لمن أنت خصمه يوم القيامة»(٤٠٨).

وعن عكرمة عن عبد الله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي: يا أبتاه يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي»، فسمعت ذلك فاطمة عليها السلام فبكت فقال لها رسول الله ﷺ: «لا تبكين يا بنية» فقالت: «لست أبكي لما يصنع بي من بعدك ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله» فقال لها: «أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي»(٤٠٩).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ما رئيت فاطمة عليها السلام ضاحكة قط منذ قبض رسول الله ﷺ حتى قبضت»(٤١٠).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «البكاءون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليهم السلام، فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له ﴿**تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ**﴾(٤١١)، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار وإما أن تبكي النهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما، وأما فاطمة فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها قد آذيتنا بكثرة بكائك، وكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى

---

(٤٠٨) كشف الغمة: ج١ ص٤٩٧-٤٩٨.

(٤٠٩) الأمالي للطوسي: ص١٨٨ المجلس ٧ ح٣١٦.

(٤١٠) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٩٦ ب٧.

(٤١١) سورة يوسف: ٨٥.

تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿**إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون**﴾[٤١٢] إني لم أذكر مصرع بني فاطمة عليهم السلام إلا خنقتني لذلك عبرة»[٤١٣].

أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: «المرء يحفظ في ولده»[٤١٤]؟

الاستشهاد بكلام المعصوم عليه السلام

مسألة: يستحب الاستشهاد بكلام الرسول صلى الله عليه وآله وإن كان بمضمونه مَثَلٌ سائر، فإن إسناده إليه صلى الله عليه وآله أولى وأفضل، لكونه صلى الله عليه وآله حجة دون الأمثال، كما استشهدت عليها السلام بقوله صلى الله عليه وآله: «المرء يحفظ في ولده».

ومن ذلك يعرف أن المثل إذا استشهد به المعصوم عليه السلام صار حجة وأمكن التمسك بإطلاقه أو عمومه إلا إذا لم يكن عليه السلام في مقام البيان من تلك الجهة كما لا يخفى.

قال الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام) لابنته سكينة عليها السلام: «هيهات لو ترك القطا لنام»[٤١٥].

وفي رواية أنه عليه السلام قالها لأخته العقيلة زينب عليها السلام[٤١٦].

وفي الرواية: «الناس على دين ملوكهم»[٤١٧].

وفي الرواية: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[٤١٨].

وفي الرواية: «الناس بالناس»[٤١٩].

---

(٤١٢) سورة يوسف: ٨٦.

(٤١٣) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٨٠-٢٨١ ب٨٧ ح٣٦٥٥.

(٤١٤) وفي بعض النسخ: (أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحفظ).

(٤١٥) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٤٧ بقية الباب ٣٧.

(٤١٦) راجع بحار الأنوار: ج٤٥ ص٢ ب٣٧.

(٤١٧) كشف الغمة: ج٢ ص٢١.

(٤١٨) الكافي: ج٨ ص١٧٧ ح١٩٧ عن أبي عبد الله عليه السلام.

وعن رسول الله عليه السلام: «إذا لم تستح فافعل ما شئت»[٤٢٠].

وعنه صلى الله عليه وآله: «إنّ العرقَ دساس»[٤٢١].

وعنه صلى الله عليه وآله: «الجار ثم الدار»[٤٢٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «الحرب خدعة»[٤٢٣].

وعنه صلى الله عليه وآله: «سيد القوم خادمهم»[٤٢٤].

وعنه صلى الله عليه وآله: «خير الأمور أوسطها»[٤٢٥].

وعنه صلى الله عليه وآله: «ربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٤٢٦].

وعنه صلى الله عليه وآله: «العجلةُ من الشيطان»[٤٢٧].

وعنه صلى الله عليه وآله: «عند جهينة الخبر اليقين»[٤٢٨].

يحفظ المرء في ولده

مسألة: يجب حفظ المرء في ولده في الجملة، للأدلة الدالة على بعض المصاديق، ولكون قوله صلى الله عليه وآله: «المرء يحفظ في ولده» إنشاء بصيغة إخبار كقوله عليه السلام: «يعيد صلاته»، وقد يستحب ذلك، فالوجوب في مورده[٤٢٩] والاستحباب كذلك.

ومعنى (حفظ المرء في ولده) إيصال حقه إليهم ورعاية الاحترام اللائق بهم لنسبتهم به، إلى غير ذلك من الأمور المادية والمعنوية.

قال عليه السلام: «أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة رسول الله، وأن حرمة

---

(٤١٩) بحار الأنوار: ج٧٥ ص١٣٥ ب٢١ ح٣. تحف العقول: ص٢٧٨.

(٤٢٠) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٦٦ ب٩٣ ح١٠٠٣٠.

(٤٢١) مكارم الأخلاق: ص١٩٧.

(٤٢٢) وسائل الشيعة: ج٧ ص١١٢-١١٣ ب٤٢ ح٨٨٨٤.

(٤٢٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٨ ح٥٧٩٤.

(٤٢٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٧٨ ح٥٧٩١.

(٤٢٥) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٩٦ ح١٩٩.

(٤٢٦) الكافي: ج١ ص٤٠٣ ح١.

(٤٢٧) تحف العقول: ص٤٣ ح٥٨.

(٤٢٨) بحار الأنوار: ج٥٢ ص١٨٧ ب٢٥ ح١١.

(٤٢٩) كالإرث وشبهه.

رسول الله حرمة الله تعالى»[٤٣٠].

ومن هنا أخذ يخاطب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ويقول: «أما بعد، فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يصلح لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين، المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه..»[٤٣١].

هذا والعجب أن عائشة كانت تطالب بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فيها، وفاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام لم يراع في حقهم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي الحديث: إن بعد حرب جمل لما عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الكوفة، أنفذ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيأت لذلك، وأنفذ الإمام معها رعاية لها أربعين امرأة ألبسهن العمائم والقلانس وقلدهن السيوف وأمرهن أن يحفظنها ويكن عن يمينها وشمالها ومن ورائها، فجعلت عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بما فعل بي، بعث معي الرجال[٤٣٢] ولم يحفظ بي حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما قدمن المدينة معها ألقين العمائم والسيوف ودخلن معها، فلما رأتهن ندمت على ما فرطت بذم أمير المؤمنين عليه السلام وسبه، وقالت: جزى الله ابن أبي طالب خيراً، فلقد حفظ فيّ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله[٤٣٣].

قولها عليها السلام: «أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده»، فإن فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام) استدلت بنمطين من الاستدلال:

النمط الأول: أنها عليها السلام مع الحق، والحق معها، وأنها مظلومة، فاللازم الانتصار لها وأخذ ظلامتها من الخصم وردها إليها.

النمط الثاني: أنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، واللازم أن يحفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فيها، حيث قال: «المرء يحفظ في ولده»، فإن حفظ الأولاد وقضاء حوائجهم والقيام بأمورهم هو عبارة أخرى عن حفظ الوالد.

و(في) هنا بمعنى: النسبة على قول، مثله مثل قول المتكلمين: (الواجبات الشرعية ألطاف

---

(٤٣٠) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٥.

(٤٣١) الإرشاد: ج٢ ص٩٧.

(٤٣٢) هذا وقد خرجت هي مع الرجال لحرب أمير المؤمنين عليه السلام ولم ترع ذلك بنفسها!

(٤٣٣) راجع الجمل: ص٤١٥ إرسال عائشة إلى المدينة.

في الواجبات العقلية) أي: بالنسبة للواجبات العقلية.

أو أن (في) بمعنى: الظرفية المتسعة، فان الظرف له اتساع يصدق مع كل من الظرفية الحقيقية والمجازية وهنا الظرفية مجازية.

هذا وقد ورد التأكيد الكبير على لزوم إكرام ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «أنا شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتي، ورجل بذل ماله لذريتي عند الضيق، ورجل أحب ذريتي باللسان والقلب، ورجل سعى في قضاء حوائج ذريتي إذا طردوا أو شردوا»(٤٣٤).

وقال صلى الله عليه وآله: «من أحبني و أحب ذريتي أتاه جبرئيل إذا خرج من قبره فلا يمر بهول إلا أجازه إياه»(٤٣٥).

وقال صلى الله عليه وآله: «معاشر الناس إن عليا والطاهرين من ذريتي وولدي وولده هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الأكبر، وكل واحد منهما منبئ عن صاحبه وموافق له، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا إنهم أمناء الله في خلقه وحكامه في أرضه، ألا وقد أديت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أوضحت»(٤٣٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه و لسانه»(٤٣٧).

وفي الحديث: «إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام أتى عمر بن الخطاب وهو على المنبر يوم الجمعة، فقال له: انزل عن منبر أبي. فبكى عمر، ثم قال: صدقت يا بني، منبر أبيك لا منبر أبي، فقال عليّ عليه السلام ما هو واللّه عن رأيي، فقال: صدقت واللّه ما اتّهمتك يا أبا الحسن، ثم نزل عن المنبر فأخذه فأجلسه إلى جانبه على المنبر فخطب الناس وهو جالس على المنبر معه، ثم قال: أيّها الناس سمعت نبيّكم صلى الله عليه وآله يقول: احفظوني في عترتي وذريتي، فمن حفظني فيهم حفظه اللّه، ألا لعنة اللّه على من آذاني فيهم، ثلاثا»(٤٣٨).

---

(٤٣٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٣٢ ب١٧ ح٢١٦٩٠.

(٤٣٥) المناقب: ج٣ ص٢٣٧ فصل في حمايته لأوليائه.

(٤٣٦) راجع اليقين: ص٣٥١-٣٥٢ ب١٢٧.

(٤٣٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٤-٢٥ ب٣١ ح٤.

(٤٣٨) الأمالي للطوسي: ص٧٠٣ مجلس٤٠ ح١٥٠٤.

وفي تفسير العياشي[٤٣٩] عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وأن الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمائة سنة».

الولد يشمل الذكر والأنثى

مسألة: لا فرق بين الذكر والأنثى في وجوب أو استحباب محفوظيتهما في أولادهما، فإن قوله صلى الله عليه وآله: «يحفظ المرء في ولده» يشمل الرجل والمرأة، إذ المراد بالمرء: الإنسان، ولو كان المراد به ما هو جمع الرجل لكان الشمول بالملاك، وكان ذكره من باب الغالب، ومن الواضح أن (الولد) يطلق على الذكر والأنثى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير أولادكم البنات»[٤٤٠].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له»[٤٤١]، فإن الولد يشملهما كما لايخفى.

وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»[٤٤٢].

وقال صلى الله عليه وآله: «من سعادة المرء المسلم: الزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الهنيء، والولد الصالح»[٤٤٣].

وقال صلى الله عليه وآله: «من سعادة المرء الخلطاء الصالحون والولد البار»[٤٤٤].

حق الأجيال القادمة

مسألة: من الحقوق التي ينبغي مراعاتها حق الأجيال القادمة، على تفصيل ذكرناه في

(**٤٣٩**) تفسير العياشي: ج٢ ص٣٣٦ ح٥٨.

(٤٤٠) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١١٦ ب٣ ح١٧٧٠٨.

(٤٤١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٧٤ ب١٦ ح٢١٢٧٥.

(٤٤٢) الكافي: ج٦ ص٣ باب فضل الولد ح١٠.

(٤٤٣) دعائم الإسلام: ج٢ ص١٩٥ ف٢ ح٧٠٩.

(٤٤٤) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١١٣ ب٢ ح١٧٦٩٢.

بعض الكتب الاقتصادية بالنسبة إلى حيازة المباحات وما أشبه.

فإن هناك فرقاً واضحاً بين ما لو أنها عليها السلام قالت: (أما قال رسول الله)، وبين قولها عليها السلام: «أما كان رسول الله أبي يقول» فإن الثاني دال على الاستمرار دون الأول.

وقد كان صلى الله عليه وآله يهتم بحقوق الأجيال القادمة أيضاً، خاصة بلحاظ أن (الولد) يشمل أبناء الأبناء أيضاً[٤٤٥]، وبمسؤولية المجتمع تجاه الجيل الجديد ممن توفي آباؤهم بل حتى في حال حياة الآباء، خاصة إذا قلنا بأن (المرء يحفظ في ولده) دال بإطلاقه على حالتي الحياة والممات، إلا أن يقال بالانصراف، فتأمل.

هذا مضافاً إلى كثرة الروايات والآيات الواردة في مطلق الذرية مما يدل على لزوم الاهتمام بهم.

قال تعالى حكاية عن امرأة عمران: ﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾[٤٤٦].

وقال سبحانه: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾[٤٤٧]

وقال تعالى: ﴿**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ**﴾[٤٤٨].

وقال سبحانه: ﴿**وأصلح لي في ذريتي**﴾[٤٤٩].

وفي الدعاء: «أعيذ بك نفسي وأهلي وذريتي من الشيطان الرجيم»[٤٥٠].

وأيضا: «اللهم إني أستودعك نفسي وأهلي ومالي وذريتي ودنياي وآخرتي» الدعاء[٤٥١].

(**٤٤٥**) لاحظ قوله: (بنونا بنو أبنائنا)، ولاحظ إطلاق (ابن الرضا) على الإمام الهادي عليه السلام والعسكري عليه السلام ولاحظ قبل ذلك قوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾، سورة آل عمران: ٦١، وإطلاق (ابني رسول الله) على الحسن والحسين عليهما السلام فالشمول بالاطلاق، وإلا فبالملاك.

(**٤٤٦**) سورة آل عمران: ٣٦.

(**٤٤٧**) سورة آل عمران: ٣٨.

(**٤٤٨**) سورة النساء: ٩.

(**٤٤٩**) سورة الأحقاف: ١٥.

(**٤٥٠**) الكافي: ج٢ ص٥٨٥-٥٨٦ باب دعوات موجزات ضمن ح٢٤.

(**٤٥١**) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٧١ باب ما يستحب للمسافر ضمن ح٢٤١٣.

سرعان ما أحدثتم[٤٥٢]

مصدرية الخطبة

مسألة: يلزم على المؤرخين أن يعدّوا خطبتها عليها السلام مصدراً أساسياً ومعتمداً للأحداث التاريخية التي جرت في تلك الفترة، كما يلزم الانطلاق في (زاوية الرؤية) من المقاييس التي أعطتها عليها السلام في هذه الخطبة: من تقييم للأحداث أو للأشخاص.

فإن الحق ما قالوه، والصواب ما بينوه (صلوات الله عليهم أجمعين).

وفي زيارة الجامعة: «الحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه»[٤٥٣].

وقال عليه السلام: «سلم من صدقكم وهدي من اعتصم بكم»[٤٥٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «.. فليوال علي بن أبي طالب وذريته من بعده فهم الأئمة وهم الأوصياء أعطاهم الله علمي وفهمي، لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى، لا تعلموهم فهم أعلم منكم»[٤٥٥].

وقال صلى الله عليه وآله: «لا تعلموهم ولا تتقدموهم ولا تتخلفوا عنهم فإنهم مع الحق والحق معهم لا يزايلونه»[٤٥٦].

عن حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، وسأله سلمان عن الأئمة فقال: «الأئمة بعدي عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة، ألا إنهم مع الحق و الحق معهم فانظروا كيف تخلفوني فيهم»[٤٥٧].

وعن عمران بن حصين قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال معاشر الناس إني راحل عن

---

(٤٥٢) وفي بعض النسخ: (سرعان ما أجدبتم فاكديتم) أجدب القوم أي أصابهم الجدب، وأكدى الرجل إذا قل خيره.

(٤٥٣) راجع البلد الأمين: ص٢٩٩ أعمال شهر ذي الحجة.

(٤٥٤) راجع تهذيب الأحكام: ج٦ ص٩٧ ب٤٦ ضمن ح١.

(٤٥٥) راجع الخصال: ج٢ ص٥٥٨ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤٥٦) راجع كتاب سليم بن قيس: ص٦٤٦ ضمن الحديث الحادي عشر.

(٤٥٧) كفاية الأثر: ص١٢٩-١٣٠ باب ما جاء عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وآله.

قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيرا، فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله أليس الأئمة بعدك من عترتك، فقال: نعم الأئمة بعدي من عترتي بعدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة فمن تمسك بهم فقد تمسك بحبل الله لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم واتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم حتى يردوا علي الحوض»(٤٥٨).

الإحداث في الدين

مسألة: الإحداث في الدين محرم، والإسراع في الإحداث محرم آخر، لأن الفترة الزمانية والفاصل الزماني بين الإحداث المتأخر وبين الإحداث المسارع إليه أيضاً من مصاديق الإثم، ولما سبق أيضاً في الأجزاء السابقة، ويمكن استفادة الحرمة للمسارعة نحو الباطل من كلامها عليها السلام ههنا: «سرعان ما أحدثتم» بلحاظ كونها عليها السلام في مقام الذم والقدح والعتاب، فليتأمل.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن السنة والبدعة وعن الجماعة وعن الفرقة؟

فقال عليه السلام: «السنة ما سن رسول الله صلى الله عليه وآله، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلاً، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيراً»(٤٥٩).

وقال صلى الله عليه وآله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»(٤٦٠).

وقال عليه السلام: «من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»(٤٦١).

وقال عليه السلام: «من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الإسلام»(٤٦٢).

وقال صلى الله عليه وآله: «وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»(٤٦٣).

وقال صلى الله عليه وآله: «اتبعوا ولا تبتدعوا»(٤٦٤).

---

(٤٥٨) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٣٣٠ ب٤١ ح١٨٨.

(٤٥٩) معاني الأخبار: ص١٥٥ باب معنى السنّه والبدعة والجماعة والفرقة ح٣.

(٤٦٠) فقه القرآن: ج١ ص١٣٣ باب أحكام الجمعة.

(٤٦١) المناقب: ج٤ ص٢٥١.

(٤٦٢) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص٢٥٨ عقاب من ابتدع ديناً.

(٤٦٣) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص٢١١ المجلس ٢٤ ضمن ح١.

وروي عن العالم عليه السلام أنه قال: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة إلى النار»[٤٦٥].

وفي الحديث: «إنّ قليلا من سنّة خير من كثير بدعة، ألا وإنّ كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار»[٤٦٦].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليا من أهل بيتي موكلا به يذب عنه ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»[٤٦٧].

قولها عليها السلام: «سرعان ما أحدثتم»، سرعان: اسم فعل بمعنى: سرع، وفيه معنى التعجب، أي: ما أسرع ما أحدثتم في الدين وتركتم طريقة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله في ترك أهل بيته وخذلانهم عليهم السلام وعدم الدفاع عن المظلوم وفي التواني عن الأخذ بالحق الذي قرره أبي صلى الله عليه وآله لي.

وعجلان ذا إهالة

حفظ واستخدام الأمثال

مسألة: يستحب حفظ الأمثال التي استعملها المعصومون عليهم السلام واستخدامها وتداولها في شتى المحافل المناسبة، وبهذا القصد، فإنه نوع من إحياء أمرهم عليهم السلام فيما لو تعنون كذلك، إضافة إلى أن استخدام الأمثال في الخطاب يجعله أكثر تأثيراً، كما قالت (سلام الله عليها): «ذا إهالة».

وكذلك كان سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام يستخدمون الأمثال في الجملة، قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام) كما في الخطبة الشقشقية:

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر[٤٦٨]

وقال الإمام الحسين عليه السلام:

---

(٤٦٤) دعائم الإسلام: ج١ ص١٤٣.

(٤٦٥) فقه الرضا عليه السلام: ص٣٨٣ ب١٠٧.

(٤٦٦) راجع نهج الحق: ص٢٨٩.

(٤٦٧) الكافي: ج١ ص٥٤ باب البدع والرأي والمقاييس ح٥.

(٤٦٨) الإرشاد: ج١ ص٢٨٨.

فمـــا إن طبنـــا جـــبن ولكـــن منايانـــا ودولـــة آخرينـــا[٤٦٩]

إلى غير ذلك مما يجده المتتبع في كلماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وإنما كان استخدام الأمثال راجحاً لأنه أدعى للتأثير .كما سبق . وأقرب إلى القبول، إذ الناس عندما يعتادون شيئاً، يؤثر فيهم ذلك الشيء تأثيراً أسرع وأبلغ، بخلاف مجرد ذكر الواقع من دون المؤثرات، فإن تأثيره ليس بتلك المنزلة في كثير من الأحيان.

قال تعالى: ﴿**وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[٤٧٠].

وقال سبحانه: ﴿**كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ**﴾[٤٧١].

وقال عزوجل: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ**﴾[٤٧٢].

وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٤٧٣].

قولها عليها السلام: «وعجلان ذا إهالة»، عجلان: اسم فعل بمعنى: عجل، وفيه معنى التعجب، أي: ما أعجل تركك الإسلام وتركك للانتصار للمظلوم على الظالم.

والإهالة: عبارة عن الودك، وهو الدسومة في اللحم، قال الفيروز آبادي: قولهم: (سرعان ذا إهالة) أصلها: إن رجلاً كانت له نعجة عجفاء وكان رغامها[٤٧٤] يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الرغام أي ما أسرع هذا الحيوان في سيلان رغامه وماء أنفه (بل دسم لحمه) أو ما أسرع دسومته في السيلان والجريان . على تقديري الحال والتمييز ..

وهذا مثل يضرب لمن يسرع في الشيء الذي ليس له، فإن فدك لم تكن لأولئك الذي غصبوها، وقد أسرعوا في غصبها، كما إن الحيوان لم يكن له ودك يخرج من أنفه.

والظاهر أن مقصودها (صلوات الله وسلامه عليها) التعجب المزيج بالاستنكار، من مسارعة الأنصار وتعجيلهم ومبادرتهم إلى ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله في عدم نصرة ابنته، مع

---

(٤٦٩) الاحتجاج: ج٢ ص٣٠٠، مثير الأحزان: ص٥٥، اللهوف: ص٩٨.

(٤٧٠) سورة إبراهيم:٢٥.

(٤٧١) سورة الرعد: ١٧.

(٤٧٢) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٤٧٣) سورة الحشر: ٢١.

(٤٧٤) الرغام: المخاط.

قرب عهدهم به.

ولا تخفى دقة تشبيه حالتهم بالنعجة العجفاء التي يسيل ماء أنفها من الضعف والهزل والمرض ويتصور صاحبها . أو هكذا يحلو له أن يصور للآخرين . إنها معافاة سليمة سمينة بحيث تسيل دسومتها من أنفها.

فهكذا كان حال خلافتهم وسلطتهم، فهي عجفاء مريضة هزيلة قبيحة المنظر وإن حاول أصحابها تصويرها سمينة سليمة، فالعملية كلها تدليس وخداع لا أكثر.

ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول

نصرة أهل البيت عليهم السلام

مسألة: يجب نصرة أهل البيت عليهم السلام فيما يحاولون وما يطلبون ويزاولون، فإن الله سبحانه وتعالى أوجب نصرتهم، وحرم خذلانهم، وكل من النصرة والخذلان يعود نفعه إلى الناصر والخاذل.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله: «منصور من نصره ومخذول من خذله»(٤٧٥).

وقال تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(٤٧٦).

وقال سبحانه: ﴿**مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾(٤٧٧).

كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(٤٧٨).

وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً**﴾(٤٧٩).

وقد ذكرنا في بعض الكتب أن الذين نصروهم نُصِروا في الدنيا قبل الآخرة، والذي خذلوهم خُذِلوا في الدنيا قبل الآخرة.

---

(٤٧٥) راجع كشف الغمة: ج١ ص١٤٨، والمناقب: ج٣ ص٥٦ عن الخطيب البغدادي في تاريخه.

(٤٧٦) سورة الشورى: ٢٣.

(٤٧٧) سورة سبأ: ٤٧.

(٤٧٨) سورة الأعراف: ٩٦.

(٤٧٩) سورة آل عمران: ١٤٤.

وذلك مع ملاحظة معادلة (الامتداد الدنيوي) في ذريته وسمعته وتاريخه، إذ النصرة والخذلان لا يدوران مدار اللحظة، وليسا آنيين حتى في مثل الجيش المنتصر والجيش المنخذل، فإن المقياس ليس في النصر التكتيكي بل المقياس العقلائي هو النصر الاستراتيجي[٤٨٠]، أما في الآخرة فالأمر واضح.

وفي حديث احتجاج بعض الأصحاب مع أبي بكر في أمر الخلافة «ثم قام أبو أيوب الأنصاري، فقال: اتقوا عباد الله في أهل بيت نبيكم وارددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا ﷺ ومجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتي أئمتكم بعدي، ويومئ إلى علي عليه السلام ويقول: هذا أمير البررة، وقاتل الكفرة، مخذول من خذله، منصور من نصره، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا تتولوا عنه معرضين.

قال الصادق عليه السلام: فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لكع إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام، والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة» الحديث[٤٨١].

---

(٤٨٠) وانطلاقاً من هذا المنطلق الفطري والعقلائي قال الشاعر:

زعموا بأن قتل الحسين يزيدهم لكنما قتل الحسين يزيداً

(٤٨١) الاحتجاج: ص٧٩ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله ﷺ من اللجاج والحجاج في أمر الخلافة.

العصيان المدني

مسألة: يلزم التحريض على العصيان المدني وعلى النهضة الشعبية ضد الحكومة الجائرة كلاً أو ضد قرار جائر منها، لو لم يكن لإحقاق الحق طريق آخر، وهذا ما صنعته فاطمة الزهراء عليها السلام في مطاوي هذه الخطبة.

ومن الوسائل لذلك بعث الروح في الأفراد والفئات وإعادة ثقتهم بأنفسهم وتعريفهم بأن بمقدورهم ذلك لو أرادوا، كما قالت عليها السلام: «ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول».

قال عليه السلام: «من أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلزلة الأقدام»(٤٨٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مجالسة الموتى مفسدة للقلوب، فقيل له: يا رسول الله وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل ضال عن الإيمان وجائر في الأحكام»(٤٨٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم»(٤٨٤).

وقال عليه السلام: «من قواصم الظهر سلطان جائر يعصي الله وأنت تطيعه»(٤٨٥).

وقال عليه السلام: «لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله»(٤٨٦).

وقال عليه السلام: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»(٤٨٧).

وقال عليه السلام: «من آثر رضى رب قادر فليتكلم بكلمة عدل عند سلطان جائر»(٤٨٨).

---

(٤٨٢) كشف الريبة: ص٩٣ الفصل الخامس.

(٤٨٣) راجع الأمالي للشيخ المفيد: ص٣١٥ المجلس ٣٧ ضمن ح٦.

(٤٨٤) الاختصاص: ص٢٦١-٢٦٢ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٤٨٥) راجع دعائم الإسلام: ج٢ ص٥٤١ ضمن ح١٩٢٨ كتاب آداب القضاة.

(٤٨٦) تأويل الآيات: ص١٠٢ سورة البقرة.

(٤٨٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص١٢.

(٤٨٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٨ ح٨٠٢٩.

وقال عليه السلام: «من دخل على إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا لعن القارئ بكل حرف عشر لعنات ولعن المستمع بكل حرف لعنة»(٤٨٩).

وقال عليه السلام: «إن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به»(٤٩٠).

وفي الحديث القدسي قال تعالى: «لأعذبن كل رعية دانت بإمام جائر وإن كانت في نفسها برة تقية، ولأرحمن كل رعية دانت بإمام عادل مني، وإن كانت في نفسها غير برة تقية»(٤٩١).

بين القوة والطاقة

مسألتان: القدرة من شرائط التكليف عقلاً، وأما شرعاً فإن الله سبحانه وتعالى تفضلاً منه ورحمة لم يكتف في تشريع التكاليف بإناطتها بالقدرة العقلية فقط، بل لم يوجه التكليف عادة إلا مع توفر القدرة العرفية وعدم حصول العسر والحرج الكثيرين وهكذا الضرر.

قال تعالى: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾(٤٩٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا حرج لا حرج»(٤٩٣).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «لم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من حرج»(٤٩٤).

وقال تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾(٤٩٥).

وقال سبحانه: ﴿**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾(٤٩٦).

والسؤال هو هل أنه من الممكن أن الله يحمل المرء ما لا طاقة له به؟ فإن تحميل الإنسان ما لا طاقة له به خلاف العدل، والله عادل بالضرورة، فما معنى هذا الطلب؟

---

(٤٨٩) الاختصاص: ص٢٦٢.

(٤٩٠) الجمل: ص١٨٧ نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام لعثمان.

(٤٩١) الصراط المستقيم: ج٢ ص١٢٧ ف٤.

(٤٩٢) سورة الحج: ٧٨.

(٤٩٣) راجع الكافي: ج٤ ص٥٠٤ باب من قدم شيئاً أو أخره من مناسكه ضمن ح٢.

(٤٩٤) راجع الكافي: ج١ ص١٩١ باب في أنّ الأئمة شهداء الله (عزوجل) ضمن ح٤.

(٤٩٥) سورة البقرة: ١٨٥.

(٤٩٦) سورة البقرة: ٢٨٦.

والجواب: أن المراد نهاية الطاقة مما يكون عسراً وحرجاً لا أصل الطاقة، فالطلب هو طلب عدم تحميل ما هو عسر وحرج، وإذا لاحظنا التكاليف الإلهية نرى النادر منها . كالجهاد . عسرياً أو حرجياً، وذلك لمصلحة العبد نفسه أو لضرورة وحكمة أهم، إذ ضرر عدم الجهاد أكبر وأكثر.

قال في (متشابه القرآن): قوله تعالى: ﴿**لا تكلف نفس إلا وسعها**﴾[٤٩٧] الوسع دون الطاقة.

قال الشاعر:

كلفتها الوسع في سيري لها والوسع منها دون الجهد

وفي هذا دلالة على بطلان قول المجبرة من أن الله تعالى يكلف العبد ما لا قدرة له عليه[٤٩٨].

سئل الإمام الرضا عليه السلام فقيل له: هل يكلف الله العباد ما لا يطيقون؟ فقال عليه السلام: «الله أعدل من ذلك»[٤٩٩].

وفي التفسير: قوله سبحانه: ﴿**ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾ أي ما يشتد تكليفه من العبادات المتعبة، يقال والله ما أستطيع النظر إليك ولا أطيق الاكتحال برؤيتك مع أنه يراه[٥٠٠].

ولعل الفرق بين القوة والطاقة: أن الطاقة تطلق على القوى الكامنة في الإنسان نفسه، بخلاف القوة فإنها أعم، إذ قد تكون في غيره بسبب عشيرة أو سلاح أو مال أو جاه أو ما أشبه ذلك، وقد قال النبي لوط (عليه الصلاة والسلام): ﴿**لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد**﴾[٥٠١].

ولا يخفى أن القوة اللازمة لنصرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأخذ حقها من الغاصبين كانت موجودة في القوم، مضافاً إلى أن ذلك من باب الجهاد الذي يجب على الإنسان تحمل الضرر

---

(٤٩٧) سورة البقرة: ٢٣٣.

(٤٩٨) راجع متشابه القرآن: ج١ ص١٤٦.

(٤٩٩) راجع متشابه القرآن: ج١ ص١٤٦.

(٥٠٠) راجع متشابه القرآن: ج١ ص١٤٦.

(٥٠١) سورة هود: ٨٠.

فيه وما أشبه.

وفي حديث المناشدة قال عليه السلام: «أنشدكم بالله أتعلمون أن الله عزوجل أنزل في سورة الحج ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُمْ وافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٥٠٢] إلى آخر السورة فقام سلمان فقال: يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم»؟

قال صلى الله عليه وآله: «عنى بذلك ثلاثة عشر رجلا خاصة دون هذه الأمة».

فقال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: «أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي».

قالوا: اللهم نعم.

قال عليه السلام: «أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيبا ولم يخطب بعد ذلك، فقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لا تضلوا فإن اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» فقام عمر بن الخطاب وهو شبه المغضب فقال: يا رسول الله أكل أهل بيتك؟ قال: «لا ولكن أوصيائي منهم أولهم أخي ووزيري وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي هو أولهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحد بعد واحد حتى يردوا علي الحوض، شهداء لله في أرضه وحججه على خلقه وخزان علمه ومعادن حكمته، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله».

فقالوا كلهم: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك[٥٠٣].

(**٥٠٢**) سورة الحج: ٧٧.

(**٥٠٣**) راجع الاحتجاج: ج١ ص١٤٩.

تبرير التقاعس

مسألة: يحرم (تبرير) عدم التصدي للطغاة بـ(عدم القدرة) أو (قوة الحكومة) أو (التخويف من بطشها) في كثير من الحالات، حيث إن القدرة موجودة، وكان من مصاديق ذلك كثير من الأنصار والمهاجرين الذي ألجمهم الخوف وأقعدهم عن نصرة الحق، ولذلك قالت (صلوات الله عليها) إتماما للحجة عليهم وإرشاداً للأجيال القادمة: «ولكم طاقة بما أحاول».

وعند دراسة نفسية المجتمعات البشرية على مر التاريخ نكتشف أن الكثير من الذي تعللوا في عدم الدفاع عن الحق بعدم المقدرة على التصدي للحكومة، كاذبون أو مخادعون، قال تعالى: ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة ۞ ولو ألقى معاذيره**﴾[٥٠٤].

قال عليه السلام: «إذا دعاك الرجل لتشهد له على دَين أو حق لم ينبغ لك أن تقاعس عنه»[٥٠٥].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيما مؤمن منع مؤمنا شيئا مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسودا وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار»[٥٠٦].

وعن الصادق عليه السلام قال: «من رأى أخاه على أمر يكرهه فلم يرده عنه وهو يقدر عليه فقد خانه»[٥٠٧].

وقال عليه السلام: «من سأله أخوه المؤمن حاجة من ضر فمنعه من سعة وهو يقدر عليها من عنده أو من عند غيره حشره الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يفرغ الله من حساب الخلق»[٥٠٨].

---

(٥٠٤) سورة القيامة: ١٤-١٥.

(٥٠٥) الكافي: ج٧ ص٣٨٠ باب الرجل يدعى إلى الشهادة ح٣.

(٥٠٦) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٨٧-٣٨٨ ب٣٩ ح٢١٨٣٦.

(٥٠٧) راجع الأمالي للصدوق: ص٢٦٩-٢٧٠ المجلس٤٦ ضمن ح١.

(٥٠٨) مشكاة الأنوار: ص١٨٦ ب٤ ف الأول في اتخاذ الأخوان.

وقال عليه السلام: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا و الآخرة»[٥٠٩].

وقال عليه السلام «أيما مؤمن سأل أخاه المؤمن حاجة وهو يقدر على قضائها فرده بها سلط الله عليه شجاعا في قبره ينهش أصابعه»[٥١٠].

وقال عليه السلام: «أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة من الله عزوجل ساقها إليه وسببها له وذخر الله عزوجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره»[٥١١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة وهو يقدر على قضائها فمنعه إياها عيره الله يوم القيامة تعييرا شديدا وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاها في يدك فمنعته إياها زهدا منك في ثوابها وعزتي لا أنظر إليك في حاجة معذبا كنت أو مغفورا لك»[٥١٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخواننا فاستعان به في حاجة فلم يعنه وهو يقدر، ابتلاه الله عزوجل بأن يقضي حوائج عدو من أعدائنا يعذبه الله عليه يوم القيامة»[٥١٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لم يدع رجل معونة أخيه المسلم حتى يسعى فيها ويواسيه إلا ابتلي بمعونة من يأثم ولا يؤجر»[٥١٤].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيرا به في بعض أحواله

---

(٥٠٩) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٦٧-٢٦٨ ب١٤٦ ح١٦٢٧٤.

(٥١٠) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٣٧ ب٣٨ ح١٤٥٥٦.

(٥١١) راجع الكافي: ج٢ ص١٩٣-١٩٤ باب قضاء حاجة المؤمن ضمن ح٥.

(٥١٢) الأمالي للطوسي: ص٩٩ المجلس٤ ح١٥٢.

(٥١٣) ثواب الأعمال: ص٢٤٩ عقاب من استعان به المؤمن فلم يعنه.

(٥١٤) الكافي: ج٢ ص٣٦٦ باب من استعان به أخوه فلم يعنه ح٣.

فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزوجل»[٥١٥].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة ولم يبالغ فيها بكل جهد فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» قال أبو بصير: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تعني بقولك والمؤمنين؟ قال: «من لدن أمير المؤمنين عليه السلام إلى آخرهم»[٥١٦].

وعن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من مشى في حاجة أخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه»[٥١٧].

وعن أبي الحسن الثالث عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا تخب راجيك فيمقتك الله ويعاديك»[٥١٨].

هذا كله بالنسبة إلى المؤمن العادي فكيف بأهل البيت عليهم السلام والتقاعس عن حقهم.

عدالة الصحابة

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام هذا: أن الحاضرين في المسجد آنذاك (إلا من خرج بالدليل) عاصون آثمون حينما سمعوا بظلامتها وكانوا قادرين على دفعها فلم يفعلوا.

وحيث إن هذه المعصية من الكبائر بل من أكبرها وأشدها[٥١٩] لذلك فإن هذا الموقف منهم وتخاذلهم عن نصرة فاطمة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام أسقط من كان عادلا منهم عن العدالة كما هو واضح.

فكل ما يشترط فيه العدالة لا حق لهم فيه[٥٢٠] ولا حجية لقولهم فيه[٥٢١]، أما ما

---

(٥١٥) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٨٦ ب٣٧ ح٢١٨٣٤.

(٥١٦) المحاسن: ج١ ص٩٨ ب٢٨ ح٦٥.

(٥١٧) الكافي: ج٢ ص٣٦٣ باب من لم يناصح أخاه المؤمن ح٤.

(٥١٨) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤٣٥ ب٣٨ ح١٤٥٤٨.

(٥١٩) لأنه تخاذل عن نصرة سيدة نساء العالمين وعن نصرة أمير المؤمنين علي وهو الإمام على الخلق أجمعين، وإيذاء لها عليها السلام و(من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) ومن كان كذلك (أكبه الله على منخره في النار).

(٥٢٠) كإمامة الجماعة والقضاء.

(٥٢١) كالشهادة.

يكفي فيه الوثاقة فمن ثبتت وثاقته يكون حاله كما في بني فضال حيث سألوا: كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء، فقال عليه السلام: «خذوا بما رووا وذروا ما رأوا»[٥٢٢]، وكذا ما ورد في كتب ابن أبي العزاقر بعد ما ذم وخرجت فيه اللعنة[٥٢٣] على تفصيل مذكور في محله.

ولا يكتفي في عدالة الشخص بمعرفة حاله قبل هذه القضية إلا إذا علم أنه لم يكن من الساكتين والمتخاذلين، قال عليه السلام: «السكوت عند الضرورة بدعة»[٥٢٤]، ولو شك فهل أن وقوعه طرفاً للعلم الإجمالي قادح في استصحاب حاله أم لا، رغم كونه من شبهة الكثير في الكثير؟ فتأمل.

وقد ورد في الحديث الشريف: قال سليم ثم أقبل عليه السلام على سلمان فقال: «إن القوم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا من عصمة الله بآل محمد»[٥٢٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير أربعة»[٥٢٦].

وهكذا في مقتل الإمام الحسين عليه السلام حيث ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة»[٥٢٧].

قولها عليها السلام: «ولكم طاقة بما أحاول»، أي: بما أريد من استرجاع فدك لأن الأنصار كانوا أقوياء[٥٢٨] فكان عليهم أن يواجهوا ابن أبي قحافة ويشمروا سواعدهم لاسترجاع فدك، ولو فعلوا ذلك لردت فدك، إلا أنهم سكتوا ولم يتصدوا للدفاع.

قولها عليها السلام: «وقوة على ما أطلب وأزاول» يقال: (زاوله) أي: مارسه وعمل لإصلاحه مثلاً، فان فاطمة (عليها الصلاة والسلام) كانت تزاول مسؤولية كبرى ومهمة خطيرة في محاولتها استرجاع فدك، والأنصار كانت لهم قوة على مساعدتها في استرجاع حقها المغتصب.

---

(٥٢٢) الغيبة للطوسي: ص٣٩٠.

(٥٢٣) الغيبة للطوسي: ص٣٩١-٣٩٢.

(٥٢٤) غوالي اللئالي: ج١ ص٢٩٣ ف١٠ ح١٧٥.

(٥٢٥) الاحتجاج: ج١ ص٨٦ ذكر طرف مما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥٢٦) كتاب سليم بن قيس: ص٥٩٨ الحديث الرابع.

(٥٢٧) رجال الكشي: ص١٢٣ ح١٩٤، يحيى بن أم طويل.

(٥٢٨) بل أن أربعين شخصاً لو استعدوا لكفى كما يفهم من الأحاديث.

علماً بأن (فدك) لم تكن مجرد قطعة أرض بل كانت (رمزاً) للحقيقة، وكاشفاً عن كل من جبهتي الحق والباطل، أي كان لها جانب طريقي وموضوعي، ولذلك حد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حدود فدك بحدود الدولة الإسلامية. روى علي بن أسباط قال: سئل موسى بن جعفر عليه السلام عن حدود فدك؟ فقال: «حدها الأول عرش مصر، والحد الثاني دومة الجندل، والحد الثالث تيماء، والحد الرابع جبال أحد من المدينة»(٥٢٩).

ومن هنا يعلم أن «ما أطلب» ليس مقتصراً على فدك، بل سائر الحقوق المضيعة أيضاً، ومنها الخلافة المغتصبة، ويفهم ذلك بالقرائن المقامية والمقالية الأخرى، وإن كان الظاهر المطالبة بفدك فحسب.

أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله

أدلة الخصم

مسألة: استعراض أدلة الخصم في مقام الرد جائز، بل راجح وربما وجب، قال تعالى: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾**(٥٣٠).

وقال سبحانه: **﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**(٥٣١).

وقال تعالى: **﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ﴾**(٥٣٢).

وقال عزوجل: **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾**(٥٣٣).

---

(٥٢٩) الطرائف: ج١ ص٢٥٢ ح٣٥٠.

(٥٣٠) سورة يس: ٧٨-٧٩.

(٥٣١) سورة البقرة: ٨٠.

(٥٣٢) سورة البقرة: ٨٨.

(٥٣٣) سورة البقرة: ٢٧٥.

وقال سبحانه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَيَهْتَدُونَ**﴾(٥٣٤).

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(٥٣٥).

وقال عزوجل: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**﴾(٥٣٦).

وكما ذكرت الصديقة الطاهرة عليها السلام في هذه الخطبة عدداً من استدلالاتهم أو من دوافعهم، ومنها: «أتقولون مات محمد»؟

ولا يخفى أن الجواب محذوف وهذا من قبيل قوله سبحانه: ﴿**أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ**﴾(٥٣٧)، وما أشبه ذلك كما ذكره البلغاء(٥٣٨).

أي: أتقولون إن محمداً صلى الله عليه وآله مات وانتهى الأمر، أي فسقط التكليف عنا، أهذا هو الصحيح، كلا وألف كلا، إذ أن تكاليف الإسلام تكاليف دائمة، سواء مات الرسول صلى الله عليه وآله أم بقي على قيد الحياة، فإذا كانت حجتكم للتواني والتكاسل أن الرسول صلى الله عليه وآله قد مات وانقطع أمره فهذا خطأ بين، لأن أوامر الرسول صلى الله عليه وآله لا تنقطع بموته.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ولأن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعاً وما خلق الله حلالا ولا حراماً إلا فيها ... حتى أرش الخدش وما سواها، والجلدة ونصف الجلدة»(٥٣٩).

وفي الخبر: «إن النبي صلى الله عليه وآله كان يخبر عن وفاته بمدة ويقول قد حان مني خفوق من بين أظهركم، وكانت المنافقون يقولون: لئن مات محمد لنخرب دينه، فلما كان موقف الغدير

---

(٥٣٤) سورة المائدة: ١٠٤.

(٥٣٥) سورة الأنعام: ٣٧.

(٥٣٦) سورة المائدة: ١٨.

(٥٣٧) سورة الزمر: ٩.

(٥٣٨) راجع كتاب (البلاغة) للإمام الشيرازي رحمه الله.

(٥٣٩) راجع بصائر الدرجات: ص١٤٨ ب١٣ باب آخر فيه أمر الكتب ضمن ح٧.

قالوا: بطل كيدنا، فنزلت:﴿**اليوم يئس الذين كفروا**﴾[٥٤٠] الآية»[٥٤١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال في قوله: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[٥٤٢] «الآية نزلت فيهم، وذلك حيث اجتمعوا فقالوا لئن مات محمد لم نسمع لعلي عليه السلام ولا لأحد من أهل بيته»[٥٤٣].

وفي تفسير القمي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، قالوا: يا رسول الله ما الثقلان، قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يراد عليّ الحوض كإصبعيّ هاتين، وجمع بين سبابتيه، ولا أقول كهاتين، وجمع بين سبابته والوسطى فتفضل هذه على هذه» فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فانزل الله على نبيه في ذلك ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ۞ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾[٥٤٤] الحديث[٥٤٥].

وعن سليمان بن خالد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله:﴿**إِنَّمَا النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ**﴾[٥٤٦] قال: «فلان، قوله: ﴿**ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رابِعُهُمْ**﴾[٥٤٧] فلان وفلان وابن فلان أمينهم، حين اجتمعوا فدخلوا الكعبة فكتبوا بينهم كتابا إن مات محمد أن لا يرجع الأمر فيهم أبدا»[٥٤٨].

قال العلامة المجلسي رحمه الله: أبو فلان أبو عبيدة[٥٤٩].

---

(٥٤٠) سورة المائدة: ٣

(٥٤١) المناقب: ج٣ ص٤٠ فصل في قصة يوم الغدير.

(٥٤٢) سورة آل عمران: ٣١.

(٥٤٣) المناقب: ج٣ ص٢٠٥ فصل في بغضه عليه السلام.

(٥٤٤) سورة الزخرف: ٧٩-٨٠.

(٥٤٥) تفسير القمي: ج١ ص١٧٣ خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير.

(٥٤٦) سورة المجادلة: ١٠.

(٥٤٧) سورة المجادلة: ٧.

(٥٤٨) تفسير القمي: ج٢ ص٣٥٦

(٥٤٩) بحار الأنوار: ج٢٨ص٨٦ ب٣ ح٢.

وفي الحديث أن بعض أصحاب النبي ﷺ الذين ارتدوا بعده قالوا: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال[٥٥٠] وقال هاهنا ما قال وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له . أي لعلي عليه السلام . فاجتمعوا أربعة عشر نفرا وتآمروا على قتل رسول الله ﷺ وقعدوا في العقبة، وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله ﷺ، فلما جن الليل تقدم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمد إن فلانا وفلانا قد قعدوا لك.

فنظر رسول الله ﷺ فقال: «من هذا خلفي».

فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان.

قال: سمعت ما سمعت.

قال: بلى.

قال: فاكتم.

ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم.

فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ فروا ودخلوا في غمار الناس وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله ﷺ وطلبوهم وانتهى رسول الله ﷺ إلى رواحلهم فعرفهم.

فلما نزل قال ﷺ: «ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبدا».

فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئا ولم يريدوه ولم يكتموا شيئا من رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ما قالُوا**﴾ أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ ﴿**وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا**﴾ من قتل رسول الله ﷺ ﴿**وَما نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْناهُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ وَما لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ**﴾[٥٥١] فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وبقي بها محرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئا ثم ابتدأ به الوجع الذي توفي فيه رسول الله ﷺ.

---

(٥٥٠) أي في أمر ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته من بعده.

(٥٥١) سورة التوبة: ٧٤.

قولها عليها السلام: «أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله» فيه إشارة وتذكير أيضاً بالآية الشريفة: ﴿**أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾(٥٥٢).

عند أمن الإضلال

مسألة: يختص جواز استعراض أدلة الخصم بما لم يوجب الإضلال، كما هو واضح، وذلك كما لو كان السائل ـ أو الجمهور ـ بحيث لو طرحت عليه الشبهة لأثرت فيه دون أن يقتنع بعدها بالجواب أو الأجوبة، وقد أمرنا الأئمة أن لا نكلم الناس إلا على قدر عقولهم(٥٥٣)، وقال صلى الله عليه وآله: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»(٥٥٤)، ولو كان القراء أو المستمعون مختلفين من هذه الجهة لوحظ ذلك أيضاً، أو الأهم أو ما أشبه.

ومثله حكم كتب الضلال حيث قال الفقهاء بحرمة حفظها والتكسب بها إلا للردّ، قال في المقنعة: «ولا يحل كتب الكفر وتجليده الصحف إلا لإثبات الحجج في فساده، والتكسب بحفظ كتب الضلال وكتبه على غير ما ذكرناه حرام»(٥٥٥).

قال الشيخ رحمه الله في المكاسب: «حفظ كتب الضلال حرام في الجملة، بلا خلاف كما في التذكرة والمنتهى، ويدل عليه مضافاً إلى حكم العقل بوجوب قطع مادة الفساد، والذم المستفاد من قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله**﴾(٥٥٦) والأمر بالإعراض عن قول الزور، وقوله عليه السلام فيما تقدم من رواية تحف العقول: إنما حرم الله تعالى الصناعة التي هي حرام كلها التي يجيء منها الفساد محضاً، إلى آخر الحديث. بل قوله عليه السلام قبل ذلك: أو يقوى به الكفر والشرك من جميع وجوه المعاصي أو باب يوهن به الحق، إلى آخره»(٥٥٧).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله غافر كل ذنب إلا من أحدث دينا أو اغتصب أجيرا أجره

---

(٥٥٢) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٥٥٣) انظر التوحيد: ص١٢٠ ب٨ ضمن ح٢٢.

(٥٥٤) الكافي: ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٥.

(٥٥٥) المقنعة: ص٥٨٨-٥٨٩ باب المكاسب.

(٥٥٦) سورة لقمان: ٦.

(٥٥٧) إيصال الطالب إلى المكاسب: ج٢ ص١٧٩-١٨٠ السابعة حفظ كتب الضلال.

أو رجل باع حرا»[٥٥٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها، وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها فطلبتها من حرام فلم تقدر عليها، أفلا أدلك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك؟

فقال: بلى.

قال: تبتدع دينا وتدعو إليه الناس.

ففعل، فاستجاب له الناس فأطاعوه فأصاب من الدنيا، ثم إنه فكر فقال: ما صنعت ابتدعت دينا ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلا أن آتي من دعوته إليه فأرده عنه.

فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل وإنما ابتدعته.

فجعلوا يقولون: كذبت هو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه.

فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتدا ثم جعلها في عنقه وقال: لا أحلها حتى يتوب الله عليّ.

فأوحى الله عزوجل إلى نبي من الأنبياء: قل لفلان: وعزتي وجلالي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه»[٥٥٩].

وعن الثمالي: قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ**﴾[٥٦٠]، قال: «عنى الله بها من اتخذ دينه رأيه من غير إمام من أئمة الهدى»[٥٦١].

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: قول الله تبارك وتعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾[٥٦٢]. فقال: «من أخرجها من ضلال إلى هدى فقد أحياها، ومن

---

(٥٥٨) وسائل الشيعة: ج١٩ ص١٠٨ ب٥ ح٢٤٢٥٦.

(٥٥٩) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٧٢-٥٧٣ باب معرفة الكبائر ح٤٩٥٨.

(٥٦٠) سورة القصص: ٥٠.

(٥٦١) بصائر الدرجات: ص١٣ ب٨ ح٣.

(٥٦٢) سورة المائدة: ٣٢.

أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها»[٥٦٣].

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من دعي إلى ضلال لم يزل في سخط الله حتى يرجع منه»[٥٦٤].

لا تقاعس بموت القائد

مسألة: يحرم تبرير التقاعس[٥٦٥] بموت القائد أو غيابه، أو بعدم قيام الآخرين بالدور المناط بهم، كما نجد كثيراً من الناس يتعلل لعدم العمل بأن العالم الفلاني أو التجمع الفلاني لم يقم بواجبه من الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه أفأقوم بهما أنا؟، بل لو كان الأمر واجباً كفائياً ولم يقم من فيه الكفاية لوجب على الشخص أن يؤديه فكيف بالواجب العيني.

قال عليه السلام: «إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله»[٥٦٦].

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ابن عمه محمدا صلى الله عليه وآله فصلى عليه ثم قال: «أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم بحيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك، فإنهم لما تمادوا في المعاصي نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان أجلا ولا يقطعان رزقا، فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس ما قدر الله من زيادة ونقصان فإن أصابت أحدكم مصيبة في أهل ومال ونفس ورأى عند أخيه عقوبة فلا يكونن عليه فتنة ينتظر إحدى الحسنيين إما داع إلى الله فما عند الله خير له وإما الرزق من الله فإذا هو ذو أهل ومال والبنون لحرث الدنيا والعمل الصالح لحرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام»[٥٦٧].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ويده ولسانه فهو ميت

---

(٥٦٣) المحاسن: ج١ ص٢٣١-٢٣٢ ب١٨ ح١٨١.

(٥٦٤) بحار الأنوار: ج٢ ص٢٢ ب٨ ح٦٤.

(٥٦٥) التقاعس: هو من تقاعس فلان إذا لم ينفذ ولم يمض لما كلف، راجع معاني الأخبار: ص٣٤٦ باب معنى الاقيعس.

(٥٦٦) أعلام الدين: ص٤٠٧ باب ما جاء من عقاب الأعمال.

(٥٦٧) الزهد: ص١٠٥-١٠٦ ب٢٠ ح٢٨٨.

الأحياء»[٥٦٨].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن أول ما تقلبون إليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر منكرا نكس قلبه فجعل أسفله أعلاه فلا يقبل خيرا أبدا»[٥٦٩].

وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أخبرني ما أفضل الأعمال؟

فقال صلى الله عليه وآله: «الإيمان بالله».

قال: ثم ماذا؟

قال: «ثم صلة الرحم».

قال: ثم ماذا؟

قال: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

فقال الرجل: فأي الأعمال أبغض إلى الله؟

قال: «الشرك بالله».

قال: ثم ماذا؟

قال: «قطيعة الرحم».

قال: ثم ماذا؟

قال: «الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف»[٥٧٠].

وعن أحدهما عليهما السلام أنه قال: «ويل لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٥٧١].

فخطب جليل، استوسع وهنه[٥٧٢]، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه[٥٧٣].

---

(٥٦٨) غوالي اللئالي: ج٣ ص١٨٨ باب الجهاد ح٢٤.

(٥٦٩) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٨٢ ب١ ح٦.

(٥٧٠) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٨٢ ب١ ح٤٤.

(٥٧١) الزهد: ص١٩ ب٢ ح٤١.

(٥٧٢) وفي بعض النسخ:(استوسع وهيه).

(٥٧٣) وفي بعض النسخ: (واستنهر فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض واكتأبت لخيرة الله).

آثار وفاة الرسول ﷺ

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام هاهنا وما سيأتي من تصريحاتها: إن وفاته ﷺ (خطب جليل استوسع وهيه...) في شتى الجهات: تكوينياً وتشريعياً، لهذا العالم ولسائر العوالم، سياسياً واجتماعياً، وفكرياً وعملياً، حالياً ومستقبلياً و...

وذلك للإطلاق وحذف المتعلق، وللقرائن والتصريحات اللاحقة منها عليها السلام، والألفاظ المشككة[٥٧٤] في مثل المقام تحمل على أعلى المراتب.

وقد ورد في زيارته ﷺ يوم السبت بعد الاسترجاع ثلاثاً: «أصبنا بك يا حبيب قلوبنا، فما أعظم المصيبة بك، حيث انقطع عنا الوحي وحيث فقدناك فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٥٧٥].

روي بالأسانيد عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «قدم على رسول الله ﷺ حبر من أحبار اليهود فقال: يا رسول الله قد أرسلني إليك قومي وقالوا إنه عهد إلينا نبينا موسى بن عمران وقال إذا بعث بعدي نبي اسمه محمد وهو عربي فامضوا إليه واسألوه أن يخرج لكم من جبل هناك سبع نوق حمر الوبر سود الحدق، فإن أخرجها لكم فسلموا عليه وآمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه، فهو سيد الأنبياء ووصيه سيد الأوصياء وهو منه كمثل أخي هارون مني.

فعند ذلك قال ﷺ: الله أكبر قم بنا يا أخا اليهود.

قال: فخرج النبي ﷺ والمسلمون حوله إلى ظاهر المدينة وجاء إلى جبل فبسط البردة وصلى ركعتين وتكلم بكلام خفي وإذا الجبل يصر صريرا عظيما فانشق وسمع الناس حنين النوق.

فقال: اليهود مد يدك، فإنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله ﷺ وأن جميع ما جئت به صدق وعدل، يا رسول الله فأمهلني حتى أمضي إلى قومي وأخبرهم ليقبضوا عدتهم منك ويؤمنوا بك.

قال: فمضى الحبر إلى قومه بذلك ففرحوا بأجمعهم وتجهزوا للمسير وساروا يطلبون المدينة

---

(٥٧٤) ف (جليل) لفظ له مراتب.

(٥٧٥) جمال الأسبوع: ص٢٩-٣٠ ذكر زيارة النبي ﷺ في يوم السبت.

ليقضوا عدتهم، فلما دخلوا المدينة وجدوها مظلمة مسودة بفقد رسول الله ﷺ وقد انقطع الوحي من السماء وقد قبض ﷺ وجلس مكانه أبو بكر، فدخلوا عليه وقالوا: أنت خليفة رسول الله ﷺ؟

قال: نعم.

قالوا: أعطنا عدتنا من رسول الله ﷺ.

قال: وما عدتكم؟

قالوا: أنت أعلم منا بعدتنا إن كنت خليفته حقا، وإن لم تكن خليفته فكيف جلست مجلس نبيك بغير حق لك ولست له أهلا؟

فقام وقعد وتحير في أمره ولم يعلم ماذا يصنع، وإذا برجل من المسلمين قد قام وقال: اتبعوني حتى أدلكم على خليفة رسول الله ﷺ.

قال: فخرج اليهود من بين يدي أبي بكر وتبعوا الرجل حتى أتوا إلى منزل فاطمة الزهراء عليها السلام فطرقوا الباب وإذا الباب قد فتح وخرج إليهم علي وهو شديد الحزن على رسول الله ﷺ فلما رآهم قال: أيها اليهود تريدون عدتكم من رسول الله ﷺ؟

قالوا: نعم.

فخرج معهم إلى ظاهر المدينة إلى الجبل الذي صلى عنده رسول الله ﷺ فلما رأى مكانه تنفس الصعداء وقال: بأبي وأمي من كان بهذا الموضع منذ هنيئة ثم صلى ركعتين وإذا بالجبل قد انشق وخرجت النوق وهي سبع نوق.

فلما رأوا ذلك قالوا بلسان واحد: نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وأن ما جاء به النبي ﷺ من عند ربنا هو الحق وأنك خليفته حقا ووصيه ووارث علمه، فجزاه الله وجزاك عن الإسلام خيرا، ورجعوا إلى بلادهم مسلمين موحدين»[٥٧٦].

الخطب الجليل

مسألة: يستحب إلفات الناس إلى أن موت الرسول ﷺ خطب جليل، استوسع وهنه... فإن بيان وفيات المعصومين عليهم السلام وآثارها كبيان أفراحهم ومواليدهم داخل في قوله عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصرونا ويفرحون

(**٥٧٦**) الفضائل: ص١٣٠-١٣٢.

لفرحنا ويحزنون لحزننا»[٥٧٧]، وهو من المشاركة الوجدانية المحبوبة عقلاً قبل أن تكون محبوبة شرعاً.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب»[٥٧٨].

وفي الخصال عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تزاوروا في بيوتكم، فإن ذلك حياة لأمرنا، رحم الله عبداً أحيى أمرنا».[٥٧٩]

وقال عليه السلام في وصف شيعة علي أمير المؤمنين عليه السلام: «المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا»[٥٨٠].

وهكذا من الراجح تذكير الناس بوفاة الأئمة المعصومين عليهم السلام وشهادتهم، وكذلك شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهكذا بالنسبة إلى القادة العلماء وما ينجم عنها من الخسائر الكبيرة، وذلك من مصاديق (التعظيم) ومن أسباب التفاف الناس حول مبادئهم أكثر فأكثر، ومن علل تمسك الناس بالأحياء منهم أكثر فأكثر، وقد ورد في زيارة عاشوراء: «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض»[٥٨١].

فعن الهروي قال سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيى أمرنا، فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[٥٨٢].

وقال عليه السلام: «حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم»[٥٨٣].

وقال عليه السلام: «رحم الله من حببنا إلى الناس ولم يكرهنا إليهم»[٥٨٤].

---

(٥٧٧) الخصال: ج٢ ص٦٣٥، وتأويل الآيات: ص٦٤١ سورة الحديد.

(٥٧٨) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٧٣ المجلس ١٧ ح٤.

(٥٧٩) الخصال: ج١ ص٢٢ ح٧٧.

(٥٨٠) الخصال: ج٢ ص٣٩٧ في الشيعة سبع خصال ضمن ح٤.

(٥٨١) انظر مصباح الكفعمي: ص٤٨٤، والبلد الأمين: ص٢٧٠، وكامل الزيارات: ص١٧٧ ب٧١ ثواب من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء..

(٥٨٢) معاني الأخبار: ص١٨٠ باب معنى قول الصادق عليه السلام من تعلم علماً ليماري به ضمن ح١.

(٥٨٣) الحكايات: ص٩٣، وأعلام الدين: ص١٤٣، وفقه الإمام الرضا عليه السلام: ص٣٥٦.

(٥٨٤) الأمالي للشيخ المفيد: ص٣١ المجلس ٤ ضمن ح٤.

تخليد ذكرى الرسول صلى الله عليه وآله

مسألة: يستحب الاهتمام بذكرى وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتخليد ذكراه.

وكذلك بالنسبة إلى سائر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام).

بل وكذلك ذويهم كالسيدة زينب (عليها الصلاة والسلام) وأبي طالب عليه السلام وحمزة عليه السلام ومن أشبههم، فإن قوله صلى الله عليه وآله: «المرء يحفظ في ولده»[٥٨٥] يجري في القربى أيضاً، وانما جاء ذكر (الولد) من باب المثال الأظهر والمصداق الأوضح.

ويؤيده بل يدل عليه قوله سبحانه: ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[٥٨٦].

وفي الحديث عن الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تجلسون وتتحدثون، قال: قلت: جعلت فداك نعم، قال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، انه من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح ذبابة غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»[٥٨٧].

وقال أبو جعفر عليه السلام: «رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيى أمرنا»[٥٨٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في وصاياه لشيعته: «فإن في لقاء بعضهم بعضاً حياة لأمرنا» ثم قال: «رحم الله عبداً أحيى أمرنا»[٥٨٩].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنما شيعة علي المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون لإحياء أمرنا» الحديث[٥٩٠].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «اقرأ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم.. وأن يتلاقوا في بيوتهم فإن لقاءهم حياة لأمرنا» ثم رفع يده فقال: «رحم الله من أحيى أمرنا»[٥٩١].

---

(٥٨٥) المناقب: ج٢ ص٢٠٦، شرح نهج البلاغة: ج١٦ ص٢١٢ ب٤٥ ف١.

(٥٨٦) سورة الأنفال: ٧٥، وسورة الأحزاب: ٦.

(٥٨٧) ثواب الأعمال: ص١٨٧ ثواب من ذكر عنده أهل البيت عليهم السلام...

(٥٨٨) كمال الدين: ج٢ ص٦٤٤ باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج ضمن ح٢.

(٥٨٩) مصادقة الإخوان: ص٣٤ باب اجتماع الاخوان في محادثتهم ضمن ح٦.

(٥٩٠) صفات الشيعة: ص١٣ ح٢٣.

(٥٩١) الاختصاص: ص٢٩.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عبادة»[٥٩٢].

قولها عليها السلام: «فخطب جليل استوسع وهنه» (الخطب): الشأن، و(جليل): أي عظيم، و(استوسع) بمعنى: اتسع، و(الوهن) عبارة عن: الضعف.

أي: إن الوهن والضعف الذي نجم عن وفاة الرسول صلى الله عليه وآله قد توسع واتسع، حتى عم الضعف صفوف المسلمين.

قولها عليها السلام: «واستنهر فتقه» الإستنهار: استفعال من النهر بالتحريك، بمعنى: السعة أي: اتسع.

و(الفتق) عبارة عن الشق وهو ضد الرتق، كأنه ثوب اتسع فتقه فصعب رتقه مرة ثانية.

الأمم ومسيرة الانحطاط

مسألة: مسيرة الانحراف في الأمم تبدأ بخطوة ثم تتسع، وهكذا في الفرد.

ولعل استخدامها عليها السلام صيغة (الاستفعال) في الفعلين للتنبيه على قاعدة عامة في مسيرة الأمم المنحطة، من جهة أن من طبيعة الوهن أن يتسع، ومن طبيعة الفتق أن يتزايد، فكأنهما يطلبان مزيداً من الوهن والفتق، مثل: (استخرج) بمعنى: طلب الخروج، ومثل: (استنسر) في قول الشاعر:

(ان البغات بأرضنا تستنسر).

أي: تطلب أن تكون نسراً، فإن الأصل في الاستفعال الطلب، فهو إشارة إلى سنة اجتماعية وقاعدة هامة في علم النفس الاجتماعي، فإن التخاذل في الأمم ما إن يبدأ حتى يتسع ويتزايد، والفتن ما إن تلوح حتى تتكاثر ويعضد بعضها بعضاً، والمعاصي كذلك، فقد ورد أن السيئات بعضها آخذ بعنق بعض، وهكذا، فإن أمواج الفساد الخلقي في الأمم وسائر المحرمات كالربا والنفاق والتخاذل عن نصرة المظلوم و... تبدأ ضعيفة ثم تتسع وتمتد باطراد، فهي كالأمراض المعدية إلا أن يقف بوجهها عامل قوي.

ومما لا شك فيه أن وقفتها عليها السلام ضد هذه التموجات قد كبح من انطلاقتها الهائلة إلى حد كبير، وكذلك كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وإلا لما بقي من الإسلام حتى الاسم، ولعم

(**٥٩٢**) الأمالي للطوسي: ص١١٥ المجلس٤ ح١٧٨.

الظلم كل الكون بأقبح صورة حتى مجاهيل المستقبل.

ويستشعر من استخدامها (صلوات الله عليها) صيغة الاستفعال بالمعنى الذي ذكر: أن فيه تلميحاً إلى تضاعف حجم مسؤوليتهم مع علمهم بأن الفتقة في استنهار، والوهن في توسع، وبذلك فإن تخليهم عن الدفاع عن خليفة رسول الله ﷺ: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام . وهو[٥٩٣] الطريق الوحيد للتعويض عن خلأ فقد الرسول ﷺ ولجبر الكسر ورتق الفتق . يحمّلهم كافة المضاعفات السلبية والمعاصي المستقبلية التي تنتج عن موقفهم هذا.

قولها عليها السلام: «وانفتق رتقه» الرتق ضد الفتق، كما يخاط الثوب المفتوق، وانفتق أي: صار مرة ثانية منفتقاً بعد أن رتق، فالرسول ﷺ رتق الاجتماع رتقاً صحيحاً، بعد ما كانوا في الجاهلية منفتقين ثم بموت الرسول ﷺ انفتق ذلك الرتق ورجعوا إلى جاهليتهم الأولى.

(**٥٩٣**) أي الدفاع عن خليفته ﷺ.

امتداد النبوة

مسألة: هناك بعدان من الأبعاد الاجتماعية والعقائدية والسياسية والاقتصادية وغيرها، التي أشارت عليها السلام إليهما بهاتين الجملتين: (استنهر فتقه وانفتق رتقه):

١: إن الرسول صلى الله عليه وآله رتق كثيراً مما كان منفتقاً في المجتمع وأدى ما عليه بأحسن ما يمكن.

٢: إن على خليفته صلى الله عليه وآله المنصوص عليه بأمر من الله عزوجل أن يرتق ما بقي من الفتق أو ما سيحصل منه، فإن قصر فترة عمره صلى الله عليه وآله الشريف وكثرة المشاكل والحروب وعدم قابلية القابل في الكثيرين ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾[٥٩٤] وكثرة المنافقين والفتن لم تسمح بأن يحول كل مثالب المجتمع إلى محاسن، ولذلك أمره الله تعالى بأن يعين من يواصل المسيرة الإلهية الإصلاحية بقوله: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾[٥٩٥].

هذا مضافاً إلى الفتق الذي سيحدث بعده صلى الله عليه وآله، فإنه بحاجة إلى من يكون بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله لكي يرتقه رتقاً صحيحاً.

وهي عليها السلام تشير إلى هذين البعدين في خطبتها الشريفة، فقد استنهر واتسع ما كان منفتقاً، وقد انفتق ما رتقه صلى الله عليه وآله.

وفي الدعاء: «اللهم اشعب بهم الصدع، وارتق بهم الفتق، وأمت بهم الجور، وأظهر بهم العدل، وزين بطول بقائهم الأرض»[٥٩٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «فصدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فلمّ الله به الصدع ورتق به الفتق وألف به الشمل بين ذوي الأرحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب»[٥٩٧].

وفي نهج البلاغة أيضا: «إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين، وأمينا على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار مُنيخون، بين حجارة خشن وحيات صم،

---

(٥٩٤) سورة القصص: ٥٦.

(٥٩٥) سورة المائدة: ٦٧.

(٥٩٦) انظر مصباح الكفعمي: ص٦٥٣ ف٤٦ فيما يعمل في شهر شوال.

(٥٩٧) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة.

تشربون الكدر وتأكلون الجشب وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة»[٥٩٨].

وفيه أيضا: «إن الله سبحانه بعث محمدا وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم»[٥٩٩].

وفيه أيضاً: «ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي، أسرته خير أسرة وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها متهدلة، مولده بمكة وهجرته بطيبة، علا بها ذكره وامتد منها صوته، أرسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلافية، أظهر بها الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الأحكام المفصولة»[٦٠٠].

وقال عليه السلام: «فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه وليقروا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمات»[٦٠١].

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عند توجههما[٦٠٢] إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه، بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «أما بعد فإن الله عزوجل بعث محمدا صلى الله عليه وآله للناس كافة وجعله رحمة للعالمين، فصدع بما أمر به، وبلغ رسالة ربه، فلمّ به الصدع ورتق به الفتق وآمن به السبل وحقن به الدماء وألف به بين ذوي الإحن والعداوة والوغر في الصدور والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميدا لم يقصر في الغاية التي إليها أدى الرسالة ولأبلغ شيئا كان في التقصير عنه القصد، وكان من بعده ما كان من التنازع في الإمرة، فتولى أبو بكر وبعده عمر ثم تولى عثمان، فلما كان من أمره ما كان أتيتموني فقلتم:

---

(٥٩٨) نهج البلاغة، الخطب: ٢٦ من خطبة له عليه السلام وفيها يصف العرب قبل البعثة.

(٥٩٩) نهج البلاغة، الخطب: ٣٣ من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة.

(٦٠٠) نهج البلاغة، الخطب: ١٦١ من خطبة له عليه السلام في صفة النبي وأهل بيته.

(٦٠١) نهج البلاغة، الخطب: ١٤٧ من خطبة له عليه السلام في الغاية من البعثة.

(٦٠٢) أي طلحة والزبير.

بايعنا، فقلت: لا أفعل، قلتم: بلى، فقلت: لا وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم فجذبتموها وحتى تداككتم علي كتداكك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعض وبسطت يدي فبايعتموني مختارين وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثم لم يلبثا أن استأذناني في العمرة والله يعلم أنهما أرادا الغدرة، فجددت عليهما العهد في الطاعة وأن لا يبغيا الأمة الغوائل فعاهداني ثم لم يفيا لي ونكثا بيعتي ونقضا عهدي فعجبا لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين ولو شئت أن أقول لقلت: اللهم اغضب عليهما بما صنعا وأظفرني بهما»[٦٠٣].

وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر[٦٠٤]، وانتثرت النجوم لمصيبته

لجان الرصد العلمي

مسألة: ينبغي تشكيل لجان من ذوي الخبرة والاختصاص في الفلك وعلم طبقات الأرض[٦٠٥] وغيرهما للقيام بمحاولة الرصد العلمي للارتباط التكويني بين عالم التشريع وعالم التكوين، وبين ظواهر من عوالم التكوين تطرقت الروايات إلى بيان أنها معلولة أو ملازمة لوقائع معينة اجتماعية أو فكرية أو قلبية أو ما أشبه، كتأثير صلة الرحم في سعة الرزق وتأجيل الأجل وما أشبه[٦٠٦].

وكبكاء السماء والأرض لموت المؤمن، حيث ورد في غير المؤمنين: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾[٦٠٧].

وكالأمور المذكورة في هذه الخطبة الشريفة التي وقعت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله من ظلمة الأرض وكسوف الشمس والقمر واندثار النجوم.

---

(٦٠٣) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٩٨ ب١ ح٦٩.

(٦٠٤) وفي بعض النسخ: (وكسفت النجوم).

(٦٠٥) ما يسمى بالجيولوجيا.

(٦٠٦) انظر علل الشرائع: ص٢٤٨، وكشف الغمة: ج٢ ص٢٠٦.

(٦٠٧) سورة الدخان: ٢٩.

وكشق القمر للرسول صلى الله عليه وآله[٦٠٨].

والحمرة في الأفق لقتل الإمام الحسين عليه السلام[٦٠٩].

وغير ذلك.

فإن هذه الوقائع الكونية قد دل عليها القرآن الكريم أو الأحاديث الصحيحة دون شك، إلا أن دفع شبهات المكذبين الذين لا يؤمنون بالغيب والذين يشككون ضعاف الإيمان واجب، ومن طرقه التطرق لإثبات كل ذلك بالطرق العلمية.

أما ما ورد من قول النبي صلى الله عليه وآله: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله) الخ . حسب ما يرويه البعض في قصة موت إبراهيم (صلوات الله عليه) فيلزم البحث السندي والدلالي لتعارضها مع ما ذكر، فإنه لا شك في انكساف الشمس وانخساف القمر في وفاة النبي صلى الله عليه وآله وكذلك كسفت الشمس لقتل الإمام الحسين عليه السلام.

قال العلامة المجلسي رحمه الله: (بيان، قوله صلى الله عليه وآله: «آيتان» أي علامتان من علامة وجوده وقدرته وعلمه وحكمته (لا ينكسفان لموت أحد) أي لمحض الموت بل إذا كان بسبب سوء فعال الأمة واستحقوا العذاب والتخويف أمكن أن ينكسفا لذلك كما في شهادة الحسين عليه السلام فإنها كانت بفعل الأمة الملعونة فاستحقوا بذلك التخويف والعذاب بخلاف وفاة إبراهيم عليه السلام فإنه لم يكن بفعلهم)[٦١٠].

وقال رحمه الله في موضع آخر: (بيان: «لموت أحد» أي لمحض الموت لأنه من فعله سبحانه فلا يغضب به على عباده إلا أن يكون بسبب فعلهم فيغضب عليهم لذلك كواقعة الحسين عليه السلام)[٦١١].

ومن الممكن أن تكون تلك الرواية من باب التقية.

لا يقال: إذا كان الكسوف والخسوف يقعان نتيجة نظام كوني دقيق وحركات كونية بالغة الدقة كما ذكره أهل النجوم والفلك، فأي ربط لهما بالذنوب .كما في الروايات . أو بموت العظماء كما في هذه الأحاديث؟

---

(٦٠٨) قال تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر**﴾ سورة القمر: ١.

(٦٠٩) المناقب: ج٤ ص٥٤ فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام.

(٦١٠) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٨٠-٣٨١ ب١٠.

(٦١١) بحار الأنوار: ج٨٨ ص١٥٥ ب٦ ح١٢.

لأنه يقال: من الممكن أن الله سبحانه وتعالى ـ هو الخالق الحكيم القادر ـ نظم الكون وفقاً لهذه الأحداث لأنه كان يعلم بعلمه الأزلي أوقات الذنوب والعظائم من الأمور فكانت الهندسة للكون بحيث يتطابق زمن الخسوف والكسوف مع وقوع الذنوب الكثيرة أو موت العظماء، فلا منافاة بين العلة الواقعية والعلة الظاهرية(٦١٢).

صلة الأرحام والآثار التكوينية

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: «وصلة الأرحام منماة للعدد»(٦١٣).

وقال عليه السلام: «صلة الأرحام منساة في الأعمار، وحسن الجوار عمارة للديار، وصدقة السر مثراة للمال»(٦١٤).

وقال عليه السلام: «صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسئ في الأجل»(٦١٥).

وقال عليه السلام: «صلة الأرحام وحسن الجوار زيادة في الأموال»(٦١٦).

بكاء الأرض على المؤمن

عن علي بن رئاب قال: سمعت أبا الحسن الأول عليه السلام يقول: «إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كان يصعد أعماله فيها» الحديث(٦١٧).

وقال عليه السلام: «إذا مات المؤمن بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله عزوجل فيها

---

(٦١٢) لتوضيح ذلك نذكر المثال التالي: مهندس حكيم بنى داراً أو قلعة محكمة ثم زودها بأجهزة رصد واستكشاف (كعين إلكترونية مرتبطة بجهاز كمبيوتر) بحيث لو أن أي شخص حاول كسر الباب أو الدخول من النافذة فان صفارات الإنذار ستنطلق وستسقط عليه شبكة تحتجزه في نفس النقطة فان هذا التلازم بين دخول الشخص وبين صفارات الإنذار وسقوط الشبكة هو من هندسة مهندس قدير ولاينسف قانون العلية والنظم والحاكم في القلعة ـ التي تدار كل مرافقها كمبيوترياً ـ بل يؤكده.

(٦١٣) علل الشرائع: ص٢٤٨.

(٦١٤) كشف الغمة: ج٢ ص٢٠٦.

(٦١٥) تحف العقول: ٢٩٩.

(٦١٦) صحيفة الرضا عليه السلام: ص٨٥ ح١٩٦.

(٦١٧) الكافي: ج٣ ص٢٥٤ باب النوادر ضمن ح١٣.

والباب الذي كان يصعد منه عمله وموضع سجوده»[٦١٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يموت في أرض غربة يغيب فيها بواكيه إلا بكته بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وبكته أبواب السماء التي كان يصعد فيها عمله»[٦١٩].

الكون في قتل الحسين عليه السلام

في الأمالي للشيخ الطوسي بسنده عن عمار بن أبي عمار قال: (أمطرت السماء يوم قتل الحسين عليه السلام دما عبيطا)[٦٢٠].

وعن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحا بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحا بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتثرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحا على الحسين عليه السلام وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه، وإن الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء و السماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه عليه السلام فزفرت جهنم زفرة كادت الأرض تنشق لزفرتها، ولقد خرجت نفس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعته، ولكنها مأمورة مصفودة، ولقد عتت على الخزان غير مرة حتى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت وأنها لتبكيه وتندبه وأنها لتتلظى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأكفأت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلا عند اقتراب الساعة، وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه عليه السلام وما من باك يبكيه إلا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدى حقنا،

---

(٦١٨) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١٣٩ باب غسل الميت ح٣٨١.

(٦١٩) وسائل الشيعة: ج٥ ص١٨٧-١٨٨ ب٤٢ ح٦٢٩٢.

(٦٢٠) الأمالي للطوسي: ص٣٣٠ المجلس١١ ح٦٥٩.

وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي الحسين عليه السلام فإنه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقاه والسرور بين على وجهه والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حداث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء يوم الحساب، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وإن الحور لترسل إليهم أنا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار ومن قائل ما لنا من شافعين ولا صديق حميم وإنهم ليرون منزلهم وما يقدرون أن يدنوا إليهم ولا يصلون إليهم، وإن الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدامهم على ما أعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم فيزدادون إليهم شوقا إذا هم خبروهم بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين عليه السلام فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة ونجانا مما كنا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب فيستوون عليها وهم في الثناء على الله والحمد لله والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منازلهم»[٦٢١].

وقصة الحمرة وبكاء السماء والأرض وما أشبه روته العامة أيضا:

ففي صحيح مسلم في تفسير قوله تعالى ﴿**فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ**﴾[٦٢٢] قال: (لما قتل الحسين بن علي عليه السلام بكت السماء وبكاؤها حمرتها)[٦٢٣].

وروى الثعلبي في تفسير هذه الآية: (أن الحمرة التي مع الشفق لم يكن قبل قتل الحسين عليه السلام)[٦٢٤].

وروى الثعلبي أيضا يرفعه قال: (مطرنا دما بأيام قتل الحسين عليه السلام)[٦٢٥].

وفي تاريخ النسوي قال أبو قبيل: (لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي)[٦٢٦]. وروى أبو نعيم في دلائل النبوة،

(**٦٢١**) كامل الزيارات: ص٨٠-٨١ ب٢٦ ح٦.

(**٦٢٢**) سورة الدخان: ٢٩.

(**٦٢٣**) الطرائف: ج١ ص٢٠٣ فيما جاء في الحسين عليه السلام وأنه قتل مظلوماً ح٢٩٣.

(**٦٢٤**) الطرائف: ج١ ص٢٠٣ فيما جاء في الحسين عليه السلام وأنه قتل مظلوماً ح٢٩٤.

(**٦٢٥**) الطرائف: ج١ ص٢٠٣ فيما جاء في الحسين عليه السلام وأنه قتل مظلوماً ح٢٩٥.

(**٦٢٦**) المناقب: ج٤ ص٥٤ فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام.

والنسوي في المعرفة: قالت نصرة الأزدية: (لما قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دما وحبابنا وجرارنا صارت مملوة دما)[٦٢٧].

ظلمة الأرض

قولها عليها السلام: «وأظلمت الأرض لغيبته»، الظلام قد يطلق على المعنوي[٦٢٨]، وقد يطلق على المادي، وكذلك النور قال سبحانه: ﴿**الله نور السماوات والأرض**﴾[٦٢٩].

قال المفسرون: إن النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، فالنور الحقيقي هو الله الظاهر بنفسه المظهر لكل ما عداه من كتم العدم، أو يقال: هو جل اسمه نور معنوي للسماوات والأرض، أو خالق لنورهما.

فالتفسير بأنه المنور[٦٣٠] لا انحصار به بعد إمكان جعله معنوياً أيضاً، فتأمل.

والمراد بالظلمة ههنا: المعنوية . ولا تبعد المادية أيضا . فكما أن الإنسان يبصر الأمور التكوينية بحاسة الباصرة بسبب النور، كذلك يبصر بحسه الباطني الأشياء الواقعية بسبب أنوار الله المعنوية، وأهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) هم أنوار الله تعالى، كما ورد في زيادة الجامعة: «خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم»[٦٣١].

وهل المراد أنهم عليهم السلام كانوا أنواراً ظاهرة ثم صاروا أنواراً واقعية في هذا العالم، أو أنهم كانوا هناك أيضاً أنواراً واقعية ثم تفضل الله بهم علينا؟ احتمالان.

ويحتمل إرادة الظلمة . في قولها عليها السلام . المقابلة للنور المراد به أشعة نورانية من نمط آخر[٦٣٢].

قولها عليها السلام: «وانتشرت النجوم لمصيبت» ظاهره: إرادة المعنى الحقيقي بأن انتشرت النجوم بسبب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنها تراءت للناظرين متناثرة كما رئيت متناثرة في موت بعض

---

(٦٢٧) المناقب: ج٤ ص٥٤ فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام.

(٦٢٨) كما يقال: اظلم قلبه أو يعيش في ظلمات الجهل.

(٦٢٩) سورة النور: ٣٥.

(٦٣٠) أي معطي الضياء والنور وخالقهما في السماوات والأرض.

(٦٣١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦١٣ زيارة جامعه لجميع الأئمة عليهم السلام ضمن ح٣٢١٣.

(٦٣٢) كما أن الإنسان يبصر بنور الشمس ويبصر في الظلام بالأشعة تحت الحمراء.

العلماء، أو غير ذلك من المعاني.

وفي بعض النسخ: (وكسفت النجوم) وهو كما سبق ظاهر في الحقيقة.

أو المراد أنها تذكرت وانكدرت بسبب موت الرسول ﷺ فإنه ﷺ كان نوراً للأرض وللسماء بجعل الله سبحانه.

وأكدت الآمال وخشعت الجبال

أمل الكون

مسألة: إن الرسول الأعظم ﷺ هو أمل الكون بأجمعه وقد أرسله الله عزوجل ﴿**رحمة للعالمين**﴾(٦٣٣).

قولها عليها السلام: «وأكدت الآمال»، يقال: أكدى فلان أي: بخل أو قل خيره.

فمعنى إكداء الآمال هنا: أن الآمال انقطعت بفقد الرسول ﷺ لأنه ﷺ كان موضع أمل الآملين.

ثم إنها عليها السلام ذكرت قولها (أكدت الآمال) في وسط ذكرها لمجموعة من الحوادث السماوية والطوارئ الكونية على الكرة الأرضية، مما قد يستظهر منه أن المراد بالآمال ليس (الآمال) البشرية فحسب، بل (الآمال الكونية) التي كانت معقودة به ﷺ إذ كان وجوده خيراً وبركة لكافة العوالم، وبوفاته ﷺ انقطع منها ما كان منوطاً بحياته وإن بقي ما هو معلق على أصل وجوده وما استمر بأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

قولها عليها السلام: «وخشعت الجبال» فكما أن الإنسان يخشع أمام العظيم من الأمور، كذلك سائر المخلوقات والحقائق الكونية والتي من أظهرها في الأرض الجبال، فإنها تخشع من خشية الله وهيبة أوليائه.

قال سبحانه: ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾(٦٣٤).

وقال تعالى: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية**

(**٦٣٣**) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(**٦٣٤**) سورة فصلت: ١١.

الله﴾[٦٣٥].

وقال سبحانه: ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً ۞ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً**﴾[٦٣٦].

وخشوع الجبل إما ضعف صلابته كما قال سبحانه بالنسبة إلى آثار القيامة:

قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً**﴾[٦٣٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ۞ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۞ لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً ۞ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَ هَمْساً**﴾[٦٣٨].

وقال تعالى: ﴿**إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً ۞ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً ۞ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً**﴾[٦٣٩].

وقال سبحانه: ﴿**وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾[٦٤٠].

وقال تعالى: ﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ**﴾[٦٤١].

وقال سبحانه: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلا**﴾[٦٤٢].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ**﴾[٦٤٣].

وقال سبحانه: ﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾[٦٤٤].

(**٦٣٥**) سورة الحشر: ٢١.

(**٦٣٦**) سورة مريم: ٩٠-٩١.

(**٦٣٧**) سورة الكهف: ٤٧.

(**٦٣٨**) سورة طه: ١٠٥-١٠٨.

(**٦٣٩**) سورة الواقعة: ٤-٦.

(**٦٤٠**) سورة الحاقة: ١٤-١٥.

(**٦٤١**) سورة المعارج: ٩.

(**٦٤٢**) سورة المزمل: ١٤.

(**٦٤٣**) سورة المرسلات: ١٠.

وإما احتمال تأثره، فمن الواضح أن الكون كله قابل للتأثر.

قال تعالى: ﴿**فأبين أن يحملنها وأشفقن منها**﴾[٦٤٥].

وقال سبحانه: ﴿**يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض**﴾[٦٤٦].

وقال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[٦٤٧].

وقال سبحانه: ﴿**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[٦٤٨].

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[٦٤٩]. وقال سبحانه: ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ**﴾[٦٥٠].

ويدل على تأثر الكون وتفاعله وفهمه، متواتر الآيات والروايات . تواتراً إجمالياً . ومنها: شهادة جلود الإنسان عليه في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا**﴾[٦٥١].

وقال سبحانه: ﴿**حَتَّى إِذا ما جاءُوها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٦٥٢].

وشهادة بقاع الأرض للإنسان بالصلاة عليها وما أشبه.

وخطاب الزمن للإنسان: (أنا يوم جديد وغداً عليك شهيد).

قال لقمان: «يا بني إن كل يوم يأتيك يوم جديد، يشهد عليك عند رب كريم»[٦٥٣].

---

(٦٤٤) سورة القارعة: ٥.

(٦٤٥) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٦٤٦) سورة الجمعة: ١.

(٦٤٧) سورة الإسراء: ٤٤.

(٦٤٨) سورة الأنبياء: ٧٩.

(٦٤٩) سورة الحج: ١٨.

(٦٥٠) سورة ص: ١٨.

(٦٥١) سورة فصلت: ٢١.

(٦٥٢) سورة فصلت: ٢٠.

(٦٥٣) راجع الاختصاص: ص٣٤٠ بعض وصايا لقمان الحكيم لابنه عليه السلام.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فيّ خيرا وأعمل فيّ خيرا، أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعده أبدا»(٦٥٤).

وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «إن الليل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلا الثقلين: يا ابن آدم إني خلق جديد، إني على ما فيّ شهيد، فخذ مني، فإني لو قد طلعت الشمس لم أرجع إلى الدنيا، ثم لم تزدد فيّ حسنة ولم تستعتب فيّ من سيئة، وكذلك يقول النهار إذا أدبر الليل»(٦٥٥).

وقال الإمام الصادق عليه السلام في حديث: «فيقولون لله يا رب هؤلاء ملائكتك يشهدون لك، ثم يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئا وهو قول الله ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ**﴾(٦٥٦)، وهم الذين غصبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله على ألسنتهم وينطق جوارحهم فيشهد السمع بما سمع مما حرم الله ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرم الله وتشهد اليدان بما أخذتا وتشهد الرجلان بما سعتا فيما حرم الله ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله»(٦٥٧).

وعن الصادق عليه السلام في حديث أنه قال: «صلوا من المساجد في بقاع مختلفة فإن كل بقعة تشهد للمصلي عليها يوم القيامة»(٦٥٨).

وعن أبي جعفر عليه السلام أن علي بن الحسين عليه السلام كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام كان له خمسمائة نخلة وكان يصلي عند كل نخلة ركعتين»(٦٥٩).

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته له: «يا أبا ذر ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وما من منزل نزله قوم إلا وأصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم، يا أبا ذر ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها

---

(٦٥٤) روضة الواعظين: ج٢ ص٣٩٣ مجلس في ذكر الأوقات وما يتعلق بها.

(٦٥٥) محاسبة النفس: ص١٤.

(٦٥٦) سورة المجادلة: ١٨.

(٦٥٧) تفسير القمي: ج٢ ص٢٦٤ سورة السجدة، شهادة الجوارح يوم القيامة.

(٦٥٨) وسائل الشيعة: ج٥ ص١٨٨ ب٤٢ ح٦٢٩٣.

(٦٥٩) وسائل الشيعة: ج٥ ص١٨٨ ب٤٢ ح٦٢٩٤.

بعضا: يا جارة هل مر بك اليوم ذاكر لله أو عبد وضع جبهته عليك ساجدا لله تعالى، فمن قائلة لا ومن قائلة نعم، فإذا قالت نعم اهتزت وانشرحت وترى أن لها الفضل على جارتها»[٦٦٠].

وعن عبد الله بن علي الزراد قال سأل أبو كهمس أبا عبد الله عليه السلام فقال: يصلي الرجل نوافله في موضع أو يفرقها؟ قال: «لا، بل هاهنا وهاهنا فإنها تشهد له يوم القيامة»[٦٦١]، قال الصدوق رحمه الله : (يعني أن بقاع الأرض تشهد له)[٦٦٢].

وأضيع الحريم

من خسائر فقد النبي صلى الله عليه وآله

مسألة: إن النبي صلى الله عليه وآله كان الحافظ الأشد لكل الحرمات، ومن المعلوم أن بفقده صلى الله عليه وآله حصل الضياع للحرمات، وقد كان شعاره صلى الله عليه وآله حفظ الحرمة، كما أمر بالنداء في يوم فتح مكة:

اليـــوم يـــوم المرحمـــة اليـــوم تحفـــظ الحرمـــة

بدل قول المنادي:

اليـــوم يـــوم الملحمـــة اليـــوم تســـبى الحرمـــة [٦٦٣]

ومن هذا يفهم ـ عرفاً ـ لزوم حفظ الحريم، من غير فرق بين أن يكون حريماً إنسانياً، أو حريم الأرض والبئر وما أشبه، مما ذكر في مختلف الكتب، ككتاب إحياء الموات، وكتاب النكاح في باب الحقوق، وغير ذلك، وقد ألمعنا إلى جملة منها في (الفقه: الحقوق)[٦٦٤].

قولها عليها السلام: «وأضيع الحريم» يحتمل فيه ثلاثة معان:

---

(٦٦٠) الأمالي للطوسي: ص٥٣٤ المجلس ١٩.

(٦٦١) تهذيب الأحكام: ج٢ ص٣٣٥ ب١٥ ح٢٣٧.

(٦٦٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص١٨٦ ب٤٢.

(٦٦٣) راجع (ولأول مرة في تاريخ العالم) فتح مكة، للإمام الشيرازي P. وانظر شرح النهج: ج١٧ ص٢٧٢، ذكر الخبر عن فتح مكة.

(٦٦٤) موسوعة الفقه: ج١٠٠ كتاب الحقوق.

١: إن وفاة رسول الله ﷺ سبب ضياع حريمه، أي أهل بيته وذلك بظلم القوم لهم.

٢: إنه سبب ضياع حريم المسلمين بل وغيرهم أيضاً ممن كانوا يتمتعون بحمايته، لأن الرسول ﷺ كان يحفظ ويحمي حرم الناس بأجمعهم من المسلمين وغيرهم.

٣: إنه سبب ضياع الأعم من ذلك أي كل حرمة من حرم الإسلام وحرم المسلمين وغيرهما [٦٦٥]، فإن رسول الله ﷺ كان شديد الحماية والحراسة لكل حرمة.

لكن المنصرف الأول، والإطلاق يقتضي الثالث، وإن كان لا يبعد الثاني أيضاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لله عزوجل في بلاده خمس حُرم: حرمة رسول الله ﷺ، وحرمة آل رسول الله عليهم السلام، وحرمة كتاب الله عزوجل، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن»[٦٦٦].

وقال عليه السلام: «إن لله تبارك و تعالى حرمات: حرمة كتاب الله وحرمة رسول الله ﷺ وحرمة بيت المقدس وحرمة المؤمن»[٦٦٧].

وقال عليه السلام: «إن لله عزوجل في الأرض حرمات: حرمة كتاب الله وحرمة رسول الله وحرمة أهل البيت وحرمة الكعبة وحرمة المسلم وحرمة المسلم وحرمة المسلم»[٦٦٨].

وفي يوم عاشوراء عندما وقف الإمام الحسين عليه السلام على ولده علي الأكبر عليه السلام قال: «قتل الله قوما قتلوك، ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول، وانهملت عيناه بالدموع ثم قال: على الدنيا بعدك العفاء»[٦٦٩].

وفي دعاء الندبة المروي عن الإمام الحجة عليه السلام: «لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ في الهادين بعد الهادين والأمة مصرة على مقته، مجتمعة على قطيعة رحمه، وإقصاء ولده، إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم، فقُتل من قتل، وسبي من سبي، وأقصي من أقصي، وجرى القضاء لهم بما يرجى له حسن المثوبة» الدعاء[٦٧٠].

وعن الحسن بن عطية قال: كان أبو عبد الله عليه السلام واقفا على الصفا، فقال له عباد

---

(٦٦٥) الظاهر أن المراد الحرم التكوينية.

(٦٦٦) الكافي: ج٨ ص١٠٧ حديث أبي بصير مع المرأة ح٨٢.

(٦٦٧) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٣٢ ب١٥.

(٦٦٨) المؤمن: ص٧٣ ب٨ ح٢٠١.

(٦٦٩) إعلام الورى: ص٢٤٦ الفصل الرابع.

(٦٧٠) إقبال الأعمال: ص٢٩٦.

البصري: حديث يروى عنك، قال: «وما هو»، قال: قلت: حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البنية، قال: «قد قلت ذلك، إن المؤمن لو قال لهذه الجبال أقبلي أقبلت»! قال: فنظرت إلى الجبال قد أقبلت، فقال لها: «على رسلك إني لم أردك»[٦٧١].

وقال عليه السلام: «حرمة المؤمن الفقير أعظم عند الله من سبع سماوات وسبع أرضين والملائكة والجبال وما فيها»[٦٧٢].

وقال عليه السلام: «حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا»[٦٧٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وآله والكوفة حرمي لا يريدها جبار بحادثة إلا قصمه الله»»[٦٧٤].

وعن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حرم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ما بين لابتيها صيدها، وحرم عليه السلام ما حولها بريداً في بريد أن يختلى خلاها أو يعضد شجرها إلا عودي الناضح»[٦٧٥].

وقال عليه السلام:«حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر»[٦٧٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «حريم المسجد أربعون ذراعا، والجوار أربعون دارا من أربعة جوانبها»[٦٧٧]. وروي: «أن حريم المسجد أربعون ذراعاً من كل ناحية»[٦٧٨]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حريم النخلة طول سعفها»[٦٧٩].

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام: «أن عليا عليه السلام كان يقول: حريم البئر العادية خمسون ذراعا، إلا أن يكون إلى عطن أو إلى الطريق فيكون أقل من ذلك خمسة وعشرين ذراعا،

---

(٦٧١) الاختصاص: ص٣٢٥ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٦٧٢) إرشاد القلوب: ج١ ص١٩٤ ب٥٢.

(٦٧٣) الصراط المستقيم: ج٣ ص١١٥.

(٦٧٤) الكافي: ج٤ ص٥٦٣ باب تحريم المدينة ح١.

(٦٧٥) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٦١ باب تحريم المدينة وفضلها ح٣١٤٨.

(٦٧٦) مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٣٢٠ ب٥٠ ح١٢٠٨٨.

(٦٧٧) وسائل الشيعة: ج٥ ص٢٠٢ ب٦ ٦٣٣١.

(٦٧٨) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص١٠٢ باب حكم الحريم ضمن ح٣٤١٩.

(٦٧٩) قرب الإسناد: ص٦٢.

وحريم البئر المحدثة خمسة وعشرون ذراعا»[٦٨٠].

وقال عليه السلام: «حريم النهر حافتاه وما يليها»[٦٨١].

وأزيلت الحرمة[٦٨٢] عند مماته

الحرمة والحريم

مسألة: يستحب بيان أن الحرمة أزيلت عند ممات الرسول صلى الله عليه وآله.

ولا يخفى أن الحريم غير الحرمة، إذ الحرمة ذاتية والحريم عرضية وبالتبع[٦٨٣]، مثلاً: حرمة الإنسان ذاتية، أما حرمة ذويه باعتباره عرضية، فلهم حرمة حريم ذلك الإنسان المحترم، وربما اجتمعت الذاتية والعرضية بالاعتبارين.

وللكعبة مثلاً حرمة، أما مكة فهي من الحريم، فتأمل، وهكذا.

فهي عليها السلام أشارت إلى أمرين نجما عن وفاته صلى الله عليه وآله: إضاعة الحريم، وهتك الحرمة.

والظاهر أن المراد بـ (أزيلت الحرمة) أن القوم أزالوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وهتكوها عليها السلام وضربوا بها عرض الجدار، بناء على كون المراد بالحرمة المعنى الخاص أو العام، أما لو أريد بها المعنى الأعم[٦٨٤] فإن الإزالة في بعدها التكويني عندئذٍ تسند لجاعل[٦٨٥] سببيته صلى الله عليه وآله لتلك الحرمة التكوينية.

هذا وجملتها هذه بلحاظ أن الحرمة عبارة عما لا يحل انتهاكه، تقرب أن يكون المراد بـ (أزيلت الحرمة) في الجملة السابقة المعنى الأوسط.

قال علي بن الحسين عليه السلام في حديث: «إن الله تعالى مسخ هؤلاء لاصطياد السمك فكيف ترى عند الله عزوجل حال من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وهتك حريمه، إن الله تعالى

---

(٦٨٠) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٢٥٣ ب٢ ح٢.

(٦٨١) الكافي: ج٥ ص٢٩٦ باب جامع في حريم الحقوق ح٧.

(٦٨٢) وفي بعض النسخ: (وأديلت الحرمة) من الإدالة بمعنى الغلبة، وفي بعضها: (وأزيلت الرحمة).

(٦٨٣) أي أن حرمة الحريم اكتسابية.

(٦٨٤) الشامل للحرمة التكوينية.

(٦٨٥) أي الله سبحانه وتعالى.

وإن لم يمسخهم في الدنيا فإن المعد لهم من عذاب الآخرة أضعاف عذاب المسخ»[٦٨٦].

وفي وصية النبي ﷺ عند قرب وفاته: «معاشر الأنصار، ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى ـ راوي الحديث ـ: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلا وقطع بقية كلامه وقال: هُتك والله حجاب الله، هُتك والله حجاب الله، هُتك والله حجاب الله يا أمه صلوات الله عليها»[٦٨٧].

وقال ﷺ أيضاً في وصيته عند قرب وفاته: «واعلم يا علي أني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء، وهم مني براء»[٦٨٨].

وقد دخلت أم سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها: كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟

قالت: «أصبحت بين كمد وكرب، فقد النبي وظلم الوصي، هُتك والله حجابه، من أصبحت إمامته مقبضة مقتضبة على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنها النبي ﷺ في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة»[٦٨٩].

حق أم حكم

مسألة: الحريم والحرمة هل هما حق أم حكم؟

الظاهر: أن بعض المصاديق حق كحريم الدار، وبعضها حكم كحرمة هتك المؤمن.

قال عليه السلام: «من استهان بحرمة المسلمين فقد هتك ستر إيمانه»[٦٩٠].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من هتك ستر مؤمن هتك الله ستره يوم القيامة»[٦٩١].

---

(٦٨٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٢٧٠ قصة أصحاب السبت ضمن ح١٣٧.

(٦٨٧) راجع بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٧٧ ب١ ضمن ح٢٧.

(٦٨٨) راجع بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٨٥ ب١ ضمن ح٣١.

(٦٨٩) راجع بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٥٦-١٥٧ ب٧ ضمن ح٥.

(٦٩٠) راجع بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٢٧ ب١٥ ضمن ح٢١.

(٦٩١) راجع مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٠٩ ب١٣٠ ضمن ح١٠٣٧٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أمرنا مستور مقنع بالميثاق فمن هتك علينا أذله الله»[٦٩٢].

وفي الحديث: «ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته»[٦٩٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله عزوجل وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحق للمرء ألا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف، ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار، حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسؤول، قال الله عزوجل: ﴿**وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ**﴾[٦٩٤]»[٦٩٥].

(**٦٩٢**) الكافي: ج٢ ص٢٢٦ باب الكتمان ح١٥.

(**٦٩٣**) انظر تحف العقول: ص٨٨ وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسين عليه السلام.

(**٦٩٤**) سورة الأنبياء: ٤٧.

(**٦٩٥**) انظر مصباح الشريعة: ص٨٥ ب٣٨ في الحساب.

إعادة ما أضيع

مسألة: يجب السعي على مر الأزمان لإعادة ما أمكن إعادته مما أضيع من حريم الرسول صلى الله عليه وآله ومما أزيل من حرمته صلى الله عليه وآله.

وفي الجانب التكويني يمكن إعادة مازال ولو في الجملة عبر الدعاء وما أشبه لتعجيل الظهور، فإن به عجل الله فرجه تشرق الأرض بنور ربها، وتعود المياه إلى مجاريها.

وفي الدعاء: «اللهم عجل فرجه وأيده بالنصر وانصر ناصريه واخذل خاذليه»(٦٩٦).

وفي دعاء العهد: «اللهم أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، واكحل بصري بنظرة مني إليه، وعجل فرجه وسهل مخرجه، اللهم اشدد أزره وقوّ ظهره وطوّل عمره، اللهم اعمر به بلادك وأحي به عبادك»(٦٩٧).

وفي دعاء للإمام الجواد عليه السلام في قنوته: «وأنت اللهم بعبادك وذوي الرغبة إليك شفيق وبإجابة دعائهم وتعجيل الفرج عنهم حقيق»(٦٩٨).

فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى

من مستثنيات كراهة القسم

مسألة: قد سبق أن من الجائز . بالمعنى الأعم الشامل للوجوب .: القسم لبيان أهمية الأمر، وهنا قد أقسمت عليها السلام لبيان شدة المصيبة.

ومن هذا القبيل تكرار القسم في القرآن الحكيم.

كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليّاً (عليه الصلاة والسلام) كانا يحلفان في موارده، كما نرى ذلك في كلامهما عليهما السلام.

أما ما ورد من كراهة القسم، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تجعلوا الله عرضة**

---

(٦٩٦) كمال الدين: ج٢ ص٥١٣ الدعاء في غيبة القائم عليه السلام ضمن ح٤٣.

(٦٩٧) راجع مستدرك الوسائل: ج٥ ص٧٤ ب٢٢ ضمن ح٥٣٨٨.

(٦٩٨) انظر مهج الدعوات: ص٥٩ قنوت الإمام محمد بن علي بن موسى عليه السلام.

لأيمانكم﴾[٦٩٩] فالمراد به الاستخفاف باسم الله سبحانه وتعالى، بأن يكون اسم الله معرضاً لليمين بدون أن يكون هناك أهمية توجب ذلك.

أو المراد الأعم من ذلك ومن القسم كاذباً.

أو القسم من دون أهمية في الموضوع، أو ما أشبه.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿**وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[٧٠٠] قال: «إذا دعيت لصلح بين اثنين فلا تقل علي يمين ألا أفعل»[٧٠١].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**ولا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُمْ**﴾[٧٠٢]، قال: «يعني الرجل يحلف أن لا يكلم أخاه و ما أشبه ذلك أو لايكلم أمه»[٧٠٣].

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى لا إله غيره ﴿**وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا**﴾ قال: «هو قول الرجل لا والله، وبلى والله»[٧٠٤].

وفي الحديث القدسي: «يا عيسى لا تحلف باسمي كاذبا فيهتز عرشي غضبا»[٧٠٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي لا تحلف بالله كاذبا ولا صادقا من غير ضرورة، ولا تجعل الله عرضة ليمينك فإن الله لا يرحم ولا يرعى من حلف باسمه كاذبا»[٧٠٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أدّعي عليك مال ولم يكن له عليك، فأراد أن يحلّفك، فإن بلغ مقدار ثلاثين درهما فأعطه ولا تحلف، وإن كان أكثر من ذلك فاحلف ولا

---

(٦٩٩) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٧٠٠) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٧٠١) الكافي: ج٢ ص٢١٠ باب الإصلاح بين الناس ح٦.

(٧٠٢) سورة البقرة: ٢٢٤.

(٧٠٣) وسائل الشيعة: ج٢٣ ص٢٢٣ ب١١ ح٢٩٤٢١.

(٧٠٤) تفسير العياشي: ج١ ص١١١-١١٢ من سورة البقرة ح٣٣٧.

(٧٠٥) الأمالي للصدوق: ص٥١٩ المجلس٧٨ ضمن ح١.

(٧٠٦) انظر تحف العقول: ص١٤ وصية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

تعطه»[٧٠٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا: يا معلم الخير أرشدنا، فقال: إن موسى نبي الله عليه السلام أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا آمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين»[٧٠٨].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين ينفق السلعة ويمحق البركة»[٧٠٩].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تحلفوا إلا بالله، ومن حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن حلف له بالله فلم يرض فليس من الله في شيء»[٧١٠].

وقال صلى الله عليه وآله: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولاتحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[٧١١].

النازلة الكبرى

مسألة: يستحب بيان أن موت الرسول صلى الله عليه وآله هي النازلة الكبرى والمصيبة العظمى وتأكيد ذلك.

فإن مثل هذه التأكيدات تبيّن قَدَر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وقيمته ولو بقدر، مما يسبب التفاف الناس حوله أكثر فأكثر، فإن من عادة الناس أن يلتفوا حول العظماء، وكل ما ازدادوا معرفة بعظمتهم كان التفافهم حولهم أكثر، وكلما التف الناس حول الرسول صلى الله عليه وآله أكثر كانوا بمنجىً ومأمن من مشاكل الدنيا وعذاب الآخرة فـ﴿**ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾[٧١٢].

قال عليه السلام: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بالنبي صلى الله عليه وآله فإنه من أعظم المصائب»[٧١٣].

---

(٧٠٧) الكافي: ج٧ ص٤٣٥ باب كراهية اليمين ح٦.

(٧٠٨) وسائل الشيعة: ج٢٣ ص١٩٧ ب١ ح٢٩٣٥٤.

(٧٠٩) انظر مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٢٧٣ ب٢٠ ضمن ح١٥٣٣١.

(٧١٠) تهذيب الأحكام: ج٨ ص٢٨٤ ب٤ ح٣٢.

(٧١١) غوالي اللئالي: ج٣ ص٤٤٤ باب الإيمان ح٦.

(٧١٢) سورة سبأ: ٤٧.

(٧١٣) الكافي: ج٣ ص٢٢٠ باب التعزي ح١.

وقال النبي ﷺ: «يا علي من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها من أعظم المصائب»[٧١٤].

وقال ﷺ: «إذا أصبتم بمصيبة فاذكروا مصيبتي فإنها أعظم المصائب»[٧١٥].

وعن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان قال: فلما بلغ عليا عليه السلام موت الأشتر قال: «إنا لله و إنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا، فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه، مع أنا قد وطنا أنفسنا على أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ فإنها أعظم المصائب»[٧١٦].

وقال النبي ﷺ: «إن الله ليكتب الدرجة العالية في الجنة فلا يبلغها عبده فلا يزال يتعهد بالبلاء حتى يبلغها وإذا أصبتم بمصيبة فاذكروا مصيبتي فإنها أعظم المصائب»[٧١٧].

وأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام:

الموت لا والدا يبقي و لا ولدا هذا السبيل إلى أن لا ترى أحدا
هذا النبي ولم يخلد لأمته لو خلد الله خلقا قبله خلدا
للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا [٧١٨]

وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام:

إذا مات يوما ميت قلّ ذكره وذكر أبي مذ مات والله أزيد
تذكرت لما فرق الموت بيننا فعزيت نفسي بالنبي محمد
فقلت لها إن الممات سبيلنا ومن لم يمت في يومه مات في غد[٧١٩]

وهذا لا ينافي الاهتمام الأكثر بعزاء الإمام الحسين عليه السلام فإن ذلك بأمرهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

---

(٧١٤) المناقب: ج١ ص٢٣٨ فصل في وفاته عليه السلام.

(٧١٥) روضة الواعظين: ج٢ ص٤٢٣ مجلس في ذكر فضل الصبر.

(٧١٦) الغارات: ج١ ص١٦٩ خبر قتل الأشتر Σ.

(٧١٧) مشكاة الأنوار: ص٣٠٠ ف٧ في الشدائد والبلايا.

(٧١٨) بحار الأنوار: ج٢٢ ص٥٢٢-٥٢٣ ب٢.

(٧١٩) انظر المناقب: ج١ ص٢٣٨ فصل في وفاته ﷺ، وبحار الأنوار: ج٢٢ ص٥٢٣ ب٢.

كما لا ينافي الأخبار التالية أيضا:

قال لقمان: «يا بني إن أشد العدم عدم القلب، وإن أعظم المصائب مصيبة الدين، وأسنى المرزئة مرزأته»[٧٢٠].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أعظم المصائب الجهل»[٧٢١].

وقال عليه السلام: «المصيبة بالدين أعظم المصائب»[٧٢٢].

وقال عليه السلام: «أعظم المصائب و الشقاء الوله بالدنيا»[٧٢٣].

التوسع في معنى (احتمال التأثير)

مسألة: (كشف الحقيقة) واجب في الجملة، ويكفي في التأثير احتماله عقلائياً ولو في المستقبل للأجيال القادمة، وذلك من وجوه ذكرهم (صلوات الله عليهم) لبعض العلامات المبهمة لما قبل الظهور.

وأما ما ذكرته عليها السلام ههنا فتأثيره كان فعلياً ومستقبلياً.

قال الشهيد الثاني Σ في شرح اللمعة في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وتجويز التأثير، بأن لا يكون التأثير ممتنعاً، بل ممكنا بحسب ما يظهر له من حاله، وهذا يقتضي الوجوب ما لم يعلم عدم التأثير وإن ظن عدمه، لأن التجوز قائم مع الظن، وهو حسن)[٧٢٤].

وقال المحقق الأردبيليΣ: (نعم لا يبعد استحبابه مع احتمال التأثير مع ظن عدمه، إن كان مسقطاً للوجوب، لاحتمال حصول نفع، فتأمل)[٧٢٥].

وقال المحقق السبزواريΣ: (هل يعتبر مجرد التجويز وإن كان احتمال التأثير بعيداً، أو عدم غلبة الظن أو العلم بعدم التأثير، ظاهر بعض عباراتهم يقتضي الأول، وظاهر بعضها

---

(٧٢٠) قصص الأنبياء للراوندي: ص١٩٦ ف٦ في حديث لقمان ح٢٤٦.

(٧٢١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٧٣ الجهل شر المصائب ح١١٠٥.

(٧٢٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٨٦ الدين هو الملاك ح١٤٢٨.

(٧٢٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٤٠ الدنيا وحبها سبب الشقاء ح٢٤٦٢.

(٧٢٤) شرح اللمعة: ج٢ ص٤١٥.

(٧٢٥) مجمع الفائدة: ج٧ ص٥٣٩.

الثاني، ولعل نظر الأول على الآية [٧٢٦].

والتفصيل في الفقه[٧٢٧].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يكون في آخر الزمان قوم ينبع فيهم قوم مراءون ينفرون وينسكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرخص والمعاذير» إلى أن قال: «هنالك يتم غضب الله عليهم فيعمهم بعقابه»[٧٢٨].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من مشى إلى سلطان جائر فأمره بتقوى الله ووعظه وخوفه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والإنس ومثل أعمالهم»[٧٢٩].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرا من غير أن تعلم العامة، فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهارا فلم تغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة من الله عزوجل»[٧٣٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن المعصية إذا عمل بها العبد سرا لم تضر إلا عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه أضرت بالعامة» قال جعفر بن محمد عليه السلام: «وذلك أنه يذل بعمله دين الله ويقتدي به أهل عداوة الله»[٧٣١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»[٧٣٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفا من شرارهم وستين ألفا من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزوجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا

---

(٧٢٦) كفاية الأحكام: ص٨٢.

(٧٢٧) انظر موسوعة الفقه، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للإمام الشيرازيP: ج٤٨ ص١٨٠-١٨٢.

(٧٢٨) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٢٩ ب٢ ح٢١١٥٧.

(٧٢٩) الاختصاص: ص٢٦١-٢٦٢ حديث في زيارة المؤمن لله.

(٧٣٠) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٥-١٣٦ ب٤ ح٢١١٧٤.

(٧٣١) ثواب الأعمال: ص٢٦١ عقاب من قرب المنكر.

(٧٣٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٧ ب٤ ح٢١١٧٦.

لغضبي»[٧٣٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليهم السلام قال: «قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب من أهلك الذين تظلهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك؟ فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم والتربة أيديهم الذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربهم» إلى أن قال: «والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلت مثل النمر إذا حرد»[٧٣٤].

ذكر الحقيقة

مسألة: (ذكر الحقيقة) أمر، والتأكيد عليها أمر ثان، والبرهنة عليها أمر ثالث، والكل واجب في الجملة.

وهذا ما فعلته عليها السلام في هذه الجمل المتلاحقة وفي طول الخطبة، فإنها عليها السلام تارة اكتفت بالأول وأخرى ضمت إليه الثاني وثالثةً ثلّثت.

قولها عليها السلام: «فتلك والله النازلة الكبرى» النازلة أي التي تنزل من السماء، كما قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): في كل يوم ينزل البلاء إلى الأرض كقطر المطر[٧٣٥].

والمعنى: أن الحوادث تقع في صفوف البشر بصورة مستمرة، فهذا يموت وهذا يقتل وهذا يسقط في هوة وهذا يغرق وهذا يحترق بيته وهذا يفتقر وما أشبه ذلك، ولكن موت رسول الله صلى الله عليه وآله أكبر من كل تلك النوازل والمصائب إذ أن كل مصيبة تخصّ فرداً أو أفراداً أو شعباً أو شعوباً، أما موت رسول الله صلى الله عليه وآله فمصيبة تعم كل العالمين لأنه صلى الله عليه وآله في حياته كان رحمة للعالمين، وبموته حرم العالمون من رحمة وجوده الشريف، وإن كان صلى الله عليه وآله بعد موته أيضاً كحياته رحمة للناس حيث يستغفر لهم وإن الله ببركته يتفضل عليهم، إلى غير ذلك.

قولها عليها السلام: (والمصيبة العظمى) فإن الناس أصيبوا بمصيبة كبيرة لا يعرف مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

(**٧٣٣**) قصص الأنبياء للجزائري: ص٢١٤ ب١١ في قصص شعيب عليه السلام.

(**٧٣٤**) انظر مستدرك الوسائل: ج٣ ص٣٦١ ب٣ ضمن ح٣٧٨٢.

(**٧٣٥**) انظر الكافي: ج٥ ص٥٧ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن ح٦ وفيه: «إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر».

وفي الحديث: قال عليه السلام: «إن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض»(٧٣٦).

وفي صحيفة الرضا عليه السلام عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «إن في كتاب علي عليه السلام: أن أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحّ دينه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف دينه وضعف عمله قلّ بلاؤه، وإن البلاء أسرع إلى المؤمن التقي من المطر إلى قرار الأرض، وذلك أن الله عزوجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر»(٧٣٧).

وعن سلمان بن غانم قال: سألني أبو عبد الله عليه السلام: «كيف تركت الشيعة»؟

فقلت: تركت الحاجة فيهم والبلاء أسرع إليهم من الميزاب السريع في ماء المطر.

فقال: «الله المستعان» ثم قال: «أيسرك الأمر الذي أنت عليه أم مائة ألف»؟

قلت: لا والله، ولا جبال تهامة ذهبا.

فقال: «من أغنى منك ومن أصحابك، ما على أحدكم ولو ساح في الأرض يأكل من ورق الشجر ونبت الأرض حتى يأتيه الموت»(٧٣٨).

رحمة للعالمين

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(٧٣٩).

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام: «ثم إني أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحبيبي منهم، أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقمر المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشديد البأس، الحيي المتكرم، فإنه رحمة للعالمين وسيد ولد آدم عندي»(٧٤٠).

(**٧٣٦**) انظر وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٦٢ ب٧٧ ضمن ح٣٥٩١.

(**٧٣٧**) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٤٠-٤٤١ ب٦٥ ح٢٤٠٨.

(**٧٣٨**) مشكاة الأنوار: ص٢٩٢ ف٦ في الابتلاء والاختبار.

(**٧٣٩**) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(**٧٤٠**) الأمالي للصدوق: ص٥١٩-٥٢٠ المجلس٧٨.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى بعثني رحمة للعالمين»[٧٤١].

وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[٧٤٢].

وقد روي أنه: قام رسول الله ﷺ على الصفا ونادى في أيام الموسم: يا أيها الناس إني رسول الله رب العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم، قالها ثلاثا.

ثم انطلق ﷺ حتى أتى المروة، ثم وضع يده في أذنه ثم نادى ثلاثا بأعلى صوته: يا أيها الناس إني رسول الله، ثلاثا.

فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل (قبحه الله) بحجر فشج بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة، فهرب ﷺ حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له: المتكأ، وجاء المشركون في طلبه، وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: يا علي قد قتل محمد.

فانطلق عليه السلام إلى منزل خديجة عليها السلام فدق الباب، فقالت: خديجة من هذا؟

قال: أنا علي.

قالت: يا علي ما فعل محمد؟

قال: لا أدري، إلا أن المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدري أحي هو أم ميت، فأعطيني شيئا فيه ماء وخذي معك شيئا من هيس وانطلقي بنا نلتمس رسول الله ﷺ فإنا نجده جائعا عطشانا.

فمضى عليه السلام حتى جاز الجبل وخديجة عليها السلام معه، فقال علي: يا خديجة استبطني الوادي حتى أستظهره، فجعل ينادي: يا محمداه، يا رسول الله، نفسي لك الفداء، في أي واد أنت ملقى؟

وجعلت خديجة تنادي: من أحس لي النبي المصطفى، من أحس لي الربيع المرتضى، من أحس لي المطرود في الله، من أحس لي أبا القاسم؟

وهبط عليه جبرئيل عليه السلام فلما نظر إليه النبي ﷺ بكى وقال: ما ترى ما صنع بي قومي، كذبوني وطردوني وخرجوا عليّ!.

فقال: يا محمد ناولني يدك، فأخذ يده فأقعده على الجبل، ثم أخرج من تحت جناحه

---

(٧٤١) انظر روضة الواعظين: ج٢ ص٤٦٤ مجلس في ذكر الخمر والربا.

(٧٤٢) كشف الغمة: ج١ ص٨ ذكر أسمائه ﷺ.

درنوكا من درانيك الجنة منسوجا بالدر والياقوت وبسطه حتى جلل به جبال تهامة، ثم أخذ بيد رسول الله ﷺ حتى أقعده عليه ثم قال له جبرئيل: يا محمد أتريد أن تعلم كرامتك على الله؟

قال: نعم.

قال: فادع إليك تلك الشجرة تجبك.

فدعاها، فأقبلت حتى خرت بين يديه ساجدة.

فقال: يا محمد مرها ترجع.

فأمرها، فرجعت إلى مكانها.

وهبط عليه إسماعيل حارس السماء الدنيا فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن أنثر عليهم النجوم فأحرقهم؟

وأقبل ملك الشمس فقال: السلام عليك يا رسول الله، أتأمرني أن آخذ عليهم الشمس فأجمعها على رؤوسهم فتحرقهم؟

وأقبل ملك الأرض فقال: السلام عليك يا رسول الله، إن الله عزوجل قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الأرض فتجعلهم في بطنها كما هم على ظهرها؟

وأقبل ملك الجبال فقال: السلام عليك يا رسول الله، إن الله قد أمرني أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر الجبال فتنقلب عليهم فتحطمهم؟

وأقبل ملك البحار فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد أمرني ربي أن أطيعك، أفتأمرني أن آمر البحار فتغرقهم؟

فقال رسول الله ﷺ: قد أمرتم بطاعتي؟

قالوا: نعم.

فرفع رأسه إلى السماء ونادى:

إني لم أبعث عذابا، إنما بعثت رحمة للعالمين، دعوني وقومي فإنهم لايعلمون.

ونظر جبرئيل عليه السلام إلى خديجة تجول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة، قد أبكت لبكائها ملائكة السماء، ادعها إليك فأقرئها مني السلام وقل لها: إن الله يقرئك السلام وبشرها أن لها في الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه ولا صخب، لؤلؤا مكللا

بالذهب.

فدعاها النبي ﷺ والدماء تسيل من وجهه على الأرض وهو يمسحها ويردها، قالت: فداك أبي وأمي، دع الدمع يقع على الأرض.

قال: أخشى أن يغضب رب الأرض على من عليها.

فلما جن عليهم الليل انصرفت خديجة عليها السلام ورسول الله ﷺ وعلي عليه السلام ودخلت به منزلها، فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة وأظلته بصخرة من فوق رأسه وقامت في وجهه تستره ببردها، وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيط، وإذا رمي من بين يديه وقته خديجة عليها السلام بنفسها وجعلت تنادي: يا معشر قريش ترمى الحرة في منزلها، فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه وأصبح رسول الله ﷺ وغدا إلى المسجد يصلي»[٧٤٣].

لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة

النكرة في سياق النفي

مسألة: النكرة في سياق النفي أو النهي تفيد العموم[٧٤٤]، على ما ذكرناه في الأصول[٧٤٥].

فإن كلَّ ما نزل على البشر من المصائب لم يكن بمنزلة موت الرسول ﷺ في الأهمية، وكذلك ما سيحل على البشر بعد الرسول ﷺ وإلى يوم القيامة.

قولها عليها السلام: «لا مثلها نازلة» فإن تلك النوازل صغار بالنسبة إلى هذه النازلة وهي موت رسول الله ﷺ.

قولها عليها السلام: «ولا بائقة عاجلة» البائقة: الداهية والطامّة، والمراد بالعاجلة: في هذه الدنيا في مقابل المحشر الذي هو بائقة آجلة، ففي البوائق العاجلة في الدنيا لا شبيه لموت الرسول ﷺ إطلاقاً.

---

(٧٤٣) راجع بحار الأنوار: ج١٨ ص٢٤١-٢٤٤ ب١ ضمن ح٨٩.

(٧٤٤) فان (نازلة) و(بائقة) نكرتان وقعتا في سياق النفي.

(٧٤٥) راجع (الأصول) للإمام الشيرازي P: ص٥١٧ طبع دار العلوم، الطبعة الخامسة ٢٠٠٠م ١٤٢١هـ.

وربما يكون (بائقة عاجلة) في قبال مصيبةٍ كفاجعة الطف، أو ما قبلها: كمقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فإن الفاصل بين استشهادهما (صلوات الله عليهما) كان ثلاثين سنة، وباعتبار كونه عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله يتضح المعنى أكثر.

قال الراوي في بيان ما وقع في مقتل أمير المؤمنين عليه السلام: فاصطفقت أبواب الجامع، وضجت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة، ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ: «تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل ابن عم محمد المصطفى، قُتل الوصي المجتبى، قُتل علي المرتضى، قُتل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء»(٧٤٦).

هذا وقد تآمر القوم على قتل علي عليه السلام في مواطن عديدة منها ليلة العقبة حينما تآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الإمام العسكري عليه السلام: «لقد رامت الفجرة الكفرة ليلة العقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام فما قدروا على مغالبة ربهم، حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام لما فخم من أمره وعظم من شأنه، من ذلك أنه لما خرج من المدينة وقد كان خلفه عليها قال له: إن جبرئيل أتاني قال لي: يا محمد إن العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: يا محمد إما أن تخرج أنت ويقيم علي أو يخرج علي وتقيم أنت، لابد من ذلك، فإن عليا قد ندبته لإحدى اثنتين لا يعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري.

فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا: مله وسئمه وكره صحبته.

فتبعه علي عليه السلام حتى لحقه وقد وجد مما قالوا فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أشخصك عن مركزك؟

قال: بلغني عن الناس كذا وكذا.

فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

فانصرف علي عليه السلام إلى موضعه، فدبروا عليه أن يقتلوه، وتقدموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعا ثم غطوها بحصر رقاق ونثروا فوقها يسيرا من التراب بقدر ما

---

(٧٤٦) راجع بحار الأنوار: ج٤٢ ص٢٨٢ ب١٢٧.

غطوا وجوه الحصر وكان ذلك على طريق علي عليه السلام الذي لابد له من سلوكه، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمقوها، وكان ما حوالي المحفور أرضا ذات حجارة، دبروا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه.

فلما بلغ علي عليه السلام قرب المكان لوى فرسه عنقه وأطاله الله فبلغت جحفلته أذنه وقال: يا أمير المؤمنين قد حفر هاهنا ودبر عليك الحتف، وأنت أعلم لا تمر فيه.

فقال له علي عليه السلام: جزاك الله من ناصح خيرا كما تدبر تدبيري فإن الله عزوجل لا يخليك من صنعه الجميل، وسار حتى شارف المكان فتوقف الفرس خوفا من المرور على المكان، فقال علي عليه السلام: سر بإذن الله سالما سويا عجيبا شأنك بديعا أمرك، فتبادرت الدابة، فإذا الله عزوجل قد متن الأرض وصلبها ولأم حفرها وجعلها كسائر الأرض، فلما جاوزها علي عليه السلام لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال: ما أكرمك على رب العالمين، جوزك على هذا المكان الخاوي.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: جازاك الله بهذه السلامة عن تلك النصيحة التي نصحتني، ثم قلب وجه الدابة إلى ما يلي كفلها والقوم معه، بعضهم كان أمامه وبعضهم خلفه، وقال: اكشفوا عن هذا المكان، فكشفوا عنه فإذا هو خاو ولا يسير عليه أحد إلا وقع في الحفيرة.

فأظهر القوم الفزع والتعجب مما رأوا، فقال علي عليه السلام للقوم: أتدرون من عمل هذا؟

قالوا: لا ندري.

قال علي عليه السلام: لكن فرسي هذا يدري، يا أيها الفرس كيف هذا ومن دبر هذا؟

فقال الفرس: يا أمير المؤمنين إذا كان الله عزوجل يبرم ما يروم جهال الخلق نقضه أو كان ينقض ما يروم جهال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون، فعل هذا يا أمير المؤمنين فلان وفلان إلى أن ذكر العشرة بمواطاة من أربعة وعشرين هم مع رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه، ثم دبروا هم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة والله عزوجل من وراء حياطة رسول الله صلى الله عليه وآله وولي الله لا يغلبه الكافرون، الحديث»[٧٤٧].

يوم عاشوراء

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يا

(**٧٤٧**) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٨٠-٣٨٢ واقعة ليلة العقبة ضمن ح٢٦٥.

ابن رسول الله كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟

فقال: «إن يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي صلى الله عليه وآله بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين عليه السلام كان للناس في الحسن والحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عليه السلام عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟

فقال: «بلى، إن علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماما وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه وكان علمه وراثة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال في أن يتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عزوجل ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليه السلام ثم قال: «لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وأنه يوم بركة ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه، حكم

الله بيننا وبينهم»[٧٤٨].

أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم

علاقة القرآن والعترة

مسألة: الظاهر أن هنالك ترابطاً ثبوتياً وإثباتياً بين كتاب الله التشريعي وكتابه التكويني.

والمصداق الأجلى لذلك: الترابط بين القرآن الناطق[٧٤٩] والصامت، و«لن يفترقا»[٧٥٠] يشير فيما يشير إلى ذلك أيضا.

وقولها عليها السلام: «أعلن» من الشواهد على ذلك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس إني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه، ألا وإني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولا تسبقوهم فتفرقوا، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»[٧٥١].

وقال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٧٥٢].

وعن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بمنى فقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم حرمات الله:

---

(٧٤٨) علل الشرائع: ج١ ص٢٢٥-٢٢٧ ب١٦٢ ح١.

(٧٤٩) إشارة إلى أهل البيت عليهم السلام.

(٧٥٠) إشارة إلى حديث الثقلين، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٣ ب٥ ح٣٣١٤٤.

(٧٥١) الإرشاد: ج١ ص١٨٠.

(٧٥٢) كمال الدين: ج١ ص٢٤٠ ب٢٢ ح٦٠.

كتاب الله وعترتي والكعبة البيت الحرام»، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «أما كتاب الله فحرفوا[٧٥٣]، وأما الكعبة فهدموا، و أما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله فقد تبروا»[٧٥٤].

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عليهم السلام قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، فقيل له: من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولايفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»[٧٥٥].

وقال عليه السلام: «عليكم بالقرآن، فإنه الشفاء النافع، والدواء المبارك، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه» ثم قال: «أتدرون من المتمسك به، الذي يتمسكه ينال هذا الشرف العظيم، هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت وعن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا»[٧٥٦].

وعن سليم بن قيس قال: خرج علينا علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن في المسجد فاحتوشناه فقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن القرآن فإن في القرآن علم الأولين والآخرين، لم يدع لقائل مقالا، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وليسوا بواحد ورسول الله صلى الله عليه وآله كان واحدا منهم، علمه الله سبحانه إياه و علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لا يزال في عقبه إلى يوم تقوم الساعة، ثم قرأ: ﴿**وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ**﴾[٧٥٧]، فأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، والعلم في عقبنا إلى أن تقوم الساعة، ثم قرأ: ﴿**وَجَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾[٧٥٨].

ثم قال: كان رسول الله عقب إبراهيم ونحن أهل البيت عقب إبراهيم وعقب محمد صلى الله عليه وآله»[٧٥٩].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن وفينا معدن

---

(٧٥٣) أي حرفوا معناه ولم يعملوا به.

(٧٥٤) بصائر الدرجات: ص٤١٣-٤١٤ ب١٧ ح٣.

(٧٥٥) كشف الغمة: ج٢ ص٥٠٩ ب٢٥.

(٧٥٦) انظر وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٣ ب٥ ضمن ح٣٣١٤٣.

(٧٥٧) سورة البقرة: ٢٤٨.

(٧٥٨) سورة الزخرف: ٢٨.

(٧٥٩) تأويل الآيات الظاهرة: ص٥٤٠ سورة الزخرف وما فيها من الآيات.

الرسالة»[٧٦٠].

وقال رسول اللّه ﷺ: «يا عليّ مثلك في أمّتي مثل﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[٧٦١]، فمن أحبّك بقلبه فكأنّما قرأ ثلث القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه فكأنّما قرأ ثلثي القرآن، ومن أحبّك بقلبه وأعانك بلسانه ونصرك بيده فكأنّما قرأ القرآن كلّه»[٧٦٢].

وقال النبي ﷺ: في حديث: «بما تعجبون، إن القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، وربع في أعدائنا، وربع حلال وحرام، وربع فرائض وأحكام، وإن الله أنزل في علي عليه السلام كرائم القرآن»[٧٦٣].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن وبها نوهت الكتب، ويستبين الإيمان، وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما»[٧٦٤].

وقال رسول الله ﷺ في حديث: «أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن والحسين ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولايفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض»[٧٦٥].

(**٧٦٠**) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٦٦ ب٣١ ح٢٩٧.

(**٧٦١**) سورة الإخلاص: ١.

(**٧٦٢**) الخصال: ج٢ ص٥٨٠ أبواب السبعين، لأمير المؤمنين عليه السلام سبعون منقبة.

(**٧٦٣**) تفسير فرات الكوفي: ص٢٤٩ سورة مريم، ضمن ح٢٤٨.

(**٧٦٤**) تفسير العياشي: ج١ ص٥ في فضل القرآن ح٩.

(**٧٦٥**) انظر الاحتجاج: ج١ ص١٤٨ احتجاجه عليه السلام على جماعة كثيرة من المهاجرين.

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم

مسألة: من اللازم سبر أغوار شدة ارتباط الرسول صلى الله عليه وآله بالقرآن الكريم، وبصورة عامة استكشاف عمق العلاقة التشريعية والتكوينية بين العترة المطهرة عليهم السلام والكتاب المبين، عبر دراسة الأبعاد الجلية والخفية في عبارات وإشارات ولطائف وحقائق القرآن الكريم(٧٦٦).

وقولها عليها السلام «أعلن» من مصاديق ذلك، والإعلان كان في آيات عديدة.

حيث قال سبحانه: ﴿**إنك ميت وانهم ميّتون**﴾(٧٦٧).

وقال تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن متّ فهم الخالدون**﴾(٧٦٨).

وقال سبحانه: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ**﴾(٧٦٩).

وقال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾(٧٧٠).

وذكر البعض بأن المسلمين كانوا يتوقعون البقاء والخلود في الحياة الدنيا لما رأوا من معاجز الرسول صلى الله عليه وآله ووجاهته عند الله سبحانه وتعالى، لكن الله أعلن أن كل شيء هالك إلا وجهه وأعلن أن الرسول صلى الله عليه وآله ميت أيضاً بصورة خاصة.

ولعل كلامها عليها السلام تعريض بالذين أنكروا موت الرسول صلى الله عليه وآله وبيان لأن هذا القائل لا يعرف حتى أوضح الآيات في كتاب الله سبحانه(٧٧١).

حيث ورد: أنه لما قبض رسول اللّه صلى الله عليه وآله أقبل عمر بن الخطاب يقول: واللّه ما مات محمّد وإنّما غاب كغيبة موسى عن قومه!، و إنّه سيظهر بعد غيبته، فما زال يردّد هذا القول ويكرّره حتى ظنّ الناس أنّ عقله قد ذهب، فأتاه أبو بكر وقد اجتمع الناس عليه يتعجّبون من قوله، فقال: اربع على نفسك يا عمر من يمينك التي تحلف بها، فقد أخبرنا اللّه عزّوجلّ

---

(٧٦٦) للمزيد راجع الموسوعة الفقهية للإمام الشيرازيP كتاب حول القرآن الكريم: ج٩٨ ص٢٤٧-٢٦٠.

(٧٦٧) سورة الزمر: ٣٠.

(٧٦٨) سورة الأنبياء: ٣٤.

(٧٦٩) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٧٧٠) سورة الأنبياء: ٣٥.

(٧٧١) سورة الزمر: ٣٠.

في كتابه، فقال: يا محمّد ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[٧٧٢]. فقال عمر: وإنّ هذه الآية لفي كتاب اللّه يا أبا بكر! فقال: نعم. فقال: نعم، أشهد باللّه لقد ذاق محمّد الموت[٧٧٣].

وقال ابن أبي الحديد:

روى جميع أصحاب السيرة أنّ رسول اللّه ﷺ لما توفّي كان أبو بكر في منزله بالسّنح، فقام عمر بن الخطاب فقال: ما مات رسول اللّه ﷺ ولا يموت حتّى يظهر دينه على الدّين كلّه!، و ليرجعنّ فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجلهم ممّن أرجف بموته، ولا أسمع رجلا يقول مات رسول اللّه ﷺ إلا ضربته بسيفي، فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول اللّه ﷺ، وقال: بأبي وأمّي طبت حيّا وميّتا، واللّه لا يذيقك اللّه الموتتين أبدا، ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم: إنّه لم يمت، ويحلف، فقال له: أيّها الحالف على رسلك، ثم قال: من كان يعبد محمّدا فإنّ محمّدا قد مات، ومن كان يعبد اللّه، فإنّ اللّه حيّ لايموت، قال اللّه تعالى ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[٧٧٤]، وقال: ﴿**أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ**﴾[٧٧٥]، قال عمر: فو اللّه ما ملكت نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض، و قد علمت أنّ رسول اللّه ﷺ قد مات[٧٧٦].

وفي البحار: قال رسول الله ﷺ: «لما نزلت هذه الآية ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[٧٧٧]، قلت: يا رب أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء، فنزلت: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ**﴾[٧٧٨]»[٧٧٩].

وعن ابن عباس والسدي: لما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[٧٨٠]، قال رسول الله ﷺ: «ليتني أعلم متى يكون ذلك» فنزلت سورة النصر، فكان يسكت بين

---

(٧٧٢) سورة الزمر: ٣٠.

(٧٧٣) كمال الدين: ج١ ص٣١-٣٢ إثبات الغيبة والحكمة فيها.

(٧٧٤) سورة الزمر: ٣٠.

(٧٧٥) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٧٧٦) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٤٠-٤١ حديث السقيفة.

(٧٧٧) سورة الزمر: ٣٠.

(٧٧٨) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٧٧٩) بحار الأنوار: ج٦ ص٣٢٨ ب٢ ح٨.

(٧٨٠) سورة الزمر: ٣٠.

التكبير والقراءة بعد نزولها فيقول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» فقيل له في ذلك، فقال: «أما إن نفسي نعيت إليّ» ثم بكى بكاء شديدا، فقيل: يا رسول الله أو تبكي من الموت وقد غفر الله لك ﴿**ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ**﴾(٧٨١) قال: «فأين هول المطلع وأين ضيقة القبر وظلمة اللحد وأين القيامة والأهوال» فعاش بعد نزول هذه السورة عاما)(٧٨٢).

وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن نوف البكالي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «جاءت جماعة من قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله انصب لنا علما يكون لنا من بعدك لنهتدي ولا نضل كما ضلت بنو إسرائيل بعد موسى بن عمران، فقد قال ربك: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾(٧٨٣) ولسنا نطمع أن تعمر فينا ما عمر نوح في قومه وقد عرفت منتهى أجلك ونريد أن نهتدي ولا نضل.

قال صلى الله عليه وآله: إنكم قريبو عهد بالجاهلية وفي قلوب أقوام أضغان وعسيت إن فعلت أن لا تقبلوا ولكن من كان في منزله الليلة آية من غير ضير فهو صاحب الحق.

قال: فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله العشاء وانصرف إلى منزله سقط في منزلي نجم أضاءت له المدينة وما حولها وانفلق بأربع فلق انشعبت في كل شعبة فلقة من غير ضير.

قال نوف: قال لي جابر بن عبد الله: إن القوم أصروا على ذلك وأمسكوا، فلما أوحى الله إلى نبيه أن ارفع ضبع ابن عمك قال: يا جبرئيل أخاف من تشتت قلوب القوم فأوحى الله إليه: ﴿**يا أيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(٧٨٤)

فأمر النبي صلى الله عليه وآله بلالا أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا معشر قريش لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر العرب لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم قال: يا معشر الموالي لكم اليوم الشرف صفوا صفوفكم، ثم دعا بدواة قرطاس فأمر فكتب فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

---

(٧٨١) سورة الفتح: ٢.

(٧٨٢) المناقب: ج١ ص٢٣٤ فصل في وفاته عليه السلام.

(٧٨٣) سورة الزمر: ٣٠.

(٧٨٤) سورة المائدة: ٦٧.

لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال: شهدتم؟

قالوا: نعم.

قال: أفتعلمون أن الله مولاكم؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: أفتعلمون أنني مولاكم؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فقبض على ضبع علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعه للناس حتى تبين بياض إبطيه ثم قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذا هَوى ۞ ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى ۞ وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى ۞ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحى**﴾(٧٨٥) فأوحى إليه: ﴿**يا أيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾(٧٨٦).

وفي تفسير القمي: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ومن غصبه حقه، ثم ذكر أيضا أعداء آل محمد ومن كذب على الله وعلى رسوله وادعى ما لم يكن له فقال ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جاءهُ**﴾ يعني بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من الحق وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فقال: ﴿**وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ**﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ﴿**أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾(٧٨٧).

وفي تفسير القمي أيضا:

﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون**﴾(٧٨٨) فإنه لما أخبر الله نبيه بما يصيب أهل بيته بعده وادعاء من ادعى الخلافة دونهم اغتم رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله عزوجل: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة**

---

(٧٨٥) سورة النجم: ١-٤.

(٧٨٦) تفسير فرات الكوفي: ص٤٥٠-٥٤١ من سورة النجم ح٤٥٠.

(٧٨٧) تفسير القمي: ج٢ ص٢٤٩ سورة الزمر.

(٧٨٨) سورة الأنبياء: ٣٤.

الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ أي نختبرهم ﴿**وإلينا ترجعون**﴾ فأعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لابد أن يموت كل نفس»[٧٨٩].

وعن يعقوب الأحمر قال:

دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نعزيه بإسماعيل، فترحم عليه ثم قال: «إن الله عزوجل نعى إلى نبيه صلى الله عليه وآله نفسه فقال ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[٧٩٠] وقال: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[٧٩١]، ثم أنشأ يحدث فقال: إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، قال: فيجيء ملك الموت حتى يقوم بين يدي الله عزوجل، فيقال له: من بقي، وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل، فيقال: قل لجبرئيل و ميكائيل فليموتا، فيقول الملائكة عند ذلك: يا رب رسولاك وأميناك، فيقول: إني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت، ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عزوجل فيقال له: من بقي، وهو أعلم، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش، فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا، قال: ثم يجيء كئيبا حزينا لا يرفع طرفه، فيقال له: من بقي، فيقول: يا رب لم يبق إلا ملك الموت، فيقال له: مت يا ملك الموت، فيموت، ثم يأخذ الأرض بيمينه والسماوات بيمينه ويقول: أين الذين كانوا يدعون معي شريكا، أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر»[٧٩٢].

وفي حديث وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام: «فنزل ملك الموت فقال له جبرئيل: يا ملك الموت احفظ وصية الله في روح محمد صلى الله عليه وآله، وكان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت آخذ بروحه صلى الله عليه وآله فلما كشف الثوب عن وجه رسول الله نظر إلى جبرئيل فقال له: عند الشدائد تخذلني، فقال: يا محمد ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾، ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ فروي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك المرض كان يقول: ادعو إليّ حبيبي، فجعل يدعى له رجل بعد رجل، فيعرض عنه، فقيل لفاطمة: امضي إلى علي، فما نرى رسول الله صلى الله عليه وآله يريد غير علي، فبعثت فاطمة إلى علي عليه السلام فلما دخل فتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه وتهلل وجهه ثم قال: إليّ يا علي، إليّ يا علي، فما زال صلى الله عليه وآله يدنيه حتى أخذه

---

(٧٨٩) تفسير القمي: ج٢ ص٧٠ سورة الأنبياء.

(٧٩٠) سورة الزمر: ٣٠.

(٧٩١) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٧٩٢) الكافي: ج٣ ص٢٥٦ باب النوادر ح٢٥.

بيده وأجلسه عند رأسه ثم أغمي عليه، فجاء الحسن والحسين عليهما السلام يصيحان ويبكيان حتى وقعا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأراد علي عليه السلام أن ينحيهما عنه، فأفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: يا علي دعني أشمهما ويشماني وأتزود منهما ويتزودان مني أما إنهما سيظلمان بعدي ويقتلان ظلما، فلعنة الله على من يظلمهما، يقول ذلك ثلاثا، ثم مد يده إلى علي عليه السلام فجذبه إليه حتى أدخله تحت ثوبه الذي كان عليه ووضع فاه على فيه وجعل يناجيه مناجاة طويلة حتى خرجت روحه الطيبة صلى الله عليه وآله وسلم فانسل علي عليه السلام من تحت ثيابه وقال: أعظم الله أجوركم في نبيكم، فقد قبضه الله إليه، فارتفعت الأصوات بالضجة والبكاء، فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما الذي ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أدخلك تحت ثيابه؟ فقال: علمني ألف باب يفتح لي كل باب ألف باب»[٧٩٣].

لفظ الجلالة

مسألة: يستحب ـ تأسياً بها عليها السلام ولغيره أيضاً ـ أن يتبع لفظ الجلالة «الله» بما يدل على التعظيم مثل: (جل ثناؤه) كما قالت عليها السلام، أو (عزوجل) أو (تبارك وتعالى) أو غير ذلك.

وهكذا بالنسبة إلى عظماء الدين كالأنبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) فيقال بالنسبة إلى النبي: (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبالنسبة إلى الأئمة: (عليهم الصلاة والسلام)، وبالنسبة إلى الأنبياء السابقين: (صلوات الله عليه) بعد الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فتقول مثلاً: (على نبيّنا وآله عليه الصلاة والسلام) كما ورد بذلك الخبر.

فعن معاوية بن عمار قال: ذكرت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بعض الأنبياء فصليت عليه، فقال: «إذا ذكر أحد من الأنبياء فابدأ بالصلاة على محمد وآله ثم عليه صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الأنبياء»[٧٩٤].

والظاهر أن ما ذكرناه ليس خاصاً باسم الجلالة، وإنما يعم كل أسماء الله سبحانه وتعالى كالرّب والقدّوس وما أشبه ذلك، بل ينبغي التعظيم بعد ذكر ضميره جل اسمه أيضاً، مثلاً يقال: (فانه جل ثناؤه قال كذا)، وهكذا في سائر الضمائر، وفي دعاء كميل: «وأنت جل

(**٧٩٣**) الأمالي للصدوق: ص٦٣٧-٦٣٨ المجلس٩٢.

(**٧٩٤**) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٠٨ ب٤٣ ح٩١٢٩.

ثناؤك قلت مبتدءً»[٧٩٥]، إلى غير ذلك مما لا يخفى على من راجع الأدعية وكلماتهم (صلوات الله عليهم أجمعين).

وهكذا بالنسبة إلى الضمير العائد إلى رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

قال رسول الله ﷺ: «البخيل حقا من ذكرت عنده فلم يصل علي»[٧٩٦].

وقال ﷺ: «إنّ البخيل كل البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي»[٧٩٧].

وقال ﷺ في حديث: «ومن ذكرت عنده فلم يصل علي فلم يغفر له فأبعده الله»[٧٩٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلاة عليه، فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته»[٧٩٩].

وعن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ صلى الله عليه وملائكته فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر»[٨٠٠].

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: «ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وإن الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيخرج النبي ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به»[٨٠١].

وقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليَّ فإنها تذهب بالنفاق»[٨٠٢].

وقال ﷺ: «الصلاة عليَّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»[٨٠٣].

---

(٧٩٥) مصباح المتهجد: ص٢٤٨ .

(٧٩٦) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٠٤ ب٤٢ ح٩١١٩.

(٧٩٧) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٥٣ ب٣٥ ح٦٠٦٩.

(٧٩٨) انظر الأمالي للصدوق: ص٥٩ المجلس١٤ ضمن ح٢.

(٧٩٩) الكافي: ج٢ ص٤٩٢ باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح٦.

(٨٠٠) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٩٤ ب٣٤ ح٩٠٩٢.

(٨٠١) عدة الداعي: ص١٦٥ تقديم الصلاة على النبي وآله.

(٨٠٢) مكارم الأخلاق: ص٣١٢ في الصلاة على النبي وآله.

وقال الإمام الرضا عليه السلام في حديث: «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدما»(٨٠٤).

وقال عليه السلام: «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عزوجل التسبيح والتهليل والتكبير»(٨٠٥).

وعن عبد العظيم الحسني عليه السلام قال: سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: «إنما اتخذ الله عزوجل إبراهيم خليلا لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم»(٨٠٦).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي صلى الله عليه وآله أفضل من عتق رقاب»(٨٠٧) الحديث.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وجدت في بعض الكتب: من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة، ومن قال: صلى الله على محمد وأهل بيته، كتب الله له ألف حسنة»(٨٠٨).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمع أبي رجلا متعلقا بالبيت وهو يقول اللهم صل على محمد، فقال له أبي عليه السلام: لا تبترها لا تظلمنا حقنا، قل: اللهم صل على محمد وأهل بيته»(٨٠٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد التوسل إلي وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»(٨١٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صلى علي ولم يصل على آلي لم يجد ريح الجنة وإن ريحها

---

(٨٠٣) الكافي: ج٢ ص٤٩٢ باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح٨.

(٨٠٤) روضة الواعظين: ج٢ ص٣٢٢ في ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله.

(٨٠٥) انظر الأمالي للصدوق: ص٧٣ المجلس١٧ ضمن ح٤.

(٨٠٦) علل الشرائع: ج١ ص٣٤ ب٣٢ ح٣.

(٨٠٧) ثواب الأعمال: ص١٥٤ ثواب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله.

(٨٠٨) ثواب الأعمال: ص١٥٥-١٥٦ ثواب من صلى على محمد وأهل بيته.

(٨٠٩) الكافي: ج٢ ص٤٩٥ باب الصلاة على النبي محمد وأهل بيته ح٢١.

(٨١٠) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٠٣ ب٤٢ ح٩١١٥.

ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[٨١١].

وعن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لأمير المؤمنين عليه السلام: ألا أبشرك؟

قال: بلى.

إلى أن قال: أخبرني جبرئيل أن الرجل من أمتي إذا صلى عليّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي فتحت له أبواب السماء وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاة وإنه لمذنب خطأ ثم تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ويقول الله تبارك وتعالى لبيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي أنتم تصلون عليه سبعين صلاة وأنا أصلي عليه سبعمائة صلاة، وإذا صلى عليّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماوات سبعون حجابا ويقول الله تبارك وتعالى: لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلا أن يلحق بالنبي عترته، فلا يزال محجوبا حتى يلحق بي أهل بيتي»[٨١٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عزوجل ولم يصلوا على نبيهم إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالا عليهم»[٨١٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا الله عزوجل ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة» ثم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان»[٨١٤].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ما جلس قوم يذكرون الله عزوجل إلا ناداهم مناد من السماء قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعا، وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله عزوجل إلا قعد معهم عدة من الملائكة»[٨١٥].

---

(٨١١) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٠٣ ب٤٢ ح٩١١٧.

(٨١٢) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٠٤-٢٠٥ ب٤٢ ح٩١٢٠.

(٨١٣) الكافي: ج٢ ص٤٩٧ باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح٥.

(٨١٤) الكافي: ج٢ ص٤٩٦ باب ما يجب من ذكر الله عزوجل في كل مجلس ح٢.

(٨١٥) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٥٣ ب٣ ح٨٩٨٢.

التكرار مساء وصباحاً

مسألة: التكرار مطلوب في الجملة، وذلك للتركيز ولبيان الأهمية وما أشبه، وقد يجب كتكرار الحمد في الركعتين وما أشبه.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ۞ وسبحوه بكرة وأصيلا**﴾(٨١٦).

وقال سبحانه: ﴿**لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاَّ سَلاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا**﴾(٨١٧).

وقال تعالى: ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾(٨١٨).

وقال سبحانه: ﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾(٨١٩).

وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾(٨٢٠).

وقال سبحانه: ﴿**فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا**﴾(٨٢١).

وعن إسماعيل بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله عزوجل: ﴿**اذكروا الله ذكرا كثيرا**﴾ ما حده؟ قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله علم فاطمة عليها السلام أن تكبر أربعا وثلاثين تكبيرة وتسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة وتحمد ثلاثا وثلاثين تحميدة فإذا فعلت ذلك بالليل مرة وبالنهار مرة فقد ذكرت الله كثيرا»(٨٢٢).

---

(٨١٦) سورة الأحزاب: ٤١-٤٢.

(٨١٧) سورة مريم: ٦٢.

(٨١٨) سورة الأحزاب: ٤٢.

(٨١٩) سورة الفتح: ٩.

(٨٢٠) سورة الإنسان: ٢٥.

(٨٢١) سورة مريم: ١١.

(٨٢٢) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٧ ب٧ ح٥٣٠٦.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه إلا الذكر، فليس له حد ينتهي إليه، فرض الله عزوجل الفرائض فمن أداهن فهو حدهن، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده، والحج فمن حج فهو حده، إلا الذكر فإن الله عزوجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حدا ينتهي إليه، ثم تلا هذه الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا**﴾ فقال: لم يجعل الله عزوجل له حدا ينتهي إليه»، قال عليه السلام: «وكان أبي عليه السلام كثير الذكر، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكنت أرى لسانه لازقا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر»(٨٢٣).

وروى أبو حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أتى النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله لقيت من وسوسة صدري شدة وأنا رجل معيل مدين محوج، فقال له: كرر هذه الكلمات: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا، قال: فلم يلبث الرجل أن عاد إليه فقال: يا رسول الله أذهب الله عني وسوسة صدري وقضى ديني ووسع رزقي»(٨٢٤).

وقال صلى الله عليه وآله في وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام: «وعليك يا علي بصلاة الليل» وكرر ذلك ثلاث دفعات(٨٢٥).

وفي دعاء الموقف لعلي بن الحسين عليه السلام: «اللهم ارحم موقفي وزد في عملي وسلم لي ديني وتقبل مناسكي»(٨٢٦) وكرر قولك: اللهم أعتقني من النار.

إلى غير ذلك من مصاديق التكرار مما هو كثير.

هذا وقد ذكر الفقهاء والمحدثون أبواباً عديدة فيما يستحب التكرار فيه، منها:

باب استحباب إعداد الإنسان كفنه وجعله معه في بيته وتكرار نظره إليه(٨٢٧).

---

(٨٢٣) الكافي: ج٢ ص٤٩٨-٤٩٩ باب ذكر الله عزوجل كثيراً ضمن ح١.

(٨٢٤) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٣٣٨-٣٣٩ باب أحكام السهو في الصلاة ح٩٨٦.

(٨٢٥) أعلام الدين: ص٢٦٢ فصل في فضل قيام الليل والترغيب فيه.

(٨٢٦) مصباح المتهجد: ص٦٩٩ دعاء الموقف لعلي بن الحسين عليه السلام.

(٨٢٧) راجع وسائل الشيعة: ج٣ ص٤٩ ب٢٧.

باب استحباب رش القبر بالماء مستقبلا من عند الرأس دورا ثم على وسطه وتكرار الرش أربعين يوما كل يوم مرة [٨٢٨].

باب استحباب تكرار الحمد وقراءتها سبعين مرة على الوجع[٨٢٩].

باب استحباب الإكثار من تكرار التسبيح في الركوع والسجود والإطالة فيهما مهما استطاع حتى الإمام مع احتمال من خلفه للإطالة[٨٣٠].

باب استحباب تكرار الشهادتين[٨٣١].

باب استحباب الدعاء بطلب الخيرة وتكرار ذلك[٨٣٢].

باب استحباب تكرار الحج والعمرة بقدر القدرة[٨٣٣].

باب استحباب تكرار التسميت ثلاثا عند توالي العطاس من غير زيادة[٨٣٤].

باب استحباب تكرار التلبية في الإحرام سبعين مرة فصاعدا[٨٣٥].

باب استحباب تكرار زيارة الحسين عليه السلام بقدر الإمكان[٨٣٦].

باب استحباب تكرار التوبة والاستغفار كل يوم وليلة من غير ذنب ووجوبه مع الذنب[٨٣٧].

إلى غيرها.

تلاوة القرآن وألحانه

مسألة: يستحب تلاوة القرآن في الصباح والمساء، فإن هذه الأوقات مفتاح باقي

---

(٨٢٨) راجع وسائل الشيعة: ج٣ ص١٩٥ ب٣٢.

(٨٢٩) راجع وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٣١ ب٣٧.

(٨٣٠) انظر وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٠٤ ب٦.

(٨٣١) انظر وسائل الشيعة: ج٧ ص٢١٥ ب٤٦.

(٨٣٢) راجع وسائل الشيعة: ج٨ ص٧٤ ب٥.

(٨٣٣) راجع وسائل الشيعة: ج١١ ص١٢٣ ب٤٥.

(٨٣٤) راجع وسائل الشيعة: ج١٢ ص٩١ ب٦١.

(٨٣٥) راجع وسائل الشيعة: ج١٢ ص٣٨٦ ب٤١.

(٨٣٦) راجع وسائل الشيعة: ج١٤ ص٤٣٧ ب٤٠.

(٨٣٧) راجع وسائل الشيعة: ج١٦ ص٨٤ ب٩٢.

الأوقات، إلى المساء، وإلى الصباح، ولذا وردت أدعية عديدة يفتتح بها الصباح والمساء، وهما من مظاهر قدرة الله وتحويله وتدبيره وتصرفه، ومن الواضح استحباب قراءة القرآن في كل وقت إلا أن في بعضها آكد.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فتكتب له مكان كل آية يقرؤها عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيئات»(٨٣٨).

وعن بشر بن غالب الأسدي عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «من قرأ آية من كتاب الله عزوجل في صلاته قائما يكتب له بكل حرف مائة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلا صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهارا صلت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة وكان خيرا له مما بين السماء إلى الأرض» قلت: هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأه؟ قال: «يا أخا بني أسد إن الله جواد ماجد كريم إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك»(٨٣٩).

وعن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم وإن مات كان في جوار محمد النبي صلى الله عليه وآله»(٨٤٠).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة»(٨٤١).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «من قرأ آية الكرسي عند منامه لم يخف الفالج إن شاء الله، ومن قرأها في دبر كل فريضة لم يضره ذو حمة» وقال: «من قدم ﴿**قل هو الله أحد**﴾ بينه وبين جبار منعه الله عزوجل منه، يقرأها من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فإذا فعل ذلك رزقه الله عزوجل خيره ومنعه من شره» وقال: «إذا خفت أمرا فاقرأ مائة آية من

---

(٨٣٨) الكافي: ج٢ ص٦١١ باب ثواب قراءة القرآن ح٢.

(٨٣٩) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٨٧-١٨٨ ب١١ ح٧٦٩١.

(٨٤٠) المصباح للكفعمي: ص٤٤٦ ف٣٩ في ذكر ثواب سور القرآن.

(٨٤١) ثواب الأعمال: ص١٢٨ ثواب قراءة قل هو الله أحد.

القرآن من حيث شئت ثم قل: اللهم اكشف عني البلاء، ثلاث مرات»[٨٤٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ مائة آية يصلي بها في ليلة كتب الله عزوجل له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة لم يحاجه القرآن يوم القيامة، ومن قرأ خمسمائة آية في يوم وليلة في صلاة النهار والليل كتب الله عزوجل له في اللوح المحفوظ قنطارا من الحسنات، والقنطار ألف ومائتا أوقية، والأوقية أعظم من جبل أحد»[٨٤٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ ﴿**ألهيكم التكاثر**﴾ عند النوم وقي فتنة القبر»[٨٤٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ إذا أوى إلى فراشه ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ و﴿**قل هو الله أحد**﴾ كتب الله عزوجل له براءة من الشرك»[٨٤٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قرأ عشر آيات في ليله لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، المثقال أربعة وعشرون قيراطا، أصغرها مثل جبل أحد، وأكبرها ما بين السماء و الأرض»[٨٤٦].

من أدعية الصباح والمساء

عن الصادق عليه السلام قال: «قل حين تصبح ثلاثا وحين تمسي ثلاثا: أستودع الله العلي الأعلى الجليل العظيم ديني ونفسي وأهلي ومالي وولدي وإخواني المؤمنين وجميع ما رزقني ربي وجميع من يعنيني أمره»[٨٤٧]، الدعاء.

---

(٨٤٢) الكافي: ج٢ ص٦٢١ باب فضل القرآن ح٨.

(٨٤٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٣٨ ب٦٢ ح٧٥٥٥.

(٨٤٤) مصباح المتهجد: ص١٢١ ما يستحب فعله بعد العشاء الآخرة من الصلاة.

(٨٤٥) الكافي: ج٢ ص٦٢٦ باب فضل القرآن ح٢٣.

(٨٤٦) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٢ ب١٧ ح٧٧٣١.

(٨٤٧) انظر المصباح للكفعمي: ص٨٤ ف١٦ في أدعية الصباح والمساء.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله في حديث الإسراء وهو طويل: «وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت: (اللَّهُمَّ إِنَّ ظُلْمِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيراً بِعَفْوِكَ، وَذَنْبِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيراً بِمَغْفِرَتِكَ، وَذُلِّي أَصْبَحَ مُسْتَجِيراً بِعِزَّتِكَ، وَفَقْرِي أَصْبَحَ مُسْتَجِيراً بِغِنَاكَ، وَوَجْهِيَ الْبَالِيَ الْفَانِيَ أَصْبَحَ مُسْتَجِيراً بِوَجْهِكَ الدَّائِمِ الْبَاقِي الَّذِي لا يَفْنَى) وأقول ذلك إذا أمسيت»[٨٤٨].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا أصبحت فقل: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي سَهْماً وَافِراً فِي كُلِّ حَسَنَةٍ أَنْزَلْتَهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، وَاصْرِفْ عَنِّي كُلَّ مُصِيبَةٍ أَنْزَلْتَهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، و عَافِنِي مِنْ طَلَبِ مَا لَمْ تُقَدِّرْ لِي مِنْ رِزْقٍ، وَمَا قَدَّرْتَ لِي مِنْ رِزْقٍ فَسُقْهُ إِلَيَّ فِي يُسْرٍ مِنْكَ وعَافِيَةٍ آمِينَ) ثلاث مرات»[٨٤٩].

وعن إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها**﴾[٨٥٠]، فقال عليه السلام: «فريضة على كل مسلم أن يقول قبل طلوع الشمس عشر مرات وقبل غروبها عشر مرات: (لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَ هُوَ حَيّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال: فقلت: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويميت ويحيي)؟ فقال: يا هذا لا شك في أن الله يحيي ويميت ويميت ويحيي ولكن قل كما أقول»[٨٥١].

أقول: فريضة بمعنى تأكد الثواب وثبوت الاستحباب وتقديره، فإن الفرض يأتي بمعنى السَن والسنة والتقدير أيضا [٨٥٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «فقد النبي صلى الله عليه وآله رجلاً من الأنصار، فقال له: ما غيّبك عنا؟ فقال: الفقر يا رسول الله وطول السقم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أعلمك كلاماً إذا قلته ذهب عنك الفقر والسقم، فقال: بلى يا رسول الله، قال: إذا

---

(٨٤٨) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٨١ ب٤١ ح٦١٤٥.

(٨٤٩) الأمالي للطوسي: ص٣٧١ المجلس١٣.

(٨٥٠) سورة طه: ١٣٠.

(٨٥١) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٢٦-٢٢٧ ب٤٩ ح٩١٨٥.

(٨٥٢) انظر لسان العرب، مادة فرض.

أصبحت وأمسيت فقل: (لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ العلي العظيم، تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) قال الرجل: فوالله ما قلته إلا ثلاثة أيام حتى ذهب عني الفقر والسقم»(٨٥٣).

وعن صفوان عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: علمني شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، فقال: «قل: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ غَيْرُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أَدْخَلْتَ فِيهِ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ كُلِّ سُوءٍ أَخْرَجْتَ مِنْهُ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ)»(٨٥٤).

وعن داود الرقي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: يا داود ألا أعلمك كلمات إن أنت قلتهن كل يوم صباحا ومساء ثلاث مرات آمنك الله مما تخاف؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله، قال: قل: (أصبحت بذمة الله وذمم رسله وذمة محمد صلى الله عليه وآله وذمم الأوصياء عليهم السلام آمنت بسرهم وعلانيتهم وشاهدهم وغائبهم وأشهد أنهم في علم الله وطاعته كمحمد صلى الله عليه وآله والسلام عليهم) قال داود: فما دعوت إلا فلجت على حاجتي»(٨٥٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أمسيت قل: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ وَحُضُورِ صَلَوَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَائِكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) وادع بما أحببت»(٨٥٦).

يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً (٨٥٧)

---

(٨٥٣) الكافي: ج٨ ص٩٣ ح٦٥.

(٨٥٤) الكافي: ج٢ ص٥٢٩ ح٢٢.

(٨٥٥) بحار الأنوار: ج٨٣ ص٣٣٧ ب٤٥ ح٧٣.

(٨٥٦) وسائل الشيعة: ج٥ ص٤٥٢ ب٤٣ ح٧٠٦٢.

(٨٥٧) وفي بعض النسخ: (فتلك نازلة أعلن بها كتاب الله هتافاً هتافاً).

الهتاف والصراخ

مسألة: يجوز تلاوة القرآن هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ويفهم منه رجحان كل تلك الصور فإن حديثها هذا ليست حكايةً عن حالة خارجية فحسب، ولا إخباراً عن قضية تاريخية فقط، بل هو تقرير أيضاً، ومن الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً حيث كان ذلك. كما أخبرت عليها السلام. يجري بمحضره الشريف وبمرآه ومسمعه، أو المنقول لديه.

فالهتاف: ذات صوت، أو الصياح دون الصراخ، ويقال أيضاً فيمن يسمع صوته ولا يرى شخصه(٨٥٨).

والصراخ: فوقه، فإنه الصياح الشديد(٨٥٩).

والتلاوة: الترتيل في القراءة، لا المد الطويل في الكلمات ولا القرب المشين، والترتيل هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات (٨٦٠).

والألحان: عبارة عن مختلف الألحان والأنغام والإيقاعات . شرط أن لاتكون غناءً .كما نشاهد ذلك في القرّاء في يومنا هذا حيث تختلف ألحانهم في القراءة من الجميل إلى الأجمل، ومن البطيء إلى السريع، وهكذا (٨٦١).

ويقال: ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة.

وللألحان معنى آخر هو الإفهام، فإنه يقال: ألحنه القول: أي أفهمه إياه.

والأول أقرب بقرينة السياق.

أو المراد اللحن الذي هو الطريق الخاص بإنسان أو بأمة، وقد ورد في الحديث: «اقرؤوا القرآن بألحان العرب»(٨٦٢).

والمراد أن القرآن كان يُقرأ في تلك الأفنية، في الليالي والنهار، بصوت عال أو بصوت أعلى، وبتلاوة في مقابل القراءة كالتكلم أو بلا تلاوة، وبألحان أو بغيرها.

لكن من اللازم ملاحظة أن يكون الهتاف والصراخ في موردهما، وإلا فإن الهتاف والصراخ

---

(٨٥٨) راجع لسان العرب: ج٩ ص٣٤٤ مادة هتف.

(٨٥٩) راجع لسان العرب: ج٣ ص٣٣ مادة صرخ.

(٨٦٠) راجع لسان العرب: ج١١ ص٢٦٥ مادة رتل.

(٨٦١) راجع كتاب العين: ج٣ ص٢٢٩ مادة لحن.

(٨٦٢) انظر الكافي: ج٢ ص٦١٥ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ضمن ح٣.

قد يكونان مرجوحين لبعض الأسباب الخارجية.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿**من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سرا كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرات مرت له على نحو ألف ذنب من ذنوبه»(٨٦٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اقرءوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر، فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح، قلوبهم مفتونة وقلوب من يعجبه شأنهم»(٨٦٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني أخاف عليكم استخفافا بالدين وبيع الحكم وقطيعة الرحم وأن تتخذوا القرآن مزامير»(٨٦٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أعرب القرآن فإنه عربي»(٨٦٦).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن»(٨٦٧).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان السقاءون يمرون فيقفون ببابه يسمعون قراءته»(٨٦٨).

وفي قصة قوم يونس لما رأوا آثار العذاب جاؤوا إلى عالمهم وكان اسمه روبيل، فقال لهم: (إذا رأيتم ريحا صفراء أقبلت من المشرق فعجوا الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله والتوبة إليه وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: ربنا ظلمنا أنفسنا وكذبنا نبينا وتبنا إليك من ذنوبنا وإن لم تغفر لنا ولا ترحمنا لنكونن من الخاسرين المعذبين فاقبل توبتنا وارحمنا يا أرحم الراحمين، ثم لا تملوا من البكاء والصراخ والتضرع إلى الله حتى تتوارى الشمس بالحجاب ويكشف الله عنكم العذاب) (٨٦٩).

---

(٨٦٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٩ ب٢٣ ح٧٧٥١.

(٨٦٤) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٧٢ ب٢٠ ح١٤.

(٨٦٥) مستدرك الوسائل: ج٤ ص٢٧٥ ب٢٠ ح٤٦٨٦.

(٨٦٦) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٧ ب٢١ ح٧٧٤٤.

(٨٦٧) الكافي: ج٢ ص٦١٥ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح٩.

(٨٦٨) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢١١ ب٢٤ ح٧٧٥٧.

(٨٦٩) قصص الأنبياء للجزائري: ص٤٣٥ باب في قصص يونس عليه السلام.

وقال ابن عباس: (بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة وهي تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدنني وابكين معي فقد قتل سيدكن، فقيل: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله الساعة في المنام شعثا مذعورا فسألته عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته فدفنتهم، قالت: فنظرت فإذا بتربة الحسين الذي أتى بها جبرئيل من كربلاء، وقال صلى الله عليه وآله: إذا صارت دما فقد قتل ابنك فأعطانيها النبي فقال اجعليها في زجاجة فليكن عندك فإذا صارت دما فقد قتل الحسين عليه السلام، فرأيت القارورة الآن صارت دما عبيطا يفور) (٨٧٠).

قولها عليها السلام: «أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه» أي: أعلن القرآن عن هذه المشكلة والفادحة التي هي موت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قولها عليها السلام: «في أفنيتكم» من فناء الدار، على وزن كساء: العرصة المتسعة أمام البيت، حيث إنهم كانوا يقرؤون القرآن أمام دورهم كما يقرؤون القرآن في الأماكن الأخرى من دورهم وغيرها.

قولها عليها السلام: «في ممساكم ومصبحكم» الممسى والمصبح، بضم الميم فيهما: مصدران بمعنى الإصباح والإمساء، فإنهم كانوا يقرؤون القرآن صباحاً ومساءً، وحيث إن المراد بالمساء كل الليل فالمراد بالمصبح كل النهار في معناه اللغوي لا الاصطلاحي الذي هو في مقابل العصر.

---

(٨٧٠) المناقب: ج٤ ص٥٥ فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام.

استصحاب الشرائع السابقة

مسألة: هل يستفاد من كلامها عليهما السلام هذا حجية الشرائع السابقة واستصحابها، أم أنه استدلال بالأخص على الأعم، وبالقضايا التكوينية على التشريعية، هذا هو الأظهر، ولا وجه لإلغاء الخصوصية هنا.

نعم الظاهر حجية ما علم بأنه منها [٨٧١] إلا ما خرج بالدليل وثبت نسخه، كما ذكرنا ذلك في (الأصول) [٨٧٢].

قال المحقق في الشرائع، في استحباب النكاح: (وربما احتج المانع بأن وصف يحيى عليه السلام بكونه حصوراً يؤذن باختصاص هذا الوصف بالرجحان، فيحمل على ما إذا لم تتق النفس، ويمكن الجواب بأن المدح بذلك في شرع غيرنا لا يلزم منه وجوده في شرعنا)[٨٧٣].

أقول: وذلك للدليل الخاص.

وقال في الجواهر: (ودعوى أن الأصل بقاء الشرائع السابقة إلا ما دل الدليل على نسخه، فإن شرعنا ليس ناسخاً لجميع ما في الشرائع السابقة، بل المجموع من حيث هو مجموع، للقطع ببقاء كثير منها كأكل الطيبات ونكاح الحلال والعبادات الثابتة في جميع الملل، وأيضاً فوروده في كتابنا الذي هو في شرعنا من دون إشارة إلى نسخه دليل على بقائه، وإلا لم يحسن مدحه عندنا، يدفعها أن الكتاب العزيز والسنة المتواترة الدالين على استحباب النكاح في شرعنا مطلقاً يثبت بهما النسخ ويخرج بهما عن مقتضى الأصل) [٨٧٤].

---

(٨٧١) أي من الشرائع السابقة.

(٨٧٢) انظر (الأصول) للإمام الشيرازي P: ج٢ ص٢٩٥-٢٩٦.

(٨٧٣) انظر شرائع الإسلام: ج٢ ص٥٠٤ كتاب النكاح، طبع مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الطبعة العاشرة.

(٨٧٤) انظر جواهر الكلام: ج٢٩ ص٢٠ كتاب النكاح، طبع المكتبة الإسلامية الطبعة الثانية.

أحوال الأنبياء والرسل عليهم السلام

مسألة: يستحب وربما وجب التطرق لأحوال سائر الأنبياء والرسل في مختلف شؤونهم ومراحل حياتهم من الولادة والوفاة والسيرة والسلوك، وكيفية معاشرتهم مع الناس وفي حياتهم العائلية والاجتماعية وغيرهما، لأنهم أسوة وسلوة، فالإنسان يتعلم منهم ويتزكى ويتطبع على مكارم الأخلاق، ومنها الصبر والتصبر، والرضا بقضاء الله وقدره، وذلك من علل إشارتها عليهم السلام إلى هذا الجانب.

كما ورد ذلك في القرآن الكريم والروايات الشريفة.

قال تعالى: ﴿**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾(٨٧٥).

وعن الصادق عليه السلام قال: «كان آدم عليه السلام إذا لم يأته جبرئيل اغتم وحزن، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئا من الحزن فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله»(٨٧٦).

وقال ابن عباس: (كان موسى عليه السلام رجلا غيورا لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته)(٨٧٧).

وفي الحديث: «كان موسى عليه السلام إذا صلى لم ينفتل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض وخده الأيسر»(٨٧٨).

وعن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «كان يحيى بن زكريا عليه السلام يبكي ولا يضحك، وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يضحك ويبكي وكان الذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذي كان يصنع يحيى عليه السلام»(٨٧٩).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول لأصحابه: يا بني آدم اهربوا من الدنيا إلى الله وأخرجوا قلوبكم عنها، فإنكم لاتصلحون لها ولا تصلح لكم، ولا تبقون فيها ولا تبقى لكم، هي الخداعة الفجاعة، المغرور من اغتر بها، المغبون من اطمأن

---

(٨٧٥) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٨٧٦) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٦٩ ب٣٩ ح٦١١٠.

(٨٧٧) انظر بحار الأنوار: ج١٣ ص٨٨ ب٤.

(٨٧٨) انظر وسائل الشيعة: ج٧ ص١٢ ب٣ ضمن ح٨٥٧٨.

(٨٧٩) الكافي: ج٢ ص٦٦٥ باب الدعابة والضحك ح٢٠.

إليها، الهالك من أحبها وأرادها فتوبوا إلى الله بارئكم»[٨٨٠].

وعن علي عليه السلام قال: «كان إبراهيم أول من أضاف الضيف، وأول من شاب فقال: ما هذه؟ فقيل: وقار في الدنيا ونور في الآخرة»[٨٨١].

وفي الحديث: «كان إبراهيم عليه السلام مضيافا»[٨٨٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان إبراهيم عليه السلام غيورا، وجدع الله أنف من لا يغار»[٨٨٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان نوح إذا أمسى وأصبح يقول: أمسيت أشهد أنه ما أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فإنها من الله وحده لا شريك له، له الحمد علي بها كثيراً والشكر كثيرا، فأنزل الله: ﴿**إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً**﴾[٨٨٤] فهذا كان شكره»[٨٨٥].

وقال عليه السلام: «ولما كان يوسف عليه السلام في السجن دخل عليه جبرئيل فقال: إن الله ابتلاك وابتلى أباك وإن الله ينجيك من هذا السجن، فاسأل الله بحق محمد وأهل بيته أن يخلصك مما أنت فيه، فقال يوسف: اللهم إني أسألك بحق محمد وأهل بيته إلا عجلت فرجي وأرحتني مما أنا فيه، قال جبرئيل عليه السلام: فأبشر أيها الصديق فإن الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيام ويملكك مصر وأهلها، تخدمك أشرافها ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشر أيها الصديق أنك صفي الله وابن صفيه، فلم يلبث يوسف عليه السلام إلا تلك الليلة حتى رأى الملك رؤيا أفزعته فقصها على أعوانه فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الذي نجا من السجن يوسف فقال له: أيها الملك أرسلني إلى السجن فإن فيه رجلا لم ير مثله حلما و علما و تفسيرا»[٨٨٦] الحديث.

وفي تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا سافر أحدكم فقدم من سفره فليأت أهله بما تيسر ولو بحجر، فإن إبراهيم عليه السلام كان إذا ضاق أتى قومه وأنه ضاق ضيقة

---

(٨٨٠) الأمالي للصدوق: ص٥٥٥ المجلس٨٢ ضمن ح١٢.

(٨٨١) قصص الأنبياء للجزائري: ص٩٥ ب٦ الفصل الأول في علة تسميته وفضائله.

(٨٨٢) الخرائج والجرائح: ج٢ ص٩٢٨.

(٨٨٣) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٢٣٧ ب١٣٤ ح٢٥٥٢٥.

(٨٨٤) سورة الإسراء: ٣.

(٨٨٥) تفسير القمي: ج٢ ص١٤ معراج رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٨٨٦) قصص الأنبياء للراوندي: ص١٣٢ ب٦ ف٣ ضمن ح١٣٥.

فأتى قومه فوافق منهم أزمة فرجع كما ذهب، فلما قرب من منزله نزل عن حماره فملأ خرجه رملا أراد أن يسكن به من زوجته سارة، فلما دخل منزله حط الخرج عن الحمار وافتتح الصلاة فجاءت سارة ففتحت الخرج فوجدته مملوءً دقيقا فاعتجنت منه واختبزت ثم قالت لإبراهيم: انفتل من صلاتك فكل، فقال لها: أنى لك هذا؟ قالت: من الدقيق الذي في الخرج، فرفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أنك الخليل»(٨٨٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بكى شعيب من حب الله عزوجل حتى عمي، فرد الله عزوجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك، إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك، فقال: إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك ولكن عقد حبك في قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: أما إذا كان هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران»(٨٨٨).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزوجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»(٨٨٩).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أوحى الله إلى موسى بن عمران: يا موسى أتدري لم انتخبتك من خلقي واصطفيتك لكلامي؟ فقال: لا يا رب، فأوحى الله إليه أني اطلعت على الأرض فلم أجد أشد تواضعا لي منك، فخر موسى ساجدا، وعفر خديه في التراب تذللا منه لربه عزوجل، فأوحى الله إليه: ارفع رأسك يا موسى ومر يدك على موضع سجودك وامسح بها وجهك وما نالته من بدنك فإنه أمان من كل سقم وداء وآفة وعاهة»(٨٩٠).

وفي الحديث القدسي: قال الله سبحانه لداود عليه السلام: «أحببني وحببني إلى خلقي، قال: يا رب أنا أحبك فكيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكر أيادي عندهم فإنك إذا ذكرت ذلك

---

(٨٨٧) تفسير العياشي: ج١ ص٢٧٧ من سورة النساء ح٢٧٩.

(٨٨٨) قصص الأنبياء للجزائري: ص٢١١ ب١١ في قصص شعيب عليه السلام.

(٨٨٩) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٤٦ ب٨ ح٢١٢٠١.

(٨٩٠) قصص الأنبياء للجزائري: ص٢١٦-٢١٧ ب١٢ ف١ في قصص موسى وهارون عليهما السلام.

لهم أحبوني»[٨٩١].

وفي تفسير العياشي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه سئل أكان سليمان عليه السلام محتاجا إلى علم آصف بن برخيا يعني حتى أحضر له عرش بلقيس؟ فقال عليه السلام: «إن سليمان لم يعجز عن معرفة ما عرفه آصف لكنه عليه السلام أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه آصف بأمر الله ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق»[٨٩٢].

وروي: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الإثنين والخميس، فقيل له: لم ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «إن الأعمال ترفع في كل إثنين وخميس فأحب أن ترفع عملي وأنا صائم»[٨٩٣].

وفي الحديث: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات»[٨٩٤].

وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك»[٨٩٥].

وعن أبي ذر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي صلى الله عليه وآله أن يجعل مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكانا من طين فكان يجلس عليها ونجلس بجانبيه»[٨٩٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه ينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية»[٨٩٧].

إلى غيرها من الروايات والآيات الواردة في أحوال الأنبياء عليهم السلام وقصصهم.

---

(٨٩١) قصص الأنبياء للجزائري: ص٣٤٩ ف٢ فيما أوحى إليه وما صدر عنه من الحكم.

(٨٩٢) قصص الأنبياء للجزائري: ص٣٧٩ ف٣ في قصته مع بقليس.

(٨٩٣) مستدرك الوسائل: ج٧ ص٥٢٦ ب١٨ ح٨٨١٦.

(٨٩٤) انظر وسائل الشيعة: ج٢ ص٤٣٧ ب٢٣ ضمن ح٢٥٧٦.

(٨٩٥) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٠٨-١٠٩ ب٧٥ ح١٥٧٨٠.

(٨٩٦) مكارم الأخلاق: ص١٦ ف٢ في تواضعه وحيائه.

(٨٩٧) انظر الكافي: ج٢ ص٦٧١ باب النوادر ضمن ح١.

الأشباه والنظائر

مسألتان: يستحب لتعزية المصاب بيان الأشباه والنظائر[٨٩٨]، كما يستحب ذلك لتكريس إيمان الناس بالحق في شؤون المبدأ والمعاد وغيرهما والمصادر وغيرها.

وقد ذكرت عليها السلام: «ولقبله ما حل...» فإنه إشارة لما ورد على سائر الأنبياء عليهم السلام.

فإن ذكر الأشباه والنظائر في كل الموارد توجب القوة بالنسبة إلى المشبّه به والنظير سواء في البراهين أم في المحاسن أم في المساوئ أم ما أشبه ذلك.

وقد عد البعض أن من ملاكات الأعلمية: الأعرفية بالأشباه والنظائر، وذلك لأنها قد تكشف عن الجامع والملاك..

قال في العروة: (المراد من الأعلم من يكون أعرف بالقواعد والمدارك للمسألة وأكثر إطلاعاً لنظائرها...)[٨٩٩]

وقد ورد الأشباه والنظائر بعبارات مختلفة في كلمات الفقهاء[٩٠٠] في مختلف الأبواب الفقهية.

ولما سبق ولغيره نجد في القرآن الحكيم . وفي كلمات البلغاء .كثيراً من هذا القبيل، قال سبحانه: ﴿**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذّبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب**﴾[٩٠١].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ**

---

(٨٩٨) النظائر: جمع نظيرة، وهي المثل والشبه.

(٨٩٩) العروة الوثقى، المسألة: ١٧.

(٩٠٠) قال الميرزا القمي رحمه الله في غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام: ج٥ ص٢٠١: (إنه مقتضى تتبع النظائر)، وقال في ج٤ ص٨١: (وملاحظة النظائر توجب ذلك) وقال في القوانين: ص٤٤: (وكما لايخفى على من لاحظ النظائر)، وقال المحقق النراقي Σ في مستند الشيعة: ج١ ص٢٧٣: (واستبعاده مدفوع بوجود النظائر)، وقال صاحب الجواهر في جواهر الكلام: ج١٢ ص٢٣٢: (وكما في النظائر) وفي ج١٤ ص٢٨٩: (وكما يوضحه ملاحظة النظائر)، وقال الشيخ الأنصاري Σ في كتاب الطهارة ج٢ ص٣١٨: (وغير ذلك من النظائر)، وقال آغا رضا الهمداني Σ في مصباح الفقيه: ج٣ ص٢١٧: (وكذا غيره من النظائر)، وقال السيد الحكيم Σ في مستمسك العروة: ج٨ ص١١٥: (وكما يظهر من ملاحظة النظائر). إلى غير ذلك مما هو كثير.

(٩٠١) سورة آل عمران: ١١.

بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٩٠٢).

وقال سبحانه: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾(٩٠٣).

إلى غير ذلك.

وعلى هذا يستفاد عدم الخصوصية في هذا الباب بالنسبة إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وإن كانوا هم المصداق الأظهر وإلا فسائر الأوصياء والصالحين هم كذلك أيضاً، والاستثناء يكون فيما علم فيه الاختصاص.

قولها عليها السلام: «ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله» أي: إن الموت حل قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بأنبياء الله ورسله (صلوات الله عليهم أجمعين).

والفرق بين النبي والرسول، أن الرسول (ذو الرسالة)، فهو النبي الذي يؤمر بالتبليغ، بينما النبي يمكن أن يكون خاصاً بنفسه من دون أمر بالتبليغ إذ هو (المنبأ)، فبينهما عموم مطلق.

واللام في (لقبله) للتأكيد، يعني: أن موته صلى الله عليه وآله شيء مؤكد.

(**٩٠٢**) سورة البقرة: ٢٦٠.

(**٩٠٣**) سورة البقرة: ٢٥٩.

الموت حكم فصل

مسألة: يستحب بيان أن الموت حكم فصل وقضاء حتم.

قال عزوجل: ﴿**نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين**﴾(٩٠٤).

وقال تعالى: ﴿**ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون**﴾(٩٠٥).

فإن الموت حكم إلهي تكويني يفصل بين الدنيا والآخرة، كما يفصل بين الحق والباطل. في أحد المعنيين(٩٠٦). كما أنه قضاء محتوم لا مرّد له، حتى بالنسبة إلى أنبياء الله والرسل عليهم السلام فكيف بغيرهم؟ بل ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾(٩٠٧)، فإن كل الكون سيفنى حتى يبقى الله وحده كما ذكر ذلك في الكتب الكلامية استناداً إلى الآيات والروايات.

قال تعالى: ﴿**كل من عليها فان ۞ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾(٩٠٨).

وقال سبحانه: ﴿**كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة**﴾(٩٠٩).

وقال تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون**﴾(٩١٠).

وقال سبحانه: ﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت**﴾(٩١١).

وقال عزوجل: ﴿**قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾(٩١٢).

وقال تعالى: ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب**

---

(٩٠٤) سورة الواقعة: ٦٠.

(٩٠٥) سورة الأعراف: ٣٤.

(٩٠٦) وسيأتي من الإمام المصنف Σ معنى محتمل آخر.

(٩٠٧) سورة القصص: ٨٨.

(٩٠٨) سورة الرحمن: ٢٦-٢٧.

(٩٠٩) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٩١٠) سورة العنكبوت: ٥٧.

(٩١١) سورة النساء: ٧٨.

(٩١٢) سورة الجمعة: ٨.

المهين﴾[٩١٣].

وقال سبحانه: ﴿**أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت**﴾[٩١٤].

قولها عليها السلام: «حكم فصل» أي: أن الموت حكم من الله سبحانه وتعالى مقطوع به على أحد الوجهين.

قولها عليها السلام: «وقضاء حتم» أي: أن الله سبحانه وتعالى قضى موت الناس قضاءً حتماً لا مردّ له، فهو من عالم اللوح المحفوظ لا المحو والاثبات فتأمل.

سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن النفختين كم بينهما قال: «ما شاء الله» فقيل له: فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: «أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض، قال: فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال: فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رأوه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل... قال: فيقول الله لإسرافيل: يا إسرافيل مت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر الله السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله ﴿**يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً ۞ وَتَسِيرُ الْجِبالُ سَيْراً**﴾[٩١٥] يعني تبسط و﴿**تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ**﴾[٩١٦] يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة مستقلا بعظمته وقدرته، قال: فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت من قبله جهوري يسمع أقطار السماوات والأرضين ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾[٩١٧] فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار مجيبا لنفسه

---

(٩١٣) سورة سبأ: ١٤.

(٩١٤) سورة البقرة: ١٣٣.

(٩١٥) سورة الطور: ٩-١٠.

(٩١٦) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٩١٧) سورة غافر: ١٦.

﴿**لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ وأنا قهرت الخلائق كلهم وأمتهم، إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتّهم بمشيتي وأنا أحييهم بقدرتي»(٩١٨).

وفي تفسير القمي: قوله ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ**﴾(٩١٩) عن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا أمات الله أهل الأرض لبث كمثل ما خلق الخلق ومثل ما أماتهم وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الدنيا ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية وأضعاف ذلك، ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ما أمات أهل الأرض وأهل السماء الدنيا والسماء الثانية والسماء الثالثة وأضعاف ذلك، في كل سماء مثل ذلك وأضعاف ذلك، ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات إسرافيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك، ثم أمات ملك الموت ثم لبث مثل ما خلق الخلق ومثل ذلك كله وأضعاف ذلك ثم يقول الله عزوجل: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ فيرد على نفسه ﴿**لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ أين الجبارون، أين الذين ادعوا معي إلها، أين المتكبرون ونخوتهم ثم يبعث الخلق»(٩٢٠).

وفي حديث: يقول عزوجل: ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ ثم ينطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه فيقولون: ﴿**لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ**﴾(٩٢١).

حكمة الموت

قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن قوما أتوا نبيا لهم فقالوا: ادع لنا ربك يدفع عنا الموت، فدعا لهم، فرفع الله عنهم الموت وكثروا حتى ضاقت بهم المنازل وكثر النسل وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه وأمه وجده وجدته ويوصيهم ويتعاهدهم، فشغلوا عن طلب المعاش،

---

(٩١٨) تفسير القمي: ج٢ ص٢٥٢-٢٥٣ كيفية نفخ الصور.

(٩١٩) سورة غافر: ١٦.

(٩٢٠) تفسير القمي: ج٢ ص٢٥٦-٢٥٧ كيفية موت أهل السماء والأرض.

(٩٢١) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص١٣٠ ب١١ ضمن ح٢٦.

فأتوا فقالوا: سل ربك أن يردنا إلى آجالنا التي كنا عليها، فسأل ربه عزوجل فردهم إلى آجالهم»[٩٢٢].

ذكر الموت

عن أبي عبيدة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك حدثني بما أنتفع به؟ فقال: «يا أبا عبيدة ما أكثر ذكر الموت إنسان إلا زهد في الدنيا»[٩٢٣].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له»[٩٢٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أكثروا ذكر الموت ويوم خروجكم من القبور وقيامكم بين يدي الله عزوجل، تهون عليكم المصائب»[٩٢٥].

وفي الأمالي للشيخ الطوسي: فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: «عباد الله إن الموت ليس منه فوت، فاحذروا قبل وقوعه، وأعدوا له عدته، فإنكم طرد الموت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات، وكفى بالموت واعظا، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللذات، حائل بينكم وبين الشهوات»[٩٢٦].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اذكروا هادم اللذات» فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: «الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه، والموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعده أبعد فما أجرأ الإنسان على نفسه وما أضعفه من خلق، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين

---

(٩٢٢) روضة الواعظين: ج٢ ص٤٨٩ مجلس في ذكر الموت والروح.

(٩٢٣) بحار الأنوار: ج٦ ص١٢٦ ب٤ ح٣.

(٩٢٤) انظر الكافي: ج٣ ص٢٥٨ باب النوادر ضمن ح٢٧.

(٩٢٥) انظر الخصال: ج٢ ص٦١٦ علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في مجلس واحد.

(٩٢٦) انظر الأمالي للطوسي: ص٢٧-٢٨ المجلس١ ضمن ح٣١.

ولذلك اشتاق من اشتاق إلى الموت وكره من كره»[٩٢٧].

وفي الحديث: تبع أمير المؤمنين عليه السلام جنازة فسمع رجلا يضحك، فقال: «كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نرى من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم قد نسينا كل واعظ وواعظة ورمينا بكل جائحة وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموت ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير»[٩٢٨].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة»[٩٢٩].

وقال رجل لأبي ذر رحمه الله: ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب، قيل له: فكيف ترى قدومنا على الله، قال أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه، قيل: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾[٩٣٠] قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٩٣١]، [٩٣٢].

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام ما الاستعداد للموت؟ فقال: «أداء الفرائض واجتناب المحارم والاشتمال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه، والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه»[٩٣٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لم يخلق الله عزوجل يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت»[٩٣٤].

(**٩٢٧**) انظر مستدرك الوسائل: ج٢ ص١٠٥-١٠٦ ب١٧ ضمن ح١٥٥١.

(**٩٢٨**) بحار الأنوار: ج٦ ص١٣٦ ب٤ ح٣٨.

(**٩٢٩**) مستدرك الوسائل: ج٢ ص١٠٤ ب١٧ ح١٥٤٧.

(**٩٣٠**) سورة الانفطار: ١٣-١٤.

(**٩٣١**) سورة الأعراف: ٥٦.

(**٩٣٢**) جامع الأخبار: ص١٦٧ ف١٣٣ في القبر.

(**٩٣٣**) الأمالي للصدوق: ص١١٠ المجلس٢٣ ضمن ح٨.

(**٩٣٤**) الخصال: ج١ ص١٤ خصلة تشبه ضدها ح٤٨.

عند موت إبراهيم عليه السلام

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط الله ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم.

قال: وعليك السلام يا ملك الموت، أداع أم ناع؟

قال: بل داع يا إبراهيم، فأجب.

قال إبراهيم: فهل رأيت خليلا يميت خليله؟

قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جل جلاله فقال: إلهي قد سمعت ما قال خليلك إبراهيم.

فقال الله جل جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه، إن الحبيب يحب لقاء حبيبه»[٩٣٥].

شاب من الأنصار

وروي: إن شابا من الأنصار كان يأتي عبد الله بن عباس وكان عبد الله يكرمه ويدنيه، فقيل له: إنك تكرم هذا الشاب وتدنيه وهو شاب سوء، يأتي القبور فينبشها بالليالي!.

فقال عبد الله بن عباس: إذا كان ذلك فأعلموني.

قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور، فأعلم عبد الله بن عباس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لايراه الشاب، قال: فدخل قبرا قد حفر ثم اضطجع في اللحد ونادى بأعلى صوته: يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي ونطقت الأرض من تحتي فقالت: لامرحبا بك ولا أهلا، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني، بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفا والملائكة صفوفا فمن عدلك غدا من يخلصني ومن المظلومين من يستنقذني ومن عذاب النار من يجيرني، عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربي مرة بعد أخرى فلم يجد عندي صدقا ولا وفاء.

وجعل يردد هذا الكلام ويبكي، فلما خرج من القبر التزمه ابن عباس وعانقه ثم قال له: نعم النباش، نعم النباش ما أنبشك للذنوب والخطايا، ثم تفرقا [٩٣٦].

(**٩٣٥**) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٩٥ ب١٣ ح١٥١٧.

(**٩٣٦**) الأمالي للصدوق: ص٣٣٠-٣٣١ المجلس٥٣ ح١١.

القضاء والقدر

مسألة: يلزم الإيمان بالقضاء والقدر على ما ورد في الآيات والروايات، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض المباحث الكلامية[٩٣٧].

فإن القضاء بمعنى الانتهاء لغة وعرفا.

ويكون تكوينياً وتشريعيا.

فالتكويني مثل قوله تعالى: ﴿**فقضاهن سبع سماوات**﴾[٩٣٨] وقوله سبحانه: ﴿**فإذا قضيت الصلاة**﴾[٩٣٩] .

والتشريعي مثل قوله عزوجل: ﴿**وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه**﴾[٩٤٠] فإن هذا بمعنى الانتهاء التشريعي، أي انتهى الأمر بهذه الصيغة، ومنه يسمّى القاضي قاضياً.

والقدر: لغةً وعرفاً بمعنى واحد، وهو التقدير بجعل الحدود للشيء، قال سبحانه: ﴿**وقدَّر فيها أقواتها**﴾[٩٤١].

وقال تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[٩٤٢].

وقد ذكرنا في كتاب (العقائد) [٩٤٣]:

أنه لا إشكال في أن غير أفعال الإنسان[٩٤٤] ومن أشبهه من الملائكة والحور والجن والشياطين والحيوانات، تتعلق بالقضاء والقدر، فالقول: بأن الأشياء بقدر الله وقضائه يراد بذلك التكويني بأسبابها ومقدماتها وشرائطها وما أشبه ذلك سواء كانت وجودات أو أعداما، إيجاداً أو إعداماً.

(**٩٣٧**) انظر كتاب (الفقه: العقائد) للإمام الشيرازي P: ص٢٩٠-٢٩١ الطبعة الثانية، مؤسسة الإمامة ودار العلوم.

(**٩٣٨**) سورة فصلت: ١٢.

(**٩٣٩**) سورة الجمعة: ١٠.

(**٩٤٠**) سورة الإسراء: ٢٣.

(**٩٤١**) سورة فصلت: ١٠.

(**٩٤٢**) سورة القمر: ٤٩.

(**٩٤٣**) انظر (الفقه: العقائد) ص٢٩٣.

(**٩٤٤**) أي الأفعال غير الاختيارية كنبضات القلب وما أشبه.

أما بالنسبة إلى الأفعال الاختيارية للإنسان ومن أشبه، فالمراد بالقضاء والقدر: أن الله سبحانه وتعالى قدّر هذا التقدير وحكم بهذا الحكم، مثلاً: قدّر في الصلاة المصلحة وفي شرب الخمر المفسدة وحكم بالأول إيجاباً وبالثاني سلباً، كما أن الله عزّ وجل قدّر أن يكون الإنسان مختاراً.

عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله ت: (إن الله إذا أراد شيئاً قدّره، فإذا قدّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه)(٩٤٥).

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾(٩٤٦).

حرمة الانقلاب عن الحق

مسألة: الاستفهام في الآية الشريفة استنكاري، والآية تدل على قبح وحرمة أن ينقلب الإنسان عن الحق إلى الباطل، وإذا فعل ذلك فإنه يضر نفسه ولا يضر الله سبحانه وتعالى شيئاً.

قال تعالى: **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءتْهُمُ الْبَيِّناتُ وَلكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾**(٩٤٧).

وعن ابن عباس: أنّ عليّا عليه السلام كان يقول في حياة رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «إنّ اللّه تعالى يقول **﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ﴾**(٩٤٨)، واللّه لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا اللّه، واللّه لئن مات أو قتل

---

(٩٤٥) المحاسن: ص٢٤٣ ب٢٥ ح٢٣٥.

(٩٤٦) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٩٤٧) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٩٤٨) سورة آل عمران: ١٤٤.

لأقاتلنّ على ما قاتل عليه حتى أموت، لأنّي أخوه وابن عمّه ووارثه، فمن أحقّ به منّي»[٩٤٩].

وفي التفسير: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٩٥٠] قال هو مخاطبة لأصحاب رسول اللّه ﷺ الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وارتدّوا عن دين اللّه ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم [٩٥١].

وعن أحمد بن همّام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا أبا عمارة كان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يستخلف.

فقال: يا أبا ثعلبة إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثوا، فو اللّه لعلي بن أبي طالب كان أحقّ بالخلافة من أبي بكر كما كان رسول اللّه ﷺ أحقّ بالنبوّة من أبي جهل، قال: وأزيدك إنّا كنّا ذات يوم عند رسول اللّه ﷺ فجاء عليّ عليه السلام وأبو بكر و عمر إلى باب رسول اللّه ﷺ، فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل عليّ عليه السلام على إثرهما فكأنّما سفي على وجه رسول اللّه ﷺ الرماد، ثم قال: «يا عليّ أيتقدّمانك هذان وقد أمّرك اللّه عليهما»، قال أبو بكر: نسيت يا رسول اللّه، وقال عمر: سهوت يا رسول اللّه.

فقال رسول اللّه ﷺ: «ما نسيتما ولا سهوتما، وكأني بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء اللّه وأعداء رسوله، وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف على الدنيا، ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المتشتّتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضي».

ثم بكى رسول اللّه ﷺ حتى سالت دموعه، ثم قال: «يا عليّ، الصبر.. الصبر، حتى ينزل الأمر ولا قوّة إلا باللّه العليّ العظيم، فإنّ لك من الأجر في كلّ يوم ما لا يحصيه كاتباك، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف.. فالقتل القتل حتى يفيئوا إلى أمر اللّه وأمر رسوله، فإنّك على الحقّ ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذريّتك من بعدك إلى يوم

---

(٩٤٩) الاحتجاج: ج١ ص١٩٦ في أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بأيام.

(٩٥٠) سورة المائدة: ٥٤.

(٩٥١) تفسير القمي: ج١ ص١٧٠ قصة هابيل وقابيل.

القيامة»[٩٥٢].

قولها عليها السلام: ﴿قد خلت﴾ أي: سبقت ومضت الرسل عليهم السلام من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وماتوا. ﴿أفإن مات﴾ موتاً طبيعياً ﴿أو قتل﴾ قتلاً غير طبيعي.

وقد ذكرت الصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) هذه الآية في الردّ على من أنكر موت رسول الله صلى الله عليه وآله حيث تظاهر بذلك لأهدافه الخاصة ـ كما سبق ـ ، وربما كان بعض الصحابة يستعظم موته صلى الله عليه وآله، وربما زعم البعض أنه صلى الله عليه وآله لن يموت، كما هو عادة بعض الناس بالنسبة إلى العظماء، ولهذا قالوا: إن موسى عليه السلام لم يمت، وقالوا: إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يمت[٩٥٣]، وقالوا: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يمت، وقالوا: إن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يمت[٩٥٤]، وهكذا [٩٥٥].

من هو الرجعي؟

مسألة: قد يراد بالرجعي من يرجع إلى الفطرة والسنة، أو من يرجع إلى أحكام الكتاب العزيز، وقد يراد به من يرجع إلى جذوره التاريخية ليستمد منها الخبرة والعزم لانطلاقة أقوى.

وهذه الرجعية ـ بالمعاني الثلاثة ـ محمودة ومطلوبة شرعاً وعقلاً.

قال تعالى: ﴿**إن إلى ربك الرجعى**﴾[٩٥٦].

وقال سبحانه: ﴿**وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون**﴾[٩٥٧].

وقال تعالى: ﴿**وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾[٩٥٨].

(**٩٥٢**) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٤٢٥-٤٢٦ ب١٣.

(**٩٥٣**) شرح نهج البلاغة: ج٨ ص١٢٠ فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم.

(**٩٥٤**) انظر الغيبة للطوسي: ص٤ ف١ الكلام في الغيبة.

(**٩٥٥**) انظر بحار الأنوار: ج٥١ ص٢١٠ ب١٢ وفيه: (فإن قيل أ ليس قد خالف جماعة فيهم من قال المهدي من ولد علي عليه السلام فقالوا هو محمد بن الحنفية، وفيهم من قال من السبائية هو علي عليه السلام لم يمت، وفيهم من قال جعفر بن محمد لم يمت، وفيهم من قال موسى بن جعفر لم يمت، وفيهم من قال الحسن بن علي العسكري عليه السلام لم يمت، وفيهم من قال المهدي هو أخوه محمد بن علي وهو حي باق لم يمت).

(**٩٥٦**) سورة العلق: ٨.

(**٩٥٧**) سورة الأعراف: ١٧٤.

(**٩٥٨**) سورة الزخرف: ٢٨.

أما الرجعية بالمعنى المذموم فهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله ههنا: ﴿**أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾[٩٥٩] فالرجعي هو من ينقلب على القيم ويرجع إلى الظلمات بعد أن أُخرج منها إلى النور، والرجعي هو من يرجع إلى أهواء النفس والشهوات ومن يرجع إلى الشيطان وأصدقاء السوء.

﴿**انقلبتم على أعقابكم**﴾ كناية عن الرجوع القهقرى، أريد به الارتداد بعد الإيمان، لأن الإنسان الذي يريد أن يمشي إلى خلفه يضع عقبيه أولاً، والله سبحانه وتعالى لا يتضرر بسبب الارتداد وإنما يتضرر المرتد نفسه.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسمع عليم**﴾[٩٦٠].

وعن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن النبيﷺ أنه قال: «أتزعمون أن رحم نبي الله لا تنفع قومه يوم القيامة، بلى والله، إن رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، ثم قال: «يا أيها الناس أنا فرطكم على الحوض فإذا جئت وقام رجال يقولون يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر يا نبي الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى»[٩٦١].

الحصر الإضافي

مسألة: الرسالة الإسلامية لا تموت بموت الرسول ﷺ.

فإن الحصر في الآية الشريفة يشير إلى أن محمداً ﷺ كان رسولاً فحسب من هذه الجهة، فلئن مات الرسول فان (الرسالة) لم تمت و(المرسل) هو الله الدائم القائم، فلا عذر لأحد في التخلي عن تعاليمه وأوامره ﷺ بالاستناد إلى أنه قد مات وانتهى كل شيء، لذلك فإن (الانقلاب) عليه ﷺ هو انقلاب على الله، وهذا مما لن يضر الله شيئاً بل يضر

(**٩٥٩**) سورة آل عمران: ١٤٤.

(**٩٦٠**) سورة المائدة: ٥٤.

(**٩٦١**) الأمالي للطوسي: ص٢٦٩ المجلس١٠.

المنقلبين أنفسهم.

ومن ذلك يظهر أن الحصر في (وما محمد إلا رسول) بالقياس إلى كونه المصدر الأوّل والأخير.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجيء غيره»(٩٦٢).

وكأنها عليها السلام أرادت بذلك أن تقول: هل تقولون إن محمداً صلى الله عليه وآله مات وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عمّا نريده، فنفعل ما نشاء ولا نخاف أحداً في ترك الانقياد للأوامر كما كنا نهابه في حال حياته؟! ولذا فعلتم ما فعلتم من غصب الخلافة واغتصاب فدك وما أشبه ذلك، لكن يلزم أن تعلموا أنكم لن تضروا الله بهذه المعاصي وإنما تضرون أنفسكم، وإن الشاكر الذي يشكر نعم الله سبحانه وتعالى ويبقى على الانقياد لأوامره ونواهيه ولا يخالف الكتاب والسنة سيكون مورد ثواب الله سبحانه وتعالى وجزائه.

الشاكرون

مسألة: تجب الاستقامة على الحق.

والذين يستمرون على الصراط المستقيم هم المجزيون بثواب الله سبحانه وهم الشاكرون، لأن الاستقامة على الحق نوع شكر لله تعالى، إذ من مصاديقه(٩٦٣) استعمال كل نعمة في موردها، سواء بالقلب أم اللسان أم الجوارح، وإن كان العمل الجوارحي أصعب.

قال سبحانه: ﴿**اعملوا آل داود شكراً**﴾(٩٦٤).

فإن أصل معرفة نعم الله سبحانه وتعالى قد لا يحتاج إلى جهد بدني ولا جهد مالي ولا ما أشبه، كما أن التلفظ بالشكر فقط ليس بحاجة إلى مثل هذه الأمور عادة، وإنما الشكر العملي بحاجة إلى مختلف الجهود.

وجزاء الله سبحانه وتعالى إنما هو للشاكرين الذي يشكرون نعمه سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله أم بعد مماته.

---

(٩٦٢) الكافي: ج١ ص٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس ح١٩.

(٩٦٣) أي الشكر.

(٩٦٤) سورة سبأ: ١٢.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿**أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾(٩٦٥): يعني بالشاكرين صاحبك علي بن أبي طالب عليه السلام والمرتدين على أعقابهم الذين ارتدوا عنه»(٩٦٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: تدرون مات النبي أو قتل، إن الله يقول: ﴿**أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ**﴾(٩٦٧) فسم قبل الموت إنهما سمتاه»، فقلنا إنهما وأبويهما شر من خلق الله(٩٦٨).

وقال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿**أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ**﴾(٩٦٩) القتل أم الموت؟ قال: «يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا»(٩٧٠).

(**٩٦٥**) سورة آل عمران: ١٤٤.

(**٩٦٦**) بحار الأنوار: ج٤١ ص٣ ب٩٩.

(**٩٦٧**) سورة آل عمران: ١٤٤.

(**٩٦٨**) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٠-٢١ ب١ ح٢٨.

(**٩٦٩**) سورة آل عمران: ١٤٤.

(**٩٧٠**) تفسير العياشي: ج١ ص٢٠٠ من سورة آل عمران ح١٥٣.

النسبة للأم

مسألة: يجوز نسبة إنسان أو جماعة إلى الأم، فيما إذا لم يكن من باب تعيير المؤمن ونحوه.

وقد كان هؤلاء معروفين ببني قيلة، نسبة إلى أمهم، حيث كانت لها مكانة اجتماعية. ومن هنا يقال للسادة: بنو الزهراء (صلوات الله عليها) لأنها (عليها الصلاة والسلام) كانت قمة القمم وفي عداد أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

والعدول عن النسبة للأب إلى النسبة للأم قد يكون استجلاباً للرحمة واستدراراً للعاطفة، أو استثارة للغيرة والحمية، أو لأجل تكريس التعظيم، أو لخصلة إنسانية أخرى في المنسوب أو السامعين أو غيرهم، وذلك تبعاً لما تميزت به الأم من صفة أو حالةٍ تذكر الناس وتؤثر فيهم، ولما يتداعى في الأذهان من تلك النسبة.

قال تعالى حكاية عن هارون: ﴿**يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي**﴾[٩٧١] حيث خص الأم استعطافاً وترقيقاً.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام : «إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة»[٩٧٢].

ولما أخذت أم الشاب المقتول بكربلاء عمود خيمته حملت على القوم وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة خاوية بالية نحيفة

أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة [٩٧٣]

وعن جعفر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «لما ولي عمر بن عبد العزيز أعطانا عطايا عظيمة، قال فدخل عليه أخوه فقال له: إن بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل بني فاطمة عليهم، فقال: أفضلهم لأني سمعت حتى لا أبالي أن أسمع أو لا أسمع، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول

(**٩٧١**) سورة طه: ٩٤.

(**٩٧٢**) انظر وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٨١ ب٨٧ ضمن ح٣٦٥٥.

(**٩٧٣**) انظر المناقب: ج٤ ص١٠٤ فصل في مقتل الإمام الحسين عليه السلام.

إنما فاطمة شجنة مني، يسرني ما أسرها، ويسوؤني ما أساءها فأنا أتبع سرور رسول الله ﷺ وأتقي مساءته»[٩٧٤].

هذا وكان ما صدر من عمر بن عبد العزيز مثل ما صدر من المأمون العباسي، وذلك للسيطرة على الأمور فإن الناس قد عرفوا بعض منزلة أهل البيت عليهم السلام ومالوا إليهم.

وعن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كنت عند زياد بن عبيد الله وجماعة من أهل بيتي فقال يا بني علي ويا بني فاطمة ما فضلكم على الناس، فسكتوا، فقلت: إن من فضلنا على الناس أنا لا نحب أنا من أحد سوانا وليس أحد من الناس لا يحب أنه منا إلا أشرك»[٩٧٥].

وفي الشعر:

ومهما ألام على حبهم ... بأني أحب بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمحكمات ... وبالدين والسنة القائمة
ولست أبالي بحبي لهم ... سواهم من النعم السائمة

وقال:

لمن ذا من بني الزهراء أبكي ... بدمع هامر ودم غزير
أللمسموم بالأحقاد أبكي ... أم المقتول ذي النحر النحير

وقال:

بكم يا بني الزهراء تمت ... ولولاكم كانت خداجا بها بتر
بكم يكشف البلوى ويستدفع ... كما بأبيكم كان يستنزل القطر

وقال:

أحببتكم يا بني الزهراء محتسبا ... وحب غيري حب غير محتسب
لا حاجة لي إلى خلق و لا أرب ... إلا إليكم وحسبي ذاك من أرب
ما طاب لي مولدي إلا بحبكم ... يا طيبون ولولا ذاك لم يطب
أنتم بنو المصطفى والمرتضى ... من كل منتجب سمي بمنتجب

---

(٩٧٤) قرب الإسناد: ص٤٤-٤٥.

(٩٧٥) المحاسن: ج٢ ص٣٣٣ كتاب العلل ح١٠١.

أنـتم بنـو شـاهد النجـوى مـن أنـتم صـاحب الآيـات والعجـب

أنـتم بنـو خيـر مـن يمشـي علـى بعد النبي مقال الحق لا كـذب

وقد يكون العكس، حيث يعيّر بعض الناس بالأم، كما قالت الصديقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام لابن زياد: «ثكلتك أمك يا بن مرجانة»(٩٧٦).

وقال ابن حماد:

سعى في قتله الرجس ابن هند ليشـفي منـه أحقـادا و وغمـا

وأطمـع فيـه جعـدة أم عـبس ولم يوف بها فسقته سما (٩٧٧)

قال الإمام الصادق عليه السلام: «تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أنه لا يأتي الحسين ناصر ولا يمده أهل العراق، بأبي المستضعف الغريب»(٩٧٨).

وقال محمد بن أبي طالب: (ثم رفع زيد صوته يبكي وخرج وهو يقول: ملك عبد حرا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم ويستعبد أشراركم رضيتم بالذل فبعداً لمن رضي)(٩٧٩).

وفي زيارة عاشوراء: «ولعن الله بني أمية قاطبة، ولعن الله ابن مرجانة»(٩٨٠).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يموت ابن هند حتى يعلق الصليب في عنقه»(٩٨١).

وفي التاريخ: انه قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من يدخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة ألف، فدخل عليه الحسن بن علي عليه السلام في آخر الناس، فقال: أبطأت يا أبا محمد، فلعلك أردت تبخلني عند قريش فانتظرت يفنى ما عندنا، يا غلام أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمد وأنا ابن هند، فقال الحسن عليه السلام: «لا حاجة لي

---

(٩٧٦) انظر بحار الأنوار: ج٤٥ ص١١٦ ب٣٩.

(٩٧٧) انظر المناقب: ج٤ ص٤٢ فصل في وفاة الإمام الحسن عليه السلام وزيارته عليه السلام.

(٩٧٨) انظر الكافي: ج٤ ص١٤٧ باب صوم عرفة وعاشوراء ضمن ح٧.

(٩٧٩) انظر بحار الأنوار: ج٤٥ ص١١٧ ب٣٩.

(٩٨٠) مصباح المتهجد: ص٧٧٤ .

(٩٨١) بحار الأنوار: ج٣٣ ص١٦١ ب١٧ ح٤٢٤.

فيها يا أبا عبد الرحمن ورددتها وأنا ابن فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله»[٩٨٢].

إلى غير ذلك مما هو مشهور في أساليب البلغاء.

التخصيص بعد التعميم

مسألة: تخصيص الخطاب بشخص أو جهة بعد تعميمه أو عموميته كما في قولها عليها السلام: «إيهاً بني قيلة» يضاعف المسؤولية ويكشف عن شدة الطلب وتأكده، أو عن تعدد المطلوب[٩٨٣]، وسيكون عقاب العاصي أشد، إلا لو كان من باب طرفية الخطاب[٩٨٤].

قولها عليها السلام: «إيهاً بني قيلة» إيهاً ـ بفتح الهمزة والتنوين ـ بمعنى: إليكم أخاطب، وقد تكون بمعنى هيهات ويكون المعنى حينئذٍ: من البعيد منكم أن اهضم أرث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع.

وبنو قيلة: هما قبيلتا الأنصار الأوس والخزرج، وقيلة ـ بفتح القاف ـ اسم أم لهم في قديم الزمان كانت تسمى قيلة وهي قيلة بني كاهل فإنهم متشعبون منها.

أأُهضم تراث أبي؟

تكرار الطلب

مسألة: يستحب وقد يجب أن يكرر المظلوم طلبه.

فإن في التكرار احتمال التأثير أولاً، ثم نشر الظلامة ثانياً، وغرسها في أعماق الأنفس ثالثاً، ثم ردع الظالمين في المستقبل عن ظلمهم حيث يعرفون أن خبر ظلمهم ينتشر ويفتضحون رابعاً، إلى غير ذلك من الفوائد المذكورة للتكرار في كتب البلاغة وما أشبه.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائما نهاره، قائما ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول: كل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله جائعا، قتل ابن رسول الله عطشانا،

---

(٩٨٢) انظر المناقب: ج٤ ص١٨ فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام.

(٩٨٣) فعلى هذا لا يكون في بعضها كفائياً.

(٩٨٤) أي احتياج الخطاب إلى طرف وجهة يوجه لها، والظاهر أن الخطاب لـ (بني قيلة) لم يكن من هذا الباب.

فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه ويمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزوجل»[٩٨٥].

وقد كان يكرر رسول الله ﷺ من قوله: «نفذوا جيش أسامة»[٩٨٦].

روى ابن أبي الحديد في شرح النهج: أنّ رسول اللّه ﷺ في مرض موته أمّر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين والأنصار، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير، وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين، فتثاقل أسامة وتثاقل الجيش بتثاقله، وجعل رسول اللّه ﷺ في مرضه يثقل ويخف ويؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتّى قال له أسامة: بأبي أنت وأمّي أتأذن لي أن أمكث أيّاما حتّى يشفيك اللّه تعالى.

فقال: اخرج وسر على بركة اللّه.

فقال: يا رسول اللّه ﷺ إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك.

فقال: سر على النصر والعافية.

فقال: يا رسول اللّه ﷺ إنّي أكره أن أسأل عنك الركبان.

فقال: أنفذ لما أمرتك به.. ثم أغمي على رسول اللّه ﷺ، وقام أسامة فتجهز للخروج، فلمّا أفاق رسول اللّه ﷺ سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنّهم يتجهّزون، فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة، لعن اللّه من تخلّف عنه.. وكرر ذلك)[٩٨٧].

وقد ورد التكرار في كثير من الأدعية. روي: أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقّب حتى تطلع الشمس ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس وكان يدعو كثيراً فيقول: «اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب» ويكرر ذلك[٩٨٨].

---

(٩٨٥) وسائل الشيعة: ج٣ ص٢٨٣ ب٨٧ ح٣٦٥٨.

(٩٨٦) انظر إعلام الورى: ص١٣٣.

(٩٨٧) انظر شرح نهج البلاغة: ج٦ ص٥٢ ذكر أمر فاطمة مع أبي بكر.

(٩٨٨) انظر الإرشاد: ج٢ ص٢٣١ باب ذكر طرف من فضائله ومناقبه عليه السلام.

اشتداد الحرمة

مسألة: في انتهاك الحرمة وإضاعة الحق، الحرمة تشتد بلحاظ: المنتهك، والمنتهك حرمته، ونوع الحق، لذلك فإن هضمها عليها السلام تراث أبيها صلى الله عليه وآله كان من أشد المحرمات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما قرب وفاته: «يا علي أني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء وهم مني براء»(٩٨٩).

وفي الحديث عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «فإذا حق رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم من حق الوالدين وحق رحمه أيضا أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا أعظم وأحق من رحمهما، فرحم رسول الله صلى الله عليه وآله أولى بالصلة وأعظم في القطيعة، فالويل كل الويل لمن قطعها، فالويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وأن حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة الله تعالى وأن الله أعظم حقا من كل منعم سواه، وإن كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيضه له ذلك ربه ووفقه له»(٩٩٠).

أكل الإرث

مسألة: يحرم منع أي الشخص من إرثه، أو اقتطاع قدر من الإرث بعنوان الضريبة وغير ذلك، ولا يسوغ ذلك العذر باحتياج الدولة أو ما أشبه كما فعل غاصبوها عليهم السلام.

وفي تفسير القمي: (وقال الله: ﴿**كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۞ وَلا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ**﴾(٩٩١) أي لا تدعوهم، وهم الذين غصبوا آل محمد حقهم وأكلوا أموال اليتامى وفقراءهم وأبناء سبيلهم، ثم قال: ﴿**وَتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلاً لَمّاً**﴾ أي وحدكم

---

(٩٨٩) انظر بحار الأنوار: ج٢٢ ص٤٨٥ ب١ ضمن ح٣١.

(٩٩٠) انظر تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٥ نداء الرب سبحانه وتعالى أمة محمد صلى الله عليه وآله ضمن ح١٢.

(٩٩١) سورة الفجر: ١٧-١٨.

﴿**وَتُحِبُّونَ الْمالَ حُبّاً جَمّاً**﴾[٩٩٢] تكنزونه ولا تنفقونه في سبيل الله)[٩٩٣].

وقال رسول اللّه ﷺ: «يا عليّ كيف أنت إذا رأيت أزهد الناس في الآخرة، ورغبوا في الدنيا، وأكلوا التراث أكلا لما ، وأحبّوا المال حبّا جمّا واتّخذوا دين اللّه دغلا، ومال اللّه دولا؟ قال: قلت: أتركهم وما اختاروا، وأختار اللّه ورسوله والدار الآخرة وأصبر على مصائب الدنيا ولأواتها حتى ألقاك إن شاء اللّه. فقال: هديت، اللّهمّ افعل به ذلك»[٩٩٤].

وعموماً فإنه يحرم أن يهضم أي إنسان حقه، فعلى الهاضم أن يعرف أن وراءه العقاب، وعلى المهضوم أن يطالب برفع ظلامته . إلا مع المصلحة الأهم .، ولذا قال سبحانه: ﴿**لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون**﴾[٩٩٥].

وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام): «واجعل لي يداً على من ظلمني، ولساناً على من خاصمني، وظفراً بمن عاندني، وهب لي مكراً على من كايدني، وقدرة على من اضطهدني، وتكذيباً لمن قصبني، وسلامة ممن توعدني»[٩٩٦].

وفي هذا الدعاء أيضا قال (عليه الصلاة والسلام): «اللهم صل على محمد وآله ولا أُظْلَمنَّ وأنت مطيق للدفع عني ولا أَظْلَمَنَّ وأنت القادر على القبض مني»[٩٩٧].

قولها عليها السلام: «أأُهضم تراث أبي؟» الهضم عبارة عن الكسر وعدم الرعاية، أي: لا يراعى حقي في إرث والدي، فإن التراث بمعنى: الميراث، وأصل التاء فيه الواو، فإن الواو تقلب إلى التاء كما قال الأدباء، والمراد بالتراث: فدك، وقد ذكرنا سابقاً أن فاطمة الزهراء عليها السلام أرادت الإرث الحقيقي في مقابل قولهم، أو الإرث بالمعنى الأعم مما يتركه الوالد لأولاده سواء في حياته أو بعد مماته، حيث كانت فدك نحلة.

(**٩٩٢**) سورة الفجر: ١٩-٢٠.

(**٩٩٣**) تفسير القمي: ج٢ ص٤٢٠ سورة الفجر.

(**٩٩٤**) انظر بحار الأنوار: ج٢٩ ص٤٦٣-٤٦٤ ب١٣.

(**٩٩٥**) سورة البقرة: ٢٧٩.

(**٩٩٦**) الصحيفة السجادية: دعاء ٢٠ من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق.

(**٩٩٧**) الصحيفة السجادية: دعاء ٢٠ من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق.

شحذ الهمم

مسألة: يستحب للمظلوم أن يطالب الناس بمساعدته وأن يشحذ الهمم لها، وقد يجب ذلك، لحرمة تقبل المظلومية والبقاء عليها في الجملة.

فإذا ظُلم شخص وعلم المظلوم أنه لو استعان ببعض الأفراد لتمكن من دفعه أو رفعه لزم ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: « أيها الناس إني ابن عم نبيكم وأولاكم بالله ورسوله فاسألوني ثم اسألوني»(٩٩٨).

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: أنه سأل أباه عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى**﴾(٩٩٩) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أيها الناس اتبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا، وهو هداي وهداي هدى علي بن أبي طالب عليه السلام فمن اتبع هداه في حياتي وبعد موتي فقد اتبع هداي ومن اتبع هداي فقد اتبع هدى الله ومن اتبع هدى الله فلا يضل و لا يشقى»(١٠٠٠).

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه خطب ذات يوم وقال: «أيّها الناس أنصتوا لما أقول رحمكم اللّه، أيّها الناس بايعتم أبا بكر وعمر وأنا واللّه أولى منهما وأحقّ منهما بوصيّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله فأمسكت، وأنتم اليوم تريدون تبايعون عثمان، فإن فعلتم وسكت واللّه ما تجهلون فضلي ولا جهله من كان قبلكم، ولولا ذلك قلت ما لا تطيقون دفعه».

فقال الزبير: تكلّم يا أبا الحسن.

فقال عليّ عليه السلام: «أنشدكم باللّه هل فيكم أحد وحّد اللّه وصلّى مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله قبلي؟

أم هل فيكم أحد أعظم عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله مكانا منّي؟

---

(٩٩٨) الإرشاد: ج١ ص٢٢٩ من كلامه عليه السلام في الدعاء إلى معرفته وبيان فضله.

(٩٩٩) سورة طه: ١٢٣.

(١٠٠٠) تأويل الآيات الظاهرة: ص٣١٤-٣١٥ سورة طه وما فيها من الآيات.

أم هل فيكم أحد من كان يأخذ ثلاثة أسهم سهم القرابة وسهم الخاصّة وسهم الهجرة غيري؟

أم هل فيكم أحد جاء إلى رسول اللّه ﷺ باثنتي عشرة تمرة غيري؟

أم هل فيكم أحد من قدّم بين يدي نجواه صدقة لما بخل الناس ببذل مهجته غيري؟

أم هل فيكم أحد أخذ رسول اللّه ﷺ بيده يوم غدير خمّ وقال من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وليبلّغ الحاضر الغائب، فهل كان في أحد غيري؟

أم هل فيكم من أمر اللّه عزوجل بمودّته في القرآن حيث يقول:﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾[1001]، هل قال من قبل لأحد غيري؟

أم هل فيكم من غمّض عيني رسول اللّه ﷺ غيري؟

أم هل فيكم من وضع رسول اللّه ﷺ في حفرته غيري؟

أم هل فيكم من جاءته آية التنزيه مع جبرئيل عليه السلام وليس في البيت إلا أنا والحسن والحسين وفاطمة، فقال جبرئيل عليه السلام: السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته، ثم قال: يا محمّد ربّك يقرئك السلام ويقول لك: ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1002] الآية، هل كان ذلك اليوم غيري؟

أم هل فيكم من ترك بابه مفتوحا من قبل المسجد لما أمر اللّه، حتى قال عمر: يا رسول اللّه ﷺ أخرجتنا وأدخلته، فقال: اللّه عزوجل أدخله وأخرجكم، غيري؟

أم هل فيكم من قاتل وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله غيري؟

أم هل فيكم من له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، ابنا أحد غيري؟

أم هل فيكم من قال له النبيّ ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي، غيري؟

أم هل فيكم من قال ﷺ في حقّه يوم خيبر لأعطينّ الراية غدا رجلا يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله كرّار غير فرّار يفتح على يده بالنصر، فأعطاها أحدا غيري؟

أم هل فيكم من قال رسول اللّه ﷺ يوم الطائر المشويّ: اللّهمّ ائتني بأحبّ خلقك

(**١٠٠١**) سورة الشورى: ٢٣.

(**١٠٠٢**) سورة الأحزاب: ٣٣.

إليك يأكل معي، فأتيت أنا معه، هل أتاه أحد غيري؟

أم هل فيكم من سمّاه اللّه عزوجل وليّه غيري؟

أم هل فيكم من طهّره اللّه من الرجس في كتابه غيري؟

أم هل فيكم من زوّجه اللّه بفاطمة بنت رسول اللّه ﷺ غيري؟

أم هل فيكم من باهل به النبيّ ﷺ غيري؟

قال: فعند ذلك قام الزبير وقال: ما سمعنا أحدا قال أصحّ من مقالك، وما نذكر منه شيئا، ولكن الناس بايعوا الشيخين ولم نخالف الإجماع!

فلمّا سمع ذلك نزل عليه السلام وهو يقول: ﴿**وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**﴾[١٠٠٣]»[١٠٠٤].

خذلان المظلوم

مسألة: يحرم خذلان المظلوم وعدم إحقاق حقه مطلقاً سواء كان بمرأى من المظلوم ومسمع ومنتدى ومجمع أم لم يكن.

لكن الحرمة في هذا المورد أشد وإن كانت الحرمة ثابتة على كل من يقدر على رفع الظلم عن الناس سواء كان قريباً أم بعيداً فيما إذا كان من موازين النهي عن المنكر ودفع المنكر حسب المذكور في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٠٠٥] وكون الحرمة أشد فيما لو كان بمرأى ومسمع.. الخ يستفاد من أدلة عديدة ومنها قولها عليها السلام هذا.

وفي نهج البلاغة: ومن كلام له عليه السلام: «لم تكن بيعتكم إياي فلتة وليس أمري وأمركم واحدا، إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، أيها الناس أعينوني على أنفسكم وأيم الله لأنصفن المظلوم ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها»[١٠٠٦].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»[١٠٠٧].

(١٠٠٣) سورة الكهف: ٥١.

(١٠٠٤) انظر بحار الأنوار: ج٣١ ص٣٦٠-٣٦١ ب٢٦.

(١٠٠٥) راجع موسوعة الفقه: ج٤٧، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١٠٠٦) نهج البلاغة، الخطب: ١٣٦ من كلام له عليه السلام في أمر البيعة.

(١٠٠٧) الكافي: ج٢ ص١٦٤ باب الاهتمام بأمور المسلمين ح٥.

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس من الإسلام في شيء، ومن شهد رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين»(١٠٠٨).

السماع بالظلم

مسألة: لا فرق في الحرمة المذكورة بين رؤية الظلم أو السماع به، فالمرأى يكون بالرؤية، والمسمع بالسماع، فإن جماعة من الصحابة لم يروا الظلم وإنما سمعوه وكانوا قادرين على دفعه وإرجاع الحق إلى أهله، لكنهم تقاعسوا عن ذلك خوفاً أو طمعاً أو لعدم المبالاة أو لغير ذلك.

قال الإمام الحسين عليه السلام: «من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبنا كبه الله على وجهه في نار جهنم»(١٠٠٩).

وعن عمرو بن قيس المشرقي قال: دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عم لي وهو في قصر بني مقاتل، فسلمنا عليه، فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أرى خضاب أو شعرك، فقال: «خضاب والشيب إلينا بني هاشم يعجل» ثم أقبل علينا فقال: «جئتما لنصرتي» فقلت: إني رجل كبير السن كثير الدين كثير العيال وفي يدي بضائع للناس ولا أدري ما يكون وأكره أن أضيع أمانتي، وقال له ابن عمي مثل ذلك، قال لنا: «فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سوادا، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يعنا كان حقا على الله عزوجل أن يكبه على منخريه في النار»(١٠١٠).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله على الحوض ومعنا عترتنا، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل بأعمالنا، فإنا أهل البيت لنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض، فإنا نذود عنه أعداءنا ونسقي منه أولياءنا، ومن شرب منه لم يظمأ أبدا وحوضنا مترع فيه مثعبان ينصبان من الجنة، أحدهما تسنيم والآخر معين، على حافتيه الزعفران وحصباه الدر والياقوت، وإن الأمور إلى الله وليست إلى العباد ولو كانت إلى العباد ما اختاروا علينا أحدا ولكنه يختص برحمته من

(١٠٠٨) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٢١ ب٣٣ ح٢٠.

(١٠٠٩) انظر الأمالي للصدوق: ص١٥٥ المجلس٣٠ ضمن ح١.

(١٠١٠) ثواب الأعمال: ص٢٥٩-٢٦٠ عقاب من سمع واعية أهل البيت عليهم السلام.

يشاء من عباده، فاحمد الله على ما اختصكم به من النعم وعلى طيب المولد، فإن ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب، وإن حبنا رضى الرب، والآخذ بأمرنا وطريقتنا معنا غدا في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار، نحن الباب إذا بعثوا فضاقت بهم المذاهب، نحن باب حطة وهو باب الإسلام من دخله نجا ومن تخلف عنه هوى، بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ (١٠١١) وبنا ينزل الغيث فلا يغرنكم بالله الغرور، لو تعلمون ما لكم في الغناء بين أعدائكم وصبركم على الأذى لقرت أعينكم، ولو فقدتموني لرأيتم أمورا يتمنى أحدكم الموت مما يرى من الجور والعدوان والأثرة والاستخفاف بحق الله والخوف، فإذا كان كذلك فـ﴿**اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾(١٠١٢) وعليكم بالصبر والصلاة والتقية، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلون فلا تزولوا عن الحق وولاية أهل الحق، فإنه من استبدل بنا هلك ومن اتبع أثرنا لحق ومن سلك غير طريقنا غرق، وإن لمحبينا أفواجا من رحمة الله وإن لمبغضينا أفواجا من عذاب الله، طريقنا القصد وفي أمرنا الرشد، أهل الجنة ينظرون إلى منازل شيعتنا كما يرى الكوكب الدري في السماء، لايضل من اتبعنا ولا يهتدي من أنكرنا ولا ينجو من أعان علينا عدونا، ولا يعان من أسلمنا، فلا تخلفوا عنا لطمع دنيا بحطام زائل عنكم، وأنتم تزولون عنه، فإنه من آثر الدنيا علينا عظمت حسرته وقال الله تعالى:

﴿**يا حَسْرَتى عَلى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾(١٠١٣) سراج المؤمن معرفة حقنا وأشد العمى من عمي من فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب إلا أن دعوناه إلى الحق ودعاه غيرنا إلى الفتنة فآثرها علينا، لنا راية من استظل بها كنته ومن سبق إليها فاز ومن تخلف عنها هلك ومن تمسك بها نجا، أنتم عمار الأرض الذين استخلفكم فيها لينظر كيف تعلمون فراقبوا الله فيما يرى منكم وعليكم بالمحجة العظمى فاسلكوها، لا يستبدل بكم غيركم ﴿**سارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(١٠١٤) فاعلموا أنكم لن تنالوها إلا بالتقوى ومن ترك الأخذ عمن أمر الله بطاعته قيض الله له شيطاناً فهو له

(**١٠١١**) سورة الرعد: ٣٩.

(**١٠١٢**) سورة آل عمران: ١٠٣.

(**١٠١٣**) سورة الزمر: ٥٦.

(**١٠١٤**) سورة آل عمران: ١٣٣.

قرين، ما بالكم قد ركنتم إلى الدنيا ورضيتم بالضيم وفرطتم فيما فيه عزكم وسعادتكم وقوتكم على من بغى عليكم، لا من ربكم تستحيون ولا لأنفسكم تنظرون وأنتم في كل يوم تضامون، ولا تنتبهون من رقدتكم ولا تنقضي فترتكم، أما ترون إلى دينكم يبلى وأنتم في غفلة الدنيا، قال الله عز ذكره: ﴿**وَلاتَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ**﴾[١٠١٥].

وربما يكون في قولها عليها السلام: «وأنتم بمرأى مني ومسمع» إشارة أخرى[١٠١٦] إلى أنه: لا مجال للتهرّب بإنكار العلم والاطلاع.

هذا وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بالنسبة إلى المرأة المعاهدة!: «ولقد بلغني أن العصبة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيهتكون سترها ويأخذون القناع من رأسها والخرص من أذنها والأوضاح من يديها ورجليها وعضديها والخلخال والمئزر عن سوقها فما تمتنع إلا بالاسترجاع والنداء يا للمسلمين فلا يغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر، فلو أن مؤمنا مات دون هذا أسفا ما كان عندي ملوما بل كان عندي بارا محسنا»[١٠١٧].

المسؤولية المضاعفة للتجمعات

مسألتان: من له المجمع تكون مسؤوليته أكبر، وحرمة خذلانه أشد، كما يلزم توفير وتأسيس (المجمع) و(التجمع) للاهتمام بالحقوق والواجبات وما أشبه إن لم يكن موجوداً.

وقد ذكرنا بعض التفصيل في كتاب (إنشاء الجمعيات) [١٠١٨].

فإن القوة مع الجماعة، ولذا ورد: «يد الله مع الجماعة»[١٠١٩] وفي بعض الروايات: «على الجماعة»[١٠٢٠].

(**١٠١٥**) سورة هود: ١١٣.

(**١٠١٦**) الإشارة الأولى: تقبيح خذلانهم لها مع كونهم بمرأى منها ومسمع.

(**١٠١٧**) انظر الإرشاد: ج١ ص٢٨٣.

(**١٠١٨**) يقع الكتاب في ٨٨ صفحة من الحجم ٢٠×١٤، ط: مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ١٤٢٢هـ.

(**١٠١٩**) نهج البلاغة، الخطب: ١٢٧ من كلام له عليه السلام وفيه يبين بعض أحكام الدين.

(**١٠٢٠**) الأمالي للطوسي: ص٢٣٦ المجلس ٩.

ويستنبط ذلك[١٠٢١] أيضاً من قوله تعالى: ﴿**وتعاونوا**﴾[١٠٢٢].

فالصديقة الطاهرة (صلوات الله عليها) نبهتهم على أنهم مجتمعين يتمكنون من استنقاذ حقها، وعلى هذا فلا يمكنهم الاعتذار بالإنفراد وعدم التمكن حينئذٍ.

هذا وفي الحديث: «الاثنان جماعة»[١٠٢٣].

وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن وحده حجة، والمؤمن وحده جماعة»[١٠٢٤].

وغير خفي أن (للمنتدى) و(المجمع) ألواناً وأشكالاً ومراتب، يختلف كل ذلك باختلاف الأزمان والأعراف والأفراد وغير ذلك[١٠٢٥].

وكان لبني قيلة من أنواع المجمع التجمع القبلي، وتجمع الأنصار، وربما كان غيره أيضاً.

قولها عليها السلام: «وانتم بمرأى مني ومسمع» أي: بحيث أراكم وأسمع كلامكم[١٠٢٦]، فكيف يتجرّأ ابن أبي قحافة على أن يسلبني تراثي والحال أنكم تعلمون أني أراكم وأسمع كلامكم[١٠٢٧] والمراد قربهم منها (صلوات الله عليها) وقربها منهم.

قولها عليها السلام: «ومنتدى ومجمع» المنتدى: محل الاجتماع، ويقال له: النادي أيضاً بلحاظ أن بعضهم ينادي بعضاً، والمجمع: مصدر ميمي يمكن أن يراد به المكان الذي يجتمع فيه، أي لكم مكان يجتمع فيه، ويمكن أن يراد به الاجتماع أي لكم اجتماع وتجمع يمكنه أن يتصدى للدفاع والنصرة.

تلبسكم الدعوة وتشملكم الخبرة

(١٠٢١) الظاهر عود اسم الإشارة إلى المسألة الثانية (كما يلزم توفير).

(١٠٢٢) سورة المائدة: ٢.

(١٠٢٣) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص٣٧٦ باب الجماعة وفضلها ح١٠٩٤.

(١٠٢٤) وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٩٧ ب٤ ح١٠٧١٣.

(١٠٢٥) فمن تجمع قبلي إلى تجمع نقابي إلى تجمع حزبي.

(١٠٢٦) أو تروني وتسمعون كلامي فتأمل.

(١٠٢٧) أو والحال أنكم تروني وتسمعوني.

عذر مدّعي القصور

مسألة: يلزم دفع أو رفع عذر القاصر في معرفة التكاليف وغيره ممن يدَّعي أو سيدّعي ذلك[١٠٢٨]، وربما يكون ذلك هو السر في تصريحها عليهم السلام بأن الدعوة قد لبستهم والخبرة شملتهم، حتى تكون الحجة عليهم أتم.

فلا يقولون في المستقبل: إن الحجة لم تصل إلينا ولم نكن نعرف ما تطلبونه، أو لم نكن ندري بأن التكليف شامل لنا والخطاب موجه إلينا، أو لدفع هذا التوهم في الحال.

قال تعالى: ﴿**قل فلله الحجة البالغة**﴾[١٠٢٩].

مضافاً إلى أنه يجب على الإنسان أن يبحث عن تكاليفه، فلا يكفيه أن يقول: كنت جاهلاً، إذ على الجاهل أن يتعلم.

روي عن هارون عن ابن زياد قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام وقد سئل عن قوله تعالى ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ**﴾ فقال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: أكنت عالما، فإن قال: نعم، قال له: أفلا عملت بما علمت، وإن قال: كنت جاهلا، قال له: أفلا تعلمت حتى تعمل، فيخصمه، وذلك الحجة البالغة»[١٠٣٠].

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال : «دخل جابر بن عبد الله الأنصاري على أمير المؤمنين عليه السلام فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا جابر قوام هذه الدنيا بأربعة، عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني جواد بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنيا غيره، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فإذا كتم العالم العلم أهله، وزها الجاهل في تعلم ما لابد منه وبخل الغني بمعروفه وباع الفقير دينه بدنيا غيره حل البلاء وعظم العقاب»[١٠٣١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم»[١٠٣٢].

نعم خرج من ذلك القاصر فقط، لأن الحجة لم تصله ولم يتمكن في حال قصوره من

(**١٠٢٨**) أي: القصور.

(**١٠٢٩**) سورة الأنعام: ١٤٩.

(**١٠٣٠**) الأمالي للمفيد: ص٢٢٧-٢٢٨ المجلس٢٦.

(**١٠٣١**) بحار الأنوار: ج١ ص١٧٨ ب١ ح٥٩.

(**١٠٣٢**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٢٧ ب٤ ح٣٣١١٩.

الفحص عن الحجة، بل قالوا: إن من المحال تكليف القاصر . بما هو قاصر . والمراد المرتبة الرابعة من مراتب التكليف على ما ذهب إليه الآخوند﵀[١٠٣٣] وذلك لضرورة الاشتراك في التكليف.

قولها ﵇: «تلبسكم الدعوة» فكأن دعوتها ﵇ أحاطت بهم كاللباس الذي يحيط ببدن الإنسان، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، ويحتمل أن يكون حقيقة، وربما كانت العبارة نوع اقتباس من قوله تعالى: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾[١٠٣٤] ولا داعي للحمل على المجاز بعد إمكان الحقيقة بل توصل العلم الحديث إلى ما قد يدل على ذلك[١٠٣٥].

قولها ﵇: «وتشملكم الخبرة» أي: إن خبرتكم وعلمكم بمظلوميتي وبمغصوبية حقي شامل لجميعكم، فليس هناك من لا يعلم ذلك، فكيف تسكتون وأنتم تسمعون دعوتي وتعرفون حق المعرفة حقي؟

محاسبة المسؤولين

مسألتان: قد يجب . على رؤوس الأشهاد . الإعلان عن المسؤوليات الجماعية أولاً، وعن التخاذل الاجتماعي . لو حدث . ثانياً، وذلك من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا مجال لدعوى التشهير والغيبة وما أشبه كما هو أوضح من أن يخفى.

قال الإمام الصادق﵇ عن أبيه ﵇: «ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع والإمام الجائر والفاسق المعلن الفسق»[١٠٣٦].

وعلى هذا فإن من اللازم حرية الصحافة وذلك لتراقب المسؤولين والحكام والأمة وتحاسبهم على أفعالهم، وذلك تأسياً بها (صلوات الله عليها) حيث حاسبت الناس والمسؤولين على رؤوس الأشهاد.

قال أمير المؤمنين﵇: «الملوك حكام على الناس والعلم حاكم عليهم»[١٠٣٧].

(١٠٣٣) المراتب الأربعة هي الاقتضاء والإنشاء والفعلية والتنجز.

(١٠٣٤) سورة الإسراء: ١٣.

(١٠٣٥) كأنواع الطاقة والأشعة والذبذبات التي تحيط بالإنسان.

(١٠٣٦) قرب الإسناد: ص٨٢.

(١٠٣٧) الأمالي للطوسي: ص٥٦ المجلس٢ ضمن ح٧٨.

وفي الأحاديث التحذير عن جور الحكام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين»(١٠٣٨).

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام: «الذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام»(١٠٣٩).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى»(١٠٤٠).

وقال عليه السلام: «إنّ شرّ النّاس عند اللّه إمام جائر ضلّ وضلّ به»(١٠٤١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أربعة لا تقبل لهم صلاة: الإمام الجائر، والرجل يؤم القوم وهم له كارهون، والعبد الآبق من مولاه من غير ضرورة، والمرأة تخرج من بيت زوجها بغير إذنه»(١٠٤٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أقبح شيء جور الولاة»(١٠٤٣).

وقال عليه السلام: «السلطان الجائر والعالم الفاجر أشد الناس نكاية»(١٠٤٤).

وقال عليه السلام: «زمان الجائر شر الأزمنة»(١٠٤٥).

وقال عليه السلام: «سبع أكول حطوم خير من وال ظلوم غشوم»(١٠٤٦).

وقال عليه السلام: «شر الأمراء من ظلم رعيته»(١٠٤٧).

وقال عليه السلام: «ولاة الجور شرار الأمة وأضداد الأئمة»(١٠٤٨).

(١٠٣٨) وسائل الشيعة: ج٨ ص١٣ ب٧ ضمن ح١٠٠٠٧.

(١٠٣٩) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٩٥-٩٦ ب٧٦ ضمن ح١٣٦١٨.

(١٠٤٠) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٤ من كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان.

(١٠٤١) نهج البلاغة، الخطب: ١٦٤.

(١٠٤٢) وسائل الشيعة: ج٨ ص٣٤٩ ب٢٧ ح١٠٨٣.

(١٠٤٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٧ ف٨ ذم الحكومة الجائرة ح٨٠٠٤.

(١٠٤٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٧ ف٨ ذم الحكومة الجائرة ح٨٠٠٥.

(١٠٤٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٧ ف٨ ذم الحكومة الجائرة ح٨٠١٤.

(١٠٤٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٧ ف٨ ذم الحكومة الجائرة ح٨٠١٥.

(١٠٤٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٧ ف٨ ذم الحكومة الجائرة ح٨٠١٨.

(١٠٤٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٨ ف٨ آثار الحكومة الجائرة ح٨٠٢٢.

وقال عليه السلام: «إذا ملك الأراذل هلك الأفاضل»[١٠٤٩].

وقال عليه السلام: «إذا استولى اللئام اضطهد الكرام»[١٠٥٠].

وقال عليه السلام: «دولة اللئام مذلة الكرام»[١٠٥١].

وقال عليه السلام: «دول الفجار مذلة الأبرار»[١٠٥٢].

وأنتم ذوو العدد والعدة[١٠٥٣]، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجُنة

مسؤولية أكبر

مسألة: من له العدد والعدة، والأداة والقوة، والسلاح والجُنة، تكون مسؤوليته أكبر، كما هو واضح.

وكلامها عليها السلام هذا[١٠٥٤] من حيث الأسباب والأدوات، بينما العدد من حيث الأفراد، والكلام السابق بلحاظ الانتماء.

ولعل ذكر العدد هنا باعتبار أن كونهم في مجمع غير كونهم ذا عدد، فالعدد إشارة إلى الكم، والمجمع إلى الكيف، إذ لا يستلزم أحدهما الآخر، فقد يكون الشخص منتمياً إلى مجمع صغير لا عدد له، أما الأنصار فكانوا ينتمون إلى مجمع وهو قوة، كما قالت عليها السلام: «وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى ومجمع» وكانوا ذوي عدد معتد به.

فكلامها (صلوات الله عليها) إشارة إلى:

١: إن لهم مجمعاً، وهو بلحاظ الانتماء.

٢: إن لهم كثرة الأفراد.

(١٠٤٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٨ ف٨ آثار الحكومة الجائرة ح٨٠٣٦.

(١٠٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٨ ف٨ آثار الحكومة الجائرة ح٨٠٣٧.

(١٠٥١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٨ ف٨ آثار الحكومة الجائرة ح٨٠٣٩.

(١٠٥٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤٨ ف٨ آثار الحكومة الجائرة ح٨٠٤٠.

(١٠٥٣) وفي بعض النسخ: (وفيكم العدد والعدة ولكم الدار وعندكم الجنن).

(١٠٥٤) أي بدءً من (والعدة..).

٣: إنهم يمتلكون السلاح والقوة.

فمسؤوليتهم أكثر وأكبر.

وقد روي أنه أقام النبيﷺ بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجده وصلى يوم الجمعة في المسجد الذي في بطن الوادي وادي رانوقا، فكانت أول صلاة صلاها بالمدينة، ثم أتاه غسان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال من بني سالم فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، فقال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» يعني ناقته(١٠٥٥).

ومن هنا كانت مسؤولية العلماء أكثر وأكبر أيضا، قال عيسى عليه السلام: «ويلكم علماء السوء، الأجر تأخذون والعمل تضيّعون»(١٠٥٦).

وفي تحف العقول عن النبي عيسى عليه السلام: «ويلكم يا علماء السوء ألم تكونوا أمواتا فأحياكم فلما أحياكم متم، ويلكم ألم تكونوا أميين فعلمكم فلما علمكم نسيتم، ويلكم ألم تكونوا جفاة ففقهكم الله فلما فقهكم جهلتم، ويلكم ألم تكونوا ضلالا فهداكم فلما هداكم ضللتم، ويلكم ألم تكونوا عميا فبصركم فلما بصركم عميتم، ويلكم ألم تكونوا صما فأسمعكم فلما أسمعكم صممتم، ويلكم ألم تكونوا بكما فأنطقكم فلما أنطقكم بكمتم، ويلكم ألم تستفتحوا فلما فتح لكم نكصتم على أعقابكم، ويلكم ألم تكونوا أذلة فأعزكم فلما عززتم قهرتم واعتديتم وعصيتم، ويلكم ألم تكونوا مستضعفين ﴿**فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ**﴾(١٠٥٧) فنصركم وأيدكم فلما نصركم استكبرتم وتجبرتم، فيا ويلكم من ذل يوم القيامة كيف يهينكم ويصغركم، ويا ويلكم يا علماء السوء إنكم لتعملون عمل الملحدين وتأملون أمل الوارثين وتطمئنون بطمأنينة الآمنين وليس أمر الله على ما تتمنون وتتخيرون، بل للموت تتوالدون وللخراب تبنون وتعمرون وللوارثين تمهدون»(١٠٥٨).

وفي البحار: «ويلكم علماء السوء الأجرة تأخذون والعمل لا تصنعون، يوشك رب العمل أن يطلب عمله وتوشكوا أن تخرجوا من الدنيا إلى ظلمة القبر، كيف يكون من أهل

(١٠٥٥) المناقب: ج١ ص١٨٥ فصل في هجرته عليه السلام.

(١٠٥٦) بحار الأنوار: ج٢ ص٣٨-٣٩ ب٩ ضمن ح٦٦.

(١٠٥٧) سورة الأنفال: ٢٦.

(١٠٥٨) تحف العقول: ص٥٠٩ مواعظ المسيح عليه السلام في الإنجيل وغيره.

العلم من مصيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه وما يضره أشهى إليه مما ينفعه»[١٠٥٩].

تأهيل الأمة

مسائل: من الواجب تأهيل الناس والتجمعات وإعدادهم نفسياً وإزالة حاجز الخوف وإعادة الثقة إلى أنفسهم بمقدرتهم على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وهذا هو ما صنعته الصديقة الطاهرة عليها السلام إذ قد يكون وجه الحكمة في تطرقها عليها السلام إلى مصاديق قدرة الأنصار ومقوماتها وأركانها (ومنتدى ومجمع، وأنتم ذوو العدد والعدة...) هو إلفاتهم إلى ما قد غفلوا عنه (جميعاً أو بعضاً) من المقدرة على التصدي للظالم، ولإزالة الرهبة والرعب من قلوبهم، فإن الناس والجماعات عادة تتخاذل عن نصرة الحق لأسباب منها الخوف الكاذب، والانهزامية، وضعف الثقة بالذات والقدرات، وهذا من أكبر الدروس التي علينا تعلمها منها عليها السلام.

وفي الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

دواؤك فيك وما تشعر ... ودؤك منك وما تنظر

وتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر[١٠٦٠]

وعن الحسن بن علي عليه السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال: «إنكم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»[١٠٦١].

وقال العلامة (قدس سره) في الألفين: «أنواع الشجاعة ثمانية:

الأول: كبر النفس وهو الاستهانة باليسار والاقتصار على حمل الكرامة والهوان وتنزيه النفس عن الدناءات.

الثاني: النجدة وهو ثقة النفس عند المخاوف بحيث لا يخامرها جزع.

الثالث: عظم الهمة وهي فضيلة للنفس بها يحتمل سعادة الجسد وضدها حتى الشدائد

(**١٠٥٩**) بحار الأنوار: ج٢ ص١٠٩ ب١٥ ضمن ح١٢.

(**١٠٦٠**) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص١٧٨.

(**١٠٦١**) منية المريد: ص٣٤٠ آداب الكتابة والكتب.

التي تعرض عند الموت.

الرابع: الصبر وهي فضيلة بها تقوى النفس على احتمال الآلام ومقاومتها على الأهوال، والفرق بينه وبين الصبر الذي في العفة أن هذا يكون على الأمور الهائلة وذلك على الشهوات الهائجة.

الخامس: الحلم وهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكن سبعية ولايحركها الغضب بسهولة وسرعة.

السادس: السكون وهو قوة للنفس تعسر حركتها عند الخصومات وفي الحروب التي يذب بها عن الحرائم أو عن الشريعة لشدتها.

السابع: الشهامة وهو الحرص على الأعمال العظام للأحدوثة الجميلة.

الثامن: الاحتمال وهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة»[١٠٦٢].

وهذا لا ينافي ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «الثقة بالنفس من أوثق فرص الشيطان»[١٠٦٣].

لأن المراد به ما قاله عليه السلام في حديث آخر: «لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة»[١٠٦٤]. وما أشبه، أي ترك النفس وعدم محاسبتها.

قال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم تأمنوا من الله الرهب و تدركوا عنده الرغب»[١٠٦٥].

وقال عليه السلام: «قيدوا أنفسكم بالمحاسبة و أملكوها بالمخالفة»[١٠٦٦].

هذا وقد يكون كلامها (صلوات الله عليها) [١٠٦٧] لتكون الحجة عليهم أبلغ وأتم، ولا يمتنع الجمع[١٠٦٨].

(١٠٦٢) الألفين: ص١٦٠-١٦١ الدليل الثامن والثمانون على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(١٠٦٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٥ مراقبة النفس ح٤٧٣٣.

(١٠٦٤) نهج البلاغة: الخطب: ٨٦.

(١٠٦٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٦ محاسبة النفس ح٤٧٣٨.

(١٠٦٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٣٦ محاسبة النفس ح٤٧٤٣.

(١٠٦٧) أي: «ومنتدى ومجمع، وأنتم ذوو العدد والعدة...».

(١٠٦٨) بين هذا المعنى وما سبق من التأهيل للتصدي.

وغير خفي أن هذا المقطع من كلامها ﷺ إشارة إلى مصاديق مقومات الدفاع عن المظلوم.

والحاصل أنه كلما تمكن الإنسان من الدفاع عن المظلوم وجب عليه الدفاع، ومن مصاديق ذلك: أن تبلغهم الحجة ولهم العدد والعدة، إلى آخر ما تقدم.

ثم إن بيان مقومات الدفاع بين واجب ومستحب ـ كل في مورده ـ كما إذا كان الإنسان غافلاً عن ذلك أو غير واعٍ أو ما أشبه، وربما كان البيان للتأكيد ونحوه.

من السنن الاجتماعية

مسألة: كما تستكشف السنن الكونية والاجتماعية من آيات الذكر الحكيم التي تتطرق إلى ذكر المصاديق فتعتبر مرآة للكلي، كذلك يمكن استكشاف كليات السنن الاجتماعية والكونية من كلماتها ﷺ وكلمات سائر المعصومين ﷺ.

والمقام من هذا القبيل، فإن المقياس ليس فقط كون الطرف ذا عدد وعدة وأداة وقوة وسلاح وجُنة، كما كانت الأنصار في هذه القضية.

قال تعالى في قصة يوم حنين: ﴿**إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً**﴾(١٠٦٩).

نعم كونهم كذلك مسوغ لتقريعهم بعدم النصرة، فهم عاصون بعدمها من جهته.

كما إن اللازم ـ من جهة أخرى ـ أن لا يغتر المرء بها ويخدع، فإن العبرة بقوة الروح ومضاء العزيمة وليس بالكثرة والقوة والبأس إذ ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ**﴾(١٠٧٠).

كما إن التاريخ المشرق والتجارب الماضية لا تصلح ملاكاً نهائياً، فإنها من المقتضيات وليست علة تامة، ولذلك كانوا كما قالت ﷺ: «وأنتم موصوفون بالكفاح...» كما سيأتي.

ومن هنا ورد التأكيد على حسن العاقبة والتحذير عن سوئها.

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن خائفا من سوء العاقبة، لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له»(١٠٧١).

(١٠٦٩) سورة التوبة: ٢٥.

(١٠٧٠) سورة البقرة: ٢٤٩.

(١٠٧١) تفسير الإمام العسكري ﷺ: ص٢٣٩ ورود ملك الموت على المؤمن ضمن ح١١٧.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير الأمور خيرها عاقبة»[١٠٧٢].

وعن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام أن عليا عليه السلام قال: «إن حقيقة السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة، وإن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاء»[١٠٧٣].

وقال عليه السلام: «لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرة»[١٠٧٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير الأمور أعجلها عائدة وأحمدها عاقبة»[١٠٧٥].

وعن أحمد بن سهل قال: سمعت أبا فروة الأنصاري وكان من السائحين يقول: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: «يا معشر الحواريين بحق أقول لكم إن الناس يقولون إن البناء بأساسه، وأنا لا أقول لكم كذلك» قالوا: فما ذا تقول يا روح الله؟ قال عليه السلام: «بحق أقول لكم إن آخر حجر يضعه العامل هو الأساس» قال أبو فروة: إنما أراد خاتمة الأمر[١٠٧٦].

وفي الدعاء: «اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني معهم في الدنيا والآخرة واجعل عاقبة أمري إلى غفرانك ورحمتك يا أرحم الراحمين»[١٠٧٧].

إشهار السلاح بوجه الحاكم

مسألة: يجوز إشهار السلاح بوجه الحاكم الجائر دفاعاً عن المظلومين والمضطهدين بشروط الجهاد المذكورة في بابه[١٠٧٨].

ويجوز استخدامه أيضاً من باب النهي عن المنكر لو لم يرتدع الحاكم إلا به[١٠٧٩]، فإذا لم ينفع النهي بالقول وشبهه فإن نصرة المظلوم واجبة بأية كيفية مشروعة.

هذا كله مع مراعاة قاعدة الأهم والمهم التي قد تقتضي أحياناً عدم النصرة بالشكل

(١٠٧٢) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤٠٢ باب النوادر ضمن ح٥٨٦٨.

(١٠٧٣) معاني الأخبار: ص٣٤٥ باب معنى حقيقة السعادة والشقاء ح١.

(١٠٧٤) خصائص الأئمة: ص١٠٦.

(١٠٧٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٠٤ في الخير وآثاره ح١٨٦٠.

(١٠٧٦) معاني الأخبار: ص٣٤٨ باب معنى قول المسيح عليه السلام إن آخر حجر... ح١.

(١٠٧٧) المصباح الكفعمي: ص٦٢٢ دعاء السحر لعلي بن الحسين عليه السلام.

(١٠٧٨) انظر موسوعة الفقه: ج٤٧ و٤٨ كتاب الجهاد.

(١٠٧٩) انظر موسوعة الفقه: ج٤٨ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخاص، كما لو كان استخدام السلاح يستلزم مفسدة أعظم، كما نرى ذلك في مثل هذه الأزمنة في العلاقة بين الدول وشعوبها، فاللازم النهي عبر الضغوط الدبلوماسية والإعلام والمسيرات السلمية وشبهها، لا بالطرق العنفية كما فصلناه في محله(١٠٨٠).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا عاقبة أسلم من عواقب السلم»(١٠٨١).

وقال عليه السلام: «إياك والعنف»(١٠٨٢).

وقال عليه السلام: «أما علمتم أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعنف والجور، وأن إمامتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وما أنتم فيه»(١٠٨٣).

وقال علي عليه السلام: «رأس السخف العنف»(١٠٨٤).

وقال عليه السلام: «راكب العنف يتعذر عليه مطلبه»(١٠٨٥).

وقال عليه السلام: «من ركب العنف ندم»(١٠٨٦).

وفي الحديث: «إن الله يسير ويحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف»(١٠٨٧).

وقالوا: المؤمن إذا وعظ لم يعنف وإذا وعظ لم يأنف(١٠٨٨).

ومن هنا كانت سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام على اللين والسلم واللاعنف، على عكس من غصب الخلافة فكانت سياستهم العنف والظلم، قال ابن عباس: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته وقال ائتني به

(١٠٨٠) انظر كتاب (السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(اللاعنف في الإسلام) و(اللاعنف منهج وسلوك).

(١٠٨١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٧٦ ف٤ في العاقبة ح١٠٩٢١.

(١٠٨٢) الكافي: ج٣ ص١٤٠ باب غسل الميت ضمن ح٤.

(١٠٨٣) أعلام الدين: ص٩٨.

(١٠٨٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٦٥ ح٥٧٣١.

(١٠٨٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٦٥ ح٥٧٣٣.

(١٠٨٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٠٣ آثار الغضب ح٦٩٠٠.

(١٠٨٧) تهذيب الأحكام: ج٥ ص٥٢ ب٦ ضمن ح٤.

(١٠٨٨) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٣٤.

بأعنف العنف!»[١٠٨٩].

وورد في قصة أبي ذر أنه: «كتب عثمان إلى معاوية أن احمل أباذر على ناب صعبة وقتب، ثم ابعث معه من ينجش به نجشا عنيفا حتى يقدم به عليّ، قال: فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلا مسح، ثم بعث معه من يسيره سيرا عنيفا.

قال: وخرجت معه فما لبث الشيخ إلا قليلا حتى سقط ما يلي القتب من لحم فخذيه وقرح، فكنا إذا كان الليل أخذت ملائي فألقيتهما تحته، فإذا كان السحر نزعتها مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك»[١٠٩٠].

الدفاع باليد

مسألة: إذا اقتضى الأمر فإنه تجوز بل تجب الاستفادة من السلاح بالشروط المذكورة، في نصرة الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام والدفاع عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) على امتداد الأزمنة.

بل وكذلك في نصرة غيرهم من المظلومين على ما تقدم.

ولذلك لم يستخدموا السلاح حيث كان مزاحما بالأهم كما لم تتوفر الشرائط في غالب المعصومين عليهم السلام.

وبشكل كلي فإن استعمال السلاح يلزم فيه توفر شرائط الاستعمال من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الجهاد في سبيل الله أو ما أشبه ذلك مما ذكر في كتابيهما [١٠٩١].

عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم، هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وأبغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ولا مريدين

(١٠٨٩) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٣٨٨.

(١٠٩٠) بحار الأنوار: ج٣١ ص٢٧٤-٢٧٥.

(١٠٩١) راجع موسوعة الفقه: ج٤٨ كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بالظلم ظفرا حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته»[١٠٩٢].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من ترك إنكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فهو ميت بين الأحياء»[١٠٩٣].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه قال: إني سمعت عليا عليه السلام يقول يوم لقينا أهل الشام: «أيها المؤمنون إنه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين»[١٠٩٤].

وقال الشريف الرضي رحمه الله: وقد قال عليه السلام في كلام له يجري هذا المجرى: «فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر»[١٠٩٥].

وعن أبي جحيفة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم، فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل أعلاه أسفله»[١٠٩٦].

وقال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام في تفسيره عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في

(١٠٩٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٣١ ب٣ ح٢١١٦٢.

(١٠٩٣) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٨١ ب٨٠ ح٢٣.

(١٠٩٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٣ ب٣ ح٢١١٦٩.

(١٠٩٥) وسائل الشيعة: ج١٦ ص١٣٤ ب٣ ح٢١١٧٠.

(١٠٩٦) نهج البلاغة: باب الحكم والمواعظ ٣٧٥.

حديث: «لقد أوحى الله إلى جبرئيل وأمره أن يخسف ببلد يشتمل على الكفار والفجار، فقال جبرئيل: يا رب أخسف بهم إلا بفلان الزاهد ليعرف ما ذا يأمره الله فيه، فقال: اخسف بفلان قبلهم، فسأل ربه، فقال: يا رب عرفني لم ذلك وهو زاهد عابد؟ قال: مكنت له وأقدرته فهو لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر وكان يتوفر على حبهم في غضبي، فقالوا: يا رسول الله فكيف بنا ونحن لا نقدر على إنكار ما نشاهده من منكر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليعمنكم عذاب الله، ثم قال: من رأى منكم منكرا فلينكر بيده إن استطاع فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره»[١٠٩٧].

قولها عليها السلام: «وأنتم ذوو العدد والعدة..» فأعدادكم كثيرة ولستم قليلين، وعدتكم للحرب مهيأة ولستم بدون عدة واستعداد، وأمثال هذا التعبير أعم مما كان بالذات وما كان بالقياس إلى الغير كما هو واضح، وربما قيل بأخذ النسبة في المفهوم[١٠٩٨] فتأمل.

قولها عليها السلام: «والأداة والقوة..» أي عندكم أداة الدفاع وفي أبدانكم القوة الكافية لنصرة المظلوم.

قولها عليها السلام: «وعندكم السلاح والجنة»، السلاح: ما يحارب به كالسيف والرمح وما أشبه، والجنة: الوقاية أي ما يحافظ به الإنسان على نفسه أمام سلاح العدو.

توافيكم الدعوة فلا تجيبون

إجابة المظلوم

مسألة: عدم إجابة دعوة المظلوم حرام.

وذلك فيما إذا كانت الإجابة واجبة، إذ قد لا تجب، كما لو ظُلم شخص بقدر درهم فإنه لا يجب على كل إنسان أن ينقذ درهمه من الظالم، على ما ذكره جمع من الفقهاء، وإن كان قد يختلف حال الشخص المظلوم بالنسبة إلى الدرهم، فقد يجب، وقد لا يجب.

وعلى أي فليس الأمر على إطلاقه، فمن الموارد ما هو منصرف، نعم في ما نحن فيه

(**١٠٩٧**) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٤٨٠ في ذم ترك الأمر بالمعروف ح٣٠٧.

(**١٠٩٨**) أي أن عبارة «أنتم ذوو العدد والعدة» أخذ في مفهومها عرفاً النسبة والقياس للغير.

تجب الدعوة وإجابتها كما هو واضح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أحسن العدل نصرة المظلوم»[١٠٩٩].

وعن البراء بن عازب قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن سبع، وأمر بسبع، نهانا أن نتختم بالذهب، وعن الشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: من شرب فيها في الدنيا لم يشرب فيها في الآخرة، وعن ركوب المياثر، وعن لبس القسي، وعن لبس الحرير والديباج والإستبرق، وأمرنا صلى الله عليه وآله باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وتسميت العاطس، ونصرة المظلوم، وإفشاء السلام، وإجابة الداعي، وإبرار القسم»[١١٠٠].

وقد ورد في أسماء يوم التاسع من ربيع الأول المبارك: «ويوم نصرة المظلوم»[١١٠١].

وعن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه: «ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة».

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «أنل مما أنالك الله».

قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله؟

قال: «فانصر المظلوم».

قال: وإن كنت أضعف ممن أنصره؟

قال: «فاصنع للأخرق، يعني أشر عليه».

قال: فإن كنت أخرق ممن أصنع له؟

قال: «فأصمت لسانك إلا من خير، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة»[١١٠٢].

وورد في صفات المؤمن عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن له قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين» إلى أن قال: «ينصر المظلوم ويرحم المسكين»[١١٠٣].

(**١٠٩٩**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٦ مدح العدل ح١٠٢١٠.

(**١١٠٠**) وسائل الشيعة: ج٤ ص٤١٥ ب٣٠ ح٥٥٧٢.

(**١١٠١**) انظر بحار الأنوار: ج٩٥ ص٣٥٥ ب١٣ ضمن ح١.

(**١١٠٢**) الكافي: ج٢ ص١١٣-١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح٥.

(**١١٠٣**) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٨٧ ب٤ ضمن ح٢٠٢٤٠.

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم ودعوة المظلوم فإنها ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله عزوجل إليها فيقول ارفعوها حتى أستجيب له وإياكم ودعوة الوالد فإنها أحد من السيف»(١١٠٤).

وعن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أبي يقول: اتقوا الظلم فإن دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»(١١٠٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة لا ترد لهم دعوة حتى تفتح لهم أبواب السماء وتصير إلى العرش، الوالد لولده والمظلوم على من ظلمه والمعتمر حتى يرجع والصائم حتى يفطر»(١١٠٦).

وقال رسول الله ﷺ: «إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة وليعن بعضكم بعضا»(١١٠٧).

وفي الحديث القدسي أوحاه الله إلى عيسى بن مريم: «وإياك ودعوة المظلوم فإني آليت على نفسي أن أفتح لها بابا من السماء بالقبول وأن أجيبه ولو بعد حين»(١١٠٨).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنفذ السهام دعوة المظلوم»(١١٠٩).

وقال عليه السلام: «إن دعوة المظلوم مجابة عند الله سبحانه لأنه يطلب حقه والله تعالى أعدل من أن يمنع ذا حق حقه»(١١١٠).

وقال عليه السلام: «من لم ينصف المظلوم من الظالم عظمت آثامه»(١١١١).

وقال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه يسأل الله حقه والله سبحانه أكرم من أن يُسأل حقا إلا أجاب»(١١١٢).

(١١٠٤) الكافي: ج٢ ص٥٠٩ باب من تستجاب دعوته ح٣.

(١١٠٥) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٢٩ ب٥٢ ح٨٩١٧.

(١١٠٦) الكافي: ج٢ ص٥١٠ باب من تستجاب دعوته ح٦.

(١١٠٧) انظر وسائل الشيعة: ج١٦ ص٥٦ ب٨٠ ضمن ح٢٠٩٦٧.

(١١٠٨) أعلام الدين: ص٢٢٩ فيما أنزل الله على عيسى ابن مريم.

(١١٠٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٣ إجابة الدعاء وموجباتها ح٣٧٦٠.

(١١١٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص١٩٣ إجابة الدعاء وموجباتها ح٣٧٦١.

(١١١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ ف٣ وظائف الحكام ح٧٨٠٤.

(١١١٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٠ ف١٣ في النصرة والتعاون ح١٠٣٤٩.

وقال عليه السلام: «ما أقرب النصرة من المظلوم»[١١١٣].

حرمة خذلان المعصومين عليهم السلام

مسألة: يحرم عدم إجابة دعوة السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) وكذلك سائر المعصومين عليهم السلام، وحرمة عدم إجابة دعوتهم واستنصارهم مغلّظة من جهات:

منها: إن الظلم الواقع بحقهم كبير في جميع مراتبه، ولو فرض كونه ضئيلاً في مصداق فرضاً فإنه كبير أيضاً، إذ الظلم يزداد قبحاً ويشتد حرمة كلما ازداد المظلوم عظمة ومكانة ومنزلة، فضرب زيد مثلاً حرام وضرب عالم ووليّ من أولياء الله أشد حرمة، وضرب الصديقة الطاهرة عليها السلام من أعظم المحرمات وأشد المنكرات التي يهتز لها الكون وتضطرب لها السماوات والأرضين.

ومنها: إنهم عليهم السلام أولوا الأمر الذين أمر الله الناس بطاعتهم ونهى عن مخالفتهم، فعدم تلبية استغاثتهم محرمة من هذه الجهة أيضاً، ولا مجال لتوهم الطريقية المحضة أبداً [١١١٤].

ومنها: إنهم عليهم السلام أولياء النعم ووسائط الفيض، وشكر المنعم واجب، والإغاثة من مصاديقه، ففرق بينهم وبين غيرهم، وإن كان الكلي صادقاً بالنسبة إلى المصداقين، والحاصل إن فيهم أموراً، منها:

المظلومية ـ بمراتبها ـ والولاية والشكر، بينما في غيرهم أمر واحد وهو المظلومية.

وقد ورد في زياراتهم (صلوات الله عليهم):

«يا ساداتي بكم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبكم ينزل الغيث ويكشف الكرب ويغني المعدم ويشفي السقيم»[١١١٥].

و«من أراد الله بدأ بكم، وبكم يبين الله الكذب، وبكم يباعد الله الزمان الكلب، وبكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يمحو ما يشاء وبكم يثبت، وبكم يفك الذل من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن تطلب، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها،

(١١١٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٠ ف١٣ في النصرة والتعاون ح١٠٣٦٦.

(١١١٤) أي توهم أن إطاعتهم واجبة لإحراز مصلحة الواقع فقط أو لدفع مفسدته فقط ومما يدل على ذلك الوجه الثالث الذي سيذكره الإمام المصنف (قدس سره).

(١١١٥) انظر بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٤٥ ب٤ ضمن ح٣٣.

وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم، وتستقل جبالها على مراسيها»[١١١٦].

و«بكم ينفس الهم، وبكم يكشف الكرب، وبكم يباعد نائبات الزمان الكلب، وبكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم ينزل الرحمة، وبكم يمسك الأرض أن تسيخ بأهلها، وبكم يثبت الله جبالها على مراسيها»[١١١٧].

وفي زيارة الجامعة: «بكم فتح الله، وبكم يختم، وبكم ينزل الغيث، وبكم ﴿**يُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ**﴾[١١١٨]، وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضر»[١١١٩].

وأمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أمنا آل محمد المهدي أم من غيرنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بل منا، يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون من الفتن كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخوانا، كما ألف بينهم بعد عداوة الشرك إخوانا في دينهم»[١١٢٠].

قولها عليها السلام: «توافيكم الدعوة فلا تجيبون» بمعنى أن الدعوة تصلكم فهي من الموافاة.

وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون

عدم إغاثة المظلوم

مسألة: يحرم عدم إغاثة المظلوم.

ولا يخفى أن الإغاثة أخص من الإجابة، إذ ربما يدعوه ويطلبه لأجل أن يكون شوكة له في مقابل الظالم فيكون إجابة وليس بإغاثة، وربما غرق في البحر فيطلبه فيكون إغاثة، ولذا

(١١١٦) انظر تهذيب الأحكام: ج٦ ص٥٥ ب١٨ ضمن ح١.

(١١١٧) كتاب المزار: ص١١١ ب٥٢.

(١١١٨) سورة الحج: ٦٥.

(١١١٩) بحار الأنوار: ج٩٩ ص١٣١-١٣٢ ب٨ ضمن ح٤.

(١١٢٠) بحار الأنوار: ج٥١ ص٨٤ ب١ ح٣٤ في ذكر المهدي عجل الله فرجه.

ذكرتهما الزهراء (عليها الصلاة والسلام) معاً فتكون الأولى[١١٢١] في قبال الإغاثة.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله، والله عزوجل يحب إغاثة اللهفان»[١١٢٢].

وقال عليه السلام في حديث: «الذنوب التي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[١١٢٣].

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب»[١١٢٤].

وعلي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من أغاث لهفانا من المؤمنين أغاثه الله يوم لا ظل إلا ظله وآمنه يوم الفزع الأكبر وآمنه من سوء المنقلب، ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة من إحداها الجنة، ومن كسا أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنة وإستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منها سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ريه، ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن رجلة حمله الله على ناقة من نوق الجنة وباهى به على الملائكة المقربين يوم القيامة، ومن زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشد عضده ويستريح إليها زوجه الله من الحور العين وآنسه بمن أحب من الصديقين من أهل بيته وإخوانه وآنسهم به، ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلزلة الأقدام، ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله لا لحاجة منه إليه كتب من زوار الله وكان حقيقا على الله أن يكرم زائره»[١١٢٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله يحب إراقة الدماء وإطعام الطعام وإغاثة

(١١٢١) أي الإجابة.

(١١٢٢) الكافي: ج٤ ص٢٧ باب فضل المعروف ح٤.

(١١٢٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٨٢ ب٤١ ضمن ح٢١٥٥٦.

(١١٢٤) نهج البلاغة: باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ٢٤.

(١١٢٥) كشف الريبة: ص٩٢-٩٣ ف٥ في كفارة الغيبة.

اللهفان»[١١٢٦].

وقال عليه السلام: «زكاة السلطان إغاثة الملهوف»[١١٢٧].

وقال عليه السلام: «ما من رجل رأى ملهوفا في طريق بمركوب له قد سقط وهو يستغيث ولا يغاث فأعانه وحمله على مركوبه إلا قال الله عزوجل كددت نفسك وبذلت جهدك في إغاثة أخيك هذا المؤمن لأكدن ملائكة هم أكثر عددا من خلائق الإنس كلهم من أول الدهر إلى آخره، وأعظم قوة كل واحد منهم ممن يسهل عليه حمل السماوات والأرضين ليبنوا لك القصور والمساكن ويرفعوا لك الدرجات فإذا أنت في جناتي كأحد ملوكها الفاضلين»[١١٢٨].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف»[١١٢٩].

وقال عليه السلام: «من أفضل المعروف إغاثة الملهوف»[١١٣٠].

وفي حديث آخر: «أفضل المعروف إغاثة الملهوف»[١١٣١].

وقال عليه السلام: «فعل المعروف وإغاثة الملهوف وإقراء الضيوف آلة السيادة»[١١٣٢].

وقال عليه السلام: «من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف»[١١٣٣].

وقال عليه السلام: «ما حصل الأجر بمثل إغاثة الملهوف»[١١٣٤].

وقال عليه السلام: «إن الله تعالى يحب إغاثة اللهفان»[١١٣٥].

من المحرمات الكبيرة

مسألة: من المحرمات الكبيرة عدم إغاثة الصديقة الطاهرة (سلام الله عليها) وكذلك

(**١١٢٦**) وسائل الشيعة: ج٢٤ ص٢٩٠ ب٢٦ ح٣٠٥٧٢.

(**١١٢٧**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ ف٣ وظائف الحكام ح٧٨٠٣.

(**١١٢٨**) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤١٥-٤١٦ ب٢٩ ح١٤٤٧٤.

(**١١٢٩**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٠ ف١٣ في النصرة والتعاون ح١٠٣٦٣.

(**١١٣٠**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٥٠ ف١٣ في النصرة والتعاون ح١٠٣٦١.

(**١١٣١**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٨٢ الإحسان والتحريض عليه ح٨٦٩٠.

(**١١٣٢**) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٢٤٢ ب٢٠ ضمن ح١٩٧٣٣.

(**١١٣٣**) انظر وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٧٣ ب٢٩ ضمن ح٢١٧٩٨.

(**١١٣٤**) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٤١٦ ب٢٩ ح١٤٤٧٥.

(**١١٣٥**) غوالي اللآلي: ج١ ص٣٧٦ ح١٠٠.

سائر المعصومين عليهم السلام.

وقد ورد أنه لما فجع الإمام الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده ولم يبق غيره وغير النساء والذراري نادى: «هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل من موحد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا؟» فارتفعت أصوات النساء بالعويل»[١١٣٦].

ويأتي هنا ما ذكرناه في المسألة السابقة وقد ذكرنا أن في المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) تجتمع الولاية ووجوب إغاثة المظلوم ووجوب شكر المنعم.

قولها عليها السلام: «وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون» أي: أني أصرخ بكم في رد ظلامتي لكنكم لا تغيثوني وهذا من أشد الكبائر.

ومنه يعرف أنها عليها السلام لم تكتف بمجرد الدعوة والطلب، بل أوصلت الأمر إلى أعلى درجات الاستنجاد وهو الصراخ بالقوم وذلك ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم**﴾[١١٣٧].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا ينتصر المظلوم بلا ناصر»[١١٣٨].

وقال عليه السلام: «من لم ينصف المظلوم من الظالم سلبه الله قدرته»[١١٣٩].

وقال عليه السلام: «أحسن العدل نصرة المظلوم»[١١٤٠].

استمرارية الدعوة

مسألة: الظاهر من استخدامها عليها السلام المضارع في الجملتين: الاستمرارية في الدعوة والاستنجاد، واستمرارهم في عدم الإجابة والإغاثة.

وهذا يؤكد على مسؤولية الأجيال جيلاً بعد جيل.

عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: «من جالس لنا عائبا أو مدح لنا قاليا أو وصل لنا قاطعا أو قطع لنا واصلا أو والى لنا عدوا أو عادى لنا وليا فقد كفر بالذي أنزل السبع

(**١١٣٦**) اللهوف: ص١١٧ المسلك الثاني في وصف حال القتال.

(**١١٣٧**) سورة الأنفال: ٤٢.

(**١١٣٨**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٨٣ ح١١١٤٤.

(**١١٣٩**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٤١ ف١٣ وظائف الحكام ح٧٨٠٥.

(**١١٤٠**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٤٤٦ في مدح العدل ح١٠٢١٠.

المثاني والقرآن العظيم»[١١٤١].

وقد ورد في إكمال الدين عن الشيخ (قدس الله روحه) أنه أمر أن يدعو بهذا الدعاء في غيبة القائم عليه السلام، وفيه:

«اللهم ولا تجعلني من خصماء آل محمد، ولا تجعلني من أعداء آل محمد، ولا تجعلني من أهل الحنق والغيظ على آل محمد، فإني أعوذ بك من ذلك فأعذني وأستجير بك فأجرني، اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني بهم فائزا عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين»[١١٤٢].

وفي تفسير القمي: إن الله عزوجل ذكر الذين تولوا أمير المؤمنين عليه السلام وتبرءوا من أعدائه فقال: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۞ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**﴾[١١٤٣] ثم ذكر أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله: ﴿**وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ**﴾[١١٤٤] أي فقر من الخير والثواب ﴿**أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**﴾»[١١٤٥].

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام: «ألا وإن الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قتله، ألا وإن قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم برآء من دين الله، وإن الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين عليه السلام إلى الخزان في الجنان فيمزجونها بماء الحيوان فتزيد عذوبتها، ويلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها فتزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها تشدد على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم»[١١٤٦].

وفي التفسير: ﴿**أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ**﴾[١١٤٧] قال: أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ﴿**وَالَّذِينَ**

(١١٤١) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٤ ب٣٨ ح٢١٥٢٣.

(**١١٤٢**) كمال الدين: ج٢ ص٥١٥ الدعاء في غيبة القائم عجل الله فرجه.

(**١١٤٣**) سورة عبس: ٣٨-٣٩.

(**١١٤٤**) سورة عبس: ٤٠-٤١.

(**١١٤٥**) سورة عبس: ٤٢. انظر تفسير القمي: ج٢ ص٤٠٦ من سورة عبس.

(**١١٤٦**) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٦٩-٣٧٠ ثواب الحزن والبكاء على الحسين عليه السلام.

(**١١٤٧**) سورة البلد: ١٨.

كَفَرُوا بِآياتِنا﴾[١١٤٨] قال: الذين خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام ﴿**هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ**﴾[١١٤٩] قال: المشأمة أعداء آل محمد عليهم السلام ﴿**عَلَيْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَةٌ**﴾[١١٥٠] أي مطبقة»[١١٥١].

وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح

مدح المؤمنين

مسألة: يستحب بيان فضائل الآخرين ومحاسن أخلاقهم كما قالت عليها السلام: «وأنتم موصوفون.. الخ».

فإنه داخل في روايات مدح المؤمن، ومصداق لقوله سبحانه: ﴿**وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾[١١٥٢]، وإن كانت سلباً إلا أنها عرفاً تشمل الإيجاب أيضاً، هذا مضافاً إلى أنه نوع تحريض وحث على النصرة كما سيأتي.

قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أخرجت للناس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[١١٥٣].

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام في مدح الأنصار: «هم والله ربّوا الإسلام كما يربّى الفلو مع غنائهم بأيديهم السياط وألسنتهم السلاط»[١١٥٤].

وروي في الديوان أبياته عليه السلام في مدح همدان:

جزى الله همدان الجنان فإنهم سمام العدى في كل يوم خصام
لهمدان أخلاق ودين يزينهم ولين إذا لاقوا وحسن كلام
متى تأتهم في دارهم لضيافة تبت عندهم في غبطة وطعام

(١١٤٨) سورة البلد: ١٩.

(١١٤٩) سورة البلد: ١٩.

(١١٥٠) سورة البلد: ٢٠.

(١١٥١) تفسير القمي: ج٢ ص٤٢٢ من سورة البلد.

(١١٥٢) سورة الشعراء: ١٨٣.

(١١٥٣) سورة آل عمران: ١١٠.

(١١٥٤) نهج البلاغة، حكم: ٤٦٥ في مدح الأنصار.

ألا إن همـــــدان الكـــــرام أعـــــزّة كمـــا عـــزّ ركـــن البيـــت عنـــد مقـــام
أنـــــاس يحبـــــون النبـــــي و رهطـــــه ســـــراع إلـــى الهيجـــاء غيـــر كهـــام
إذا كنـــت بوابـــا علـــى بـــاب جنـــة أقـــول لهمـــدان ادخلـــوا بســـلام(١١٥٥)

ومنه في مدح أصحابه عليهم السلام:

قـــــومي إذا اشـــــتبك القنـــــا جعلـــوا الصـــدور لهـــا مســـالك
اللاّبســـــــــون دروعهـــــــــم فـــوق القلـــوب لأجـــل ذلـــك(١١٥٦)

من طرق التحريض

مسألة: يستحب للمظلوم أن يذكر فضائل من يستنصره حثاً له على النصرة، فإنه ادعى لاثارة الحميّة والغيرة، والشهامة والمروءة فيه.

وهذا أيضاً من مصاديق ما تقدم، كما سبق أشباهه في بندين من بنود هذا المبحث.

ومنها ما ورد من مدح الأصحاب في الحرب، كما مدح أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه في حرب صفين فقال:

يـــا أيّهـــا السّـــائل عـــن أصـــحابي إن كنـــت تبغـــي خبـــر الصـــواب
أنبئـــك عـــنهم غيـــر مـــا تكـــذاب بـــــأنّهم أوعيـــــة الكتـــــاب
صـــبر لـــدى الهيجـــاء و الضـــراب فســـل بـــذاك معشـــر الأحـــزاب(١١٥٧)

وقال عليه السلام في مدح قبائل من عسكره:

الأزد ســـيفي علـــى الأعـــداء كلّهـــم وسـيف أحمـد مـن دانـت لـه العـرب
قـــوم إذا فـــاجئوا أوفـــوا وإن غلبـــوا لا يحجمـون ولا يـدرون مـا الهـرب
قـــوم لبوســـهم فـــي كـــلّ معتـــرك بـــيض رقـــاق وداوديـــة ســـلب
البـــيض فـــوق رؤوس تحتهـــا اليلـــب وفـي الأنامـل سـمر الخـطّ والقضـب
البـــيض تضـــحك والآجـــال تنتحـــب والســـمر ترعـــف والأرواح تنتهـــب
وأي يـــوم مـــن الأيّـــام لـــيس لهـــم فيـه مـن الفعـل مـا مـن دونـه العجـب

(**١١٥٥**) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص٤٣٨-٤٣٩ في ذكر قبائل همدان.

(**١١٥٦**) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص٣٠٧.

(**١١٥٧**) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص١١٠.

الأزد أزيد من يمشي على قدم فضلا وأعلاهم قدرا إذا ركبوا
والأوس والخزرج القوم الذين هم آووا فأعطوا فوق ما وهبوا
يا معشر الأزد أنتم معشر أنف لا يضعفون إذا ما اشتدّت الحقب
وفيتم ووفاء العهد شيمتكم ولم يخالط قديما صدقكم كذب
إذا غضبتم يهاب الخلق سطوتكم وقد يهون عليكم منهم الغضب
يا معشر الأزد إنّي من جميعكم راض وأنتم رؤوس الأمر لا الذنب
لن تيأس الأزد من روح ومغفرة واللّه يكلؤكم من حيث ما ذهبوا
طبتم حديثا كما قد طاب أوّلكم والشوك لا يجتنى من فرعه العنب
والأزد جرثومة إن سوبقوا سبقوا أو فوخروا فخروا أو غولبوا غلبوا
أو كوثروا كثروا أو صوبروا صبروا أو سوهموا سهموا أو سولبوا سلبوا
صفوا فأصفاهم المولى ولايته فلم يشب صفوهم لهو ولا لعب
هينون لينون خلقا في مجالسهم لا الجهل يعروهم فيها والصخب
الغيث إمّا رضوا من دون نائلهم والأسد ترهبهم يوما إذا غضبوا
أندى الأنام أكفا حين تسألهم وأربط الناس جأشا إن هم ندبوا
وأيّ جمع كثير لا تفرقه إذا تدانت لهم غسّان والندب
فاللّه يجزيهم عمّا أتوا وحبوا به الرسول وما من صالح كسبوا [1158]

وقال الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء: «أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيرا»[1159].

الدقة في التعبير

مسألة: ينبغي الدقة في التعبير، فهناك فرق بين (الموصوف) وبين (المتّصف) والصديقة عليها السلام قد عبرت بموصوفون بالكفاح لا متصفون بالكفاح.

فإن الموصوف بالشيء أعم من المتصف به كما لا يخفى.

(**١١٥٨**) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص١١٠-١١٣.

(**١١٥٩**) الإرشاد: ج٢ ص٩١.

عن أبي بصير قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «كان أبوذر رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك»(١١٦٠).

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: «احفظ لسانك».

قال: يا رسول الله أوصني.

قال: «احفظ لسانك».

قال: يا رسول الله أوصني.

قال: «احفظ لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»(١١٦١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه»(١١٦٢).

وقال عليه السلام: «دليل عقل الرجل قوله»(١١٦٣).

وقال عليه السلام: «يستدل على عقل كل امرئ بما يجري على لسانه»(١١٦٤).

وقال عليه السلام: «جميل القول دليل وفور العقل»(١١٦٥).

وقال عليه السلام: «عود لسانك حسن الكلام تأمن الملام»(١١٦٦).

وقال عليه السلام: «التروي في القول يؤمن الزلل»(١١٦٧).

وقال عليه السلام: «التثبت في القول يؤمن العثار والزلل»(١١٦٨).

وقال عليه السلام: «من تفقد مقاله قل غلطه»(١١٦٩).

(١١٦٠) الكافي: ج٢ ص١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح١٠.

(١١٦١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩١ ب١١٩ ح١٦٠٥٣.

(١١٦٢) الإرشاد: ج١ ص٣٠٠ من كلامه عليه السلام في الحكمة والموعظة.

(١١٦٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٠٩ ف١ القول والسان ح٤٠٣٠.

(١١٦٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٠٩ حسن اللسان والكلام ح٤٠٥٢.

(١١٦٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٠ حسن اللسان والكلام ح٤٠٥٢.

(١١٦٦) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٠ حسن اللسان والكلام ح٤٠٥٥.

(١١٦٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١١ الفكر ثم القول ح٤٠٧٢.

(١١٦٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١١ الفكر ثم القول ح٤٠٧٣.

(١١٦٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١١ الفكر ثم القول ح٤٠٧٤.

وقال عليه السلام: «الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه»[١١٧٠].

وقال عليه السلام: «اللسان سبع إن خليّ عنه عقر»[١١٧١].

وقال عليه السلام: «احذروا اللسان فإنه سهم يخطئ»[١١٧٢].

وقال عليه السلام: «ضبط اللسان ملك وإطلاقه هلك»[١١٧٣].

وقال عليه السلام: «زلة اللسان أنكى من إصابة السنان»[١١٧٤].

وقال عليه السلام: «زلة اللسان تأتي على الإنسان»[١١٧٥].

وهكذا ينبغي الدقة في جميع الأمور، كل بحسبه.

حيث ورد أنه «وقف علي عليه السلام على خياط فقال: يا خياط ثكلتك الثواكل، صلب الخيوط ودقق الدروز وقارب الغرز، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يحشر الله الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه، واحذروا السقاطات فإن صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيادي تطلب المكافأة»[١١٧٦].

الاتصاف في ظرف الإسناد

مسألة: ظاهر جريان المشتق على ذات، اتصافها به في ظرف الإسناد.

وحيث إن الموصوف أعم من المتصف لذلك فإن إطلاقها عليهم السلام «موصوفون بالكفاح» عليهم بلحاظ الحال لا يقتضي صدق الكفاح عليهم بالفعل فليدقق.

والتفصيل في الأصول [١١٧٧].

الاتصاف بالكفاح

(**١١٧٠**) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٨٧ ب١١٧ ح١٦٠٤٣.

(**١١٧١**) نهج البلاغة: باب الحكم والمواعظ ٦٠.

(**١١٧٢**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٣ خطر اللسان وأهميته ح٤١٤٤.

(**١١٧٣**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٤ حفظ اللسان ح٤١٨٣.

(**١١٧٤**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٤ زلة اللسان ح٤١٩٧.

(**١١٧٥**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٥ زلة اللسان ح٤١٩٨.

(**١١٧٦**) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٤٢ باب الصناعات والحرف.

(**١١٧٧**) راجع (الأصول) للإمام الشيرازي: ج١ ص١١٧-١٦٦.

مسألة: يستحب أن يكون الإنسان موصوفاً بالكفاح في سبيل الله، إضافة إلى استحباب أن يكون متصفاً به.

والكفاح هو المواجهة أي فعلية النزال والمبارزة، سواء بالحرب أم بغير الحرب، يقال: فلان يكافح الأمور، أي يباشرها بنفسه، والمكافحة: المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه.

وقد يكون هذا واجباً بشروطه وحسب النتائج، فإن كانت النتيجة واجبة كان واجباً وإن كانت النتيجة مستحبة كان مستحباً.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»(١١٧٨).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «للجنة باب يقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلا وفقرا في معيشة ومحقا في دينه، إن الله عزوجل أغنى أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»(١١٧٩).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس، وقال صلى الله عليه وآله: أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»(١١٨٠).

قولها عليه السلام: «وأنتم موصوفون بالكفاح» الكفاح عبارة عن: المكافحة والمجالدة والمواجهة باستقبال العدو في الحرب أو غيرها، يقال: فلان يكافح الأمور بمعنى: يباشرها بنفسه، فالمعنى أنكم شجعان ومع ذلك لا تدافعون عني ولا تردون ظلامتي.

أقسام الشهرة

مسألة: الشهرة على قسمين:

١: قسم مبغوض.

وهو ما ورد فيه الذم وورد في عكسه وهو (الخمول) المدح.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد: «تبدل ولا تشهر، ووار شخصك ولا تذكر، وتعلم

(١١٧٨) غوالي اللآلي: ج٣ ص١٨٢ باب الجهاد ح١.

(١١٧٩) الكافي: ج٥ ص٢ باب فضل الجهاد ح٢.

(١١٨٠) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٦٣ ب١ ح٢٠٢١٦.

واعمل، واسكت تسلم»[١١٨١].

وقال عليه السلام: «إن في الخمول لراحة»[١١٨٢].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن يكن في شيء فيوشك أن يكون في الخمول، فإن طلبت في خمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في التخلي، فإن طلبت في التخلي فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة يشغل بها»[١١٨٣].

وقال عليه السلام: «لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه، والخمول أشهى إليه من الشهرة» الحديث[١١٨٤].

٢: قسم محبوب.

وهو ما أشار إليه نبي الله الخليل عليه السلام: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**﴾ [١١٨٥].

في كشف الغمة عن ابن مردويه في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**﴾[١١٨٦] عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: «هو علي بن أبي طالب عليه السلام عرضت ولايته على إبراهيم عليه السلام فقال: اللهم اجعله من ذريتي ففعل الله ذلك»[١١٨٧].

وعلى هذا فإنه يستحب أن يكون الإنسان معروفاً بالخير والصلاح، وأن يسعى لذلك لا حباً للشهرة ورياءً وسمعة، بل ليكون أسوة للآخرين فإن ذلك من طرق الهداية، والفارق: النية.

(**١١٨١**) إرشاد القلوب: ج١ ص١٠٠ الباب الخامس والعشرون في مدح الخمول.

(**١١٨٢**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣١٩ فوائدهما . أي العزلة والتفرد . ح٧٣٦٤.

(**١١٨٣**) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢٠٢ ب٢٣ ح٣٥.

(**١١٨٤**) تحف العقول: ص٤٤٣ وروي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني.

(**١١٨٥**) سورة الشعراء: ٨٤.

(**١١٨٦**) سورة الشعراء: ٨٤.

(**١١٨٧**) كشف الغمة: ج١ ص٣٢٠ في بيان ما نزل من القرآن في شأنه عليه السلام.

عن أبي عبد الله ﷺ قال: «ثلاثة لم يسأل الله عزوجل بمثلهم، أن تقول: اللهم فقهني في الدين وحببني إلى المسلمين واجعل لي لسان صدق في الآخرين»[١١٨٨].

وفي التعقيب: «اللهم صل على محمد وآل محمد، وفقهني في الدين، وحببني إلى المسلمين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، وارزقني هيبة المتقين»[١١٨٩].

وفي الدعاء: «اللهم حببني إلى جميع خلقك»[١١٩٠].

وأيضاً: «يا من يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، أنت حكمت فلك الحمد محمودا مشكورا، فعجل يا مولاي فرجهم وفرجنا بهم، فإنك ضمنت إعزازهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإظهارهم بعد الخمول»[١١٩١].

وفي الزيارات: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي أَوْلِيَائِكَ»[١١٩٢].

وهناك فرق بين الخير والصلاح، لأن الإنسان قد يكون خيِّراً ولا يكون صالحاً لشيء ما، فالصلاح غير الخير، كما ربما يكون العكس، بأن يكون صالحاً ولا يكون خيّراً، وبعبارة أخرى المنصرف من الخير ما هو بالقياس إلى الغير، ومن الصلاح ما هو بلحاظ الذات.

نعم الصلاح من جميع الحيثيّات يلازم الخيّريّة.

لا يقال: فإذا كان هؤلاء هكذا فلماذا تقاعسوا عن نصرة الزهراء (عليها الصلاة والسلام).

لأنه يقال: إنهم خافوا السيف، ومن المعلوم أن الحكومات الانقلابية والدكتاتورية والمستبدة ترعب الناس بالسلاح، ولم يكن هؤلاء استثناء من ذلك، فقد غلب الخوف والطمع في بعضهم ـ طباعهم الأولية.

فمعنى كلامها (عليها الصلاة والسلام): الأمر في طبيعته الأولية وإن كان في طبيعته الثانوية قد عرض عليهم ما أدّى إلى خذلانهم وتقاعسهم عن النصرة.

أو يجاب: بأن معروفية الشخص بصفة غير اتصافه بها وكونه كذلك فعلاً، وكذلك

(١١٨٨) بحار الأنوار: ج٩٢ ص٣٥١-٣٥٢ ب١٢٩ ح٥.

(١١٨٩) بحار الأنوار: ج٨٣ ص٤٦ ب٣٨ ضمن ح٥٤.

(١١٩٠) بحار الأنوار: ج٨٧ ص٥٧ توضيح ضمن ح١٤.

(١١٩١) بحار الأنوار: ج٩٨ ص٣٠٦-٣٠٧ ب٢٤ ضمن ح٤.

(١١٩٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٥٩٠ زيارة قبر أمير المؤمنين ﷺ.

الموصوفية غير الاتصاف كما سبق.

والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت

السعي للتفوق

مسألة: يستحب أن يسعى الإنسان ليكون من النخبة المنتخبة والخيرة المختارة.

والفرق بين الانتخاب والاختيار: أن الانتخاب أخذ الشيء الجيد، أما الاختيار فهو من: خار، وخار قد أشرب فيه معنى اليسر والسهولة، وليس هذا المعنى حاصلاً في النخبة المنتخبة.

أو يقال: الاختيار يتضمن معنى التفضيل[١١٩٣] دون الانتخاب.

قولها عليها السلام: «التي انتخبت.. التي اختيرت» إشارة لمقام الإثبات بعد مقام الثبوت، إذ أن النخبة قد تنتخب وقد لا تنتخب، كما أن الخيرة قد تختار وقد لاتختار، وبذلك ذكرت الزهراء (صلوات الله عليها) في كل منهما اللفظين، هذا إن لم نقل بأنها بهذا الانتخاب أضحت نخبة وبهذا الاختيار صارت خيرة لا انها كانت نخبة وخيرة فانتخبت واختيرت.

قولها عليها السلام: «معروفون بالخير والصلاح»، أي لستم من الأشرار، بل تعرفون في المجتمع بأنكم خيرون وصالحون ومصلحون.

قولها عليها السلام: «والنخبة التي انتخبت» أي: أنكم انتخبتم من قبل النبي صلى الله عليه وآله في الدفاع عنه وعن أهل بيته عليهم السلام وعن دينه.

والخيرة من القوم: المختار منهم، وقد يقال: إن الاختيار قبل الانتخاب.

يقال: اختاره فانتخبه، فكأن الاختيار للشأنية والانتخاب للفعلية، وإن كان يجوز أن يطلق كل واحد منهما على الآخر كالظرف والجار والمجرور في اصطلاح الأدباء.

ورسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام هم خيرة الخلق.

في الزيارة: «السلام عليك يا محمد بن عبد الله، السلام عليك يا خيرة الله»[١١٩٤].

(١١٩٣) إذ الخِيْرة والخِيَرَة من القوم أو الشيء: الأفضل، وخيار الشي أفضله كما ورد في كتب اللغة.

(١١٩٤) الدعاء والزيارة للإمام الشيرازي P: ص٥٨٤ زيارات النبي صلى الله عليه وآله الزيارة الرابعة.

وقال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عزوجل بيده ويكون متمسكا به فليتول عليا والأئمة من ولده، فإنهم خيرة الله عزوجل وصفوته وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة»(١١٩٥).

وقال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق اختار العرب فاختار قريشا واختار بني هاشم فأنا خيرة من خيرة»(١١٩٦).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «نحن جنب الله ونحن صفوة الله ونحن خيرة الله»(١١٩٧).

وقال رسول الله ﷺ: «أنت يا علي وولدك خيرة الله من خلقه»(١١٩٨).

وعن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: «نحن خيرة الله من خلقه وشيعتنا خيرة الله من أمة نبيه»(١١٩٩).

وقال ابن أبي قحافة للصديقة الطاهرة عليها السلام: «لا يحبكم إلا العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلا الرديء الولادة، أنتم عترة اللّه الطّيبون، وخيرة اللّه المنتجبون»(١٢٠٠).

قاتلتم العرب

مقاتلة المشركين

مسألة: لقتال المشركين شروط وآداب مذكورة في الفقه(١٢٠١).

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام خطابا للصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام عند توجّهه إلى قتال المشركين:

قرّبي ذا الفقار فاطم منّي فأخي السيف كلّ يوم هياج

(١١٩٥) بحار الأنوار: ج٢٥ ص١٩٣ ب٦ ح٢.

(١١٩٦) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٤٨ ب٨ ح٦.

(١١٩٧) بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٥٩ ب٥ ح٣٧.

(١١٩٨) بحار الأنوار: ج٢٣ ص١٤٥ ب٧ ح١٠٢.

(١١٩٩) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٢٢ ب١٥ ح٣٨.

(١٢٠٠) بلاغات النساء: ص ٣١، وبحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٤٥-٢٦٤.

(١٢٠١) انظر موسوعة الفقه: ج٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

قرّبـــي الصّـــارم الحســـام فـــإنّي راكـــب فـــي الرجـــال نحـــو الهيـــاج
ورد اليـــوم ناصـــحا ينـــذر النـــاس جيـــوش كـــالبحر ذي الأمـــواج
وردوا مســـرعين يبغـــون قتلـــي وأبيـــك المحبـــوّ بـــالمعراج
وخـــراب الأوطـــان وقتـــل النـــاس وكـــلّ إذا أصـــبح لاجـــي
ســوف أرضــي المليــك بالضــرب مــا عشــت إلــى أن أنــال مــا أنــا راج
مــن ظهــور الإســلام أو يــأتي المــوت شــهيدا مــن شــاخب الأوداج[١٢٠٢]

لا يقال: لم ذكرت عليه السلام العرب فقط ولم تذكر الروم مع أنهم قاتلوا الروم أيضاً، في حرب (مؤتة) ونحوها؟

لأنه يقال: لأن أغلب حروبهم كانت في مواجهة العرب المشركين فهذا من باب التغليب.

أو يقال: حيث إن العرب كانوا مظهر الشجاعة والفروسية في ذلك اليوم، جاء ذكرهم، وإن كان المراد الأعم من ذلك، ومن هنا قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت»[١٢٠٣].

وفي يوم عاشوراء قال عمرو بن سعد لقومه: (الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب) [١٢٠٤].

وقد يقال: المراد بالعرب: الشجعان، كما سبق من قول علي (عليه الصلاة والسلام)، لا أن المراد في مقابل العجم، أي: إنكم كنتم بهذه المنزلة من الشجاعة فكيف تجبنون الآن.

وتحملتم الكدّ والتعب

تحمل الكد والتعب

مسألة: حيث إن سياق كلامها عليها السلام سياق الثناء المدح لا سياق النقل التاريخي المجرد فيستفاد ـ على ذلك ـ من قولها: «وتحملتم الكد والتعب» رجحان بل استحباب أو وجوب تحمل الكد والتعب للإسلام، هذا لو لاحظنا مصب الحديث.

(**١٢٠٢**) ديوان الإمام علي عليه السلام: ص١٢٩.

(**١٢٠٣**) نهج البلاغة، الرسائل: ٤٥ من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وكان عامله على البصرة.

(**١٢٠٤**) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٥٠ ب٣٧.

وإلا فقد يستحب تحمل الكد والتعب حتى في مثل إدارة العائلة وما أشبه، بل لعل الزهراء (عليها الصلاة والسلام) أرادت الأعم كما هو صفة المكافح الخيّر الصالح، فكل موضوع قد يقتضي مثل هذه الصفات كل بحسبه، سواء في النزال أم في الجدال أم في الإدارة أم في الإعالة أم في غيرها.

قولها عليها السلام: «وتحملتم الكد والتعب» والفرق بينهما أن التعب أعم من الكد، فإن الكد هو التعب الكثير، بينما التعب يقال للقليل أيضاً.

وقد ورد في باب المؤمن وعلاماته وصفاته عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته فأراح الناس من نفسه»(١٢٠٥).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة أتعب نفسه في عبادة الله عزوجل والشكر لنعمه في الطواف بالبيت وكان علي عليه السلام معه، فلما غشيهم الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي، قال: فلما هبطا من الصفا إلى المروة وصارا في الوادي دون العلم الذي رأيت غشيهما من السماء نور فأضاءت لهما جبال مكة وخشعت أبصارهما، قال: ففزعا لذلك فزعا شديدا، قال: فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ارتفع عن الوادي وتبعه علي عليه السلام فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء فإذا هو برمانتين على رأسه، قال: فتناولهما رسول الله صلى الله عليه وآله فأوحى الله عزوجل إلى محمد صلى الله عليه وآله: يا محمد إنها من قطف الجنة فلا يأكل منها إلا أنت ووصيك علي بن أبي طالب، قال: فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما وأكل علي عليه السلام الأخرى» الخبر(١٢٠٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن أفضل الناس عند الله من أحيا عقله وأمات شهوته وأتعب نفسه لصلاح آخرته»(١٢٠٧).

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين قال:

(أعتق علي عليه السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ألف مملوك مما مجلت يداه وعرق جبينه ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال فما كان حلواه إلا التمر ولا ثيابه إلا الكرابيس)(١٢٠٨).

(١٢٠٥) الكافي: ج٢ ص٢٣٠ باب المؤمن وعلاماته ضمن ح١.

(١٢٠٦) بحار الأنوار: ج٣٩ ص١٢٤-١٢٥ ب٧٨ ح٩.

(١٢٠٧) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٠ ق١ ب١ ف٤ ح٣٠٨.

(١٢٠٨) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٣٨-١٣٩ ب١٠٧.

وروي: «أنه عليه السلام كان يستقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجرا»(١٢٠٩).

وورد: «لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى مجلت يداها وطب الرحى في يدها»(١٢١٠).

وعن علي عليه السلام أنه قال لرجل من بني سعد: «ألا أحدثك عني وعن فاطمة، إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه وأنها استقت بالقربة حتى أثر في صدرها وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك ضر ما أنت فيه من هذا العمل.

فأتت النبي صلى الله عليه وآله فوجدت عنده حداثا، فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبي صلى الله عليه وآله أنها جاءت لحاجة.

قال: فغدا علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن في لفاعنا، فقال: السلام عليكم.

فسكتنا واستحيينا لمكاننا.

ثم قال: السلام عليكم، فسكتنا.

ثم قال: السلام عليكم، فخشينا إن لم نرد عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك يسلم ثلاثا فإن أذن له وإلا انصرف.

فقلت: وعليك السلام يا رسول الله ادخل، فلم يعد أن جلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟

قال: فخشيت إن لم نجبه أن يقوم.

قال: فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقربة حتى أثرت في صدرها وجرت بالرحى حتى مجلت يداها وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادما يكفيك ضر ما أنت فيه من هذا العمل؟

(١٢٠٩) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٤٤ ب١٠٧.

(١٢١٠) المناقب: ج٣ ص٣٤١ فصل في سيرتها.

قال: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربع وثلاثين، قال: فأخرجت عليها السلام رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، ثلاث دفعات»[١٢١١].

(**١٢١١**) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٨٢-٨٣ ب٤ ح٥.

مناطحة الأمم

مسألة: قد يقال بانصراف كلامها عليها السلام : «ناطحتم الأمم و... » إلى المناطحة العسكرية.

ولكن يحتمل إرادة الأعم من المناطحة في ظرف الحرب والسلم، فيشمل حتى المناطحة بالمجادلة بالتي هي أحسن وبالكلمة الطيبة، ويشمل حتى مثل موقف جعفر الطيار عليه السلام وسائر المسلمين في الحبشة[١٢١٢]، ومثل موقفهم وصمودهم في شعب أبي طالب عليه السلام[١٢١٣]، وعلى أي فإن مناطحة الأمم ومكافحة البهم بين واجب ومستحب.

فإذا كان هنالك من فيه الكفاية وقام بالأمر، كانت المناطحة والمكافحة بالنسبة إلى من هو فوق الكفاية مستحباً.

إلى غير ذلك من المسائل الفقهية المذكورة في كتاب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٢١٤].

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام في جواب معاوية: «من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان، أما بعد فقد أتانا كتابك بتنويق المقال وضرب الأمثال وانتحال الأعمال تصف الحكمة ولست من أهلها وتذكر التقوى وأنت على ضدها» إلى أن قال عليه السلام: «وأما تهديدك لي بالمشارب العربية والموارد المهلكة فأنا عبد الله علي بن أبي طالب أبرز إلي صفحتك كلا ورب البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال ولا عند مناطحة الأبطال»[١٢١٥].

جعفر بن أبي طالب عليه السلام في الحبشة

وفي (تفسير القمي): ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**

(**١٢١٢**) راجع بحار الأنوار: ج١٨ ص٤١٠ باب الهجرة إلى الحبشة وذكر بعض أحوال جعفر عليه السلام والنجاشي رحمه الله.

(**١٢١٣**) انظر بحار الأنوار: ج١٩ ص١٨-٢٠ ب٥ ح١١.

(**١٢١٤**) انظر موسوعة الفقه: ج٤٧ و٤٨.

(**١٢١٥**) كنز الفوائد: ج٢ ص٤٣-٤٤ جواب أمير المؤمنين عليه السلام.

وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى﴾[١٢١٦]، فإنه كان سبب نزولها أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله ﷺ وأصحابه الذين آمنوا بمكة قبل الهجرة أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الحبشة وأمر جعفر بن أبي طالب أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلا من المسلمين حتى ركبوا البحر فلما بلغ قريشا خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردهم إليهم...

فوردوا على النجاشي وقد كانوا حملوا إليه هدايا، فقبلها منهم، فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن قوما منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا إليك فردهم إلينا.

فبعث النجاشي إلى جعفر، فجاء فقال: يا جعفر ما يقول هؤلاء؟

فقال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟

قال: يسألون أن أردكم إليهم.

قال: أيها الملك سلهم أعبيد نحن لهم؟

قال عمرو: لا بل أحرار كرام.

قال: فاسألهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟

فقال: لا ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بذحول؟

فقال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منا، آذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وأفسدوا شبابنا وفرقوا جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيها الملك خالفناهم، بعث الله فينا نبيا أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة وحرم الظلم والجور وسفك الدماء بغير حقها والزنا والربا والميتة والدم وأمرنا ﴿**بِالْعَدْلِ وَ الإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى**﴾[١٢١٧] ونهانا ﴿**عَنِ**

(**١٢١٦**) سورة المائدة: ٨٢.

(**١٢١٧**) سورة النحل: ٩٠.

الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(١٢١٨).

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام.

ثم قال النجاشي: يا جعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئا؟

قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى قوله: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا ۞ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً**﴾(١٢١٩).

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاء شديدا وقال: هذا والله هو الحق.

وقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن هذا مخالف لنا فرده إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو ثم قال: اسكت، والله لئن ذكرته بسوء لأفقدنك نفسك.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإنا لا نتعرض له«(١٢٢٠).

وفي الخرائج و الجرائح: (روي عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أرض النجاشي ونحن ثمانون رجلا ومعنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مع هدايا فأتوه بها فقبلها وسجدوا له فقالوا: إن قوما منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك فبعث إلينا.

فقال لنا جعفر: لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم.

فانتهينا إلى النجاشي، فقال عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك.

فلما انتهينا إليه زبرنا الرهبان أن اسجدوا للملك، فقال لهم جعفر: لانسجد إلا لله.

فقال النجاشي: وما ذلك؟

قال: إن الله بعث فينا رسوله وهو الذي بشر به عيسى اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأن نقيم الصلاة وأن نؤتي الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله.

(**١٢١٨**) سورة النحل: ٩٠.

(**١٢١٩**) سورة مريم: ٢٥-٢٦.

(**١٢٢٠**) بحار الأنوار: ج١٨ ص٤١٤-٤١٥ ب٤ ح١.

فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر.

فتناول النجاشي عودا من الأرض فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذا.

ثم قال النجاشي لجعفر: أتقرأ شيئا مما جاء به محمد؟

قال: نعم.

قال: اقرأ، وأمر الرهبان أن ينظروا في كتبهم.

فقرأ جعفر ﴿**كهيعص**﴾(١٢٢١) إلى آخر قصة عيسى عليه السلام فكانوا يبكون.

ثم قال النجاشي: مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه اذهبوا أنتم سيوم أي آمنون، وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما)(١٢٢٢).

قصة شعب أبي طالب عليه السلام

في البحار: أن في سنة ثمان من نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله تعاهد قريش وتقاسمت على معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك أنه لما أسلم حمزة وحمى النجاشي من عنده من المسلمين وحامى رسول الله صلى الله عليه وآله عمه أبو طالب وقامت بنو هاشم وبنو عبد المطلب دونه وأبوا أن يسلموه، فشا الإسلام في القبائل واجتهد المشركون في إخفاء ذلك النور ويأبى الله إلا أن يتم نوره، فعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد صلى الله عليه وآله، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني عبد المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم، فكتبوا صحيفة في ذلك وكتب فيها جماعة وعلقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت

(١٢٢١) سورة مريم: ١.

(١٢٢٢) الخرائج والجرائح: ج١ ص١٣٣-١٣٤ فدك.

الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالا شديداً، و أبدت قريش لبني عبد المطلب الجفاء وثار بينهم شر وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم، ولا رحم إلا على قتل هذا الصابئ.

فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم، فدخلوا شعب أبي طالب.

وآذوا النبي ﷺ والمؤمنين أذى شديدا وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المارة من الأسواق، ونادى مناد الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه.

فبقوا على ذلك ثلاث سنين، حتى بلغ القوم الجهد الشديد، حتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون أي يصيحون من الجوع من وراء الشعب، وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء حتى كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم وأظهروا كراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة حتى أراد رجال أن يبرؤوا منها.

وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلا أو سرا، وكان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه أو رقد جعله أبو طالب بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه.

وكان يصبح قريش وقد سمعوا أصوات صبيان بني هاشم من الليل يتضاغون من الجوع فيجلسون عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضا فيقول الرجل لأصحابه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقولون: بخير، فيقول: لكن إخوانكم هؤلاء الذين في الشعب باتت صبيانهم يتضاغون من الجوع، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد ورهطه ومنهم من يكره ذلك.

فأتى من قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم سنتين أو ثلاثا حتى جهد القوم جهدا شديدا لا يصل إليهم شيء إلا سرا و مستخفى به ممن أراد صلتهم من قريش، حتى روي أن حكيم بن حزام خرج يوما و معه إنسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد وهي تحت رسول الله ﷺ في الشعب إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت ولا طعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له: أبو البختري بن هشام بن الحارث تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده، فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البختري بساق بعير فشجه ووطئه وطئا شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم.

وحتى روي أن هشام بن عمرو بن ربيعة أدخل على بني هاشم في ليلة ثلاثة أحمال

طعام، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه فكلموه في ذلك، فقال: إني غير عائد لشيء يخالفكم، ثم عاد الثانية فأدخل حملا أو حملين ليلا وصادفته قريش وهموا به، فقال أبو سفيان: دعوه رجل وصل رحمه، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل بنا ووفق الله هشاما للإسلام يوم الفتح(١٢٢٣).

وورد أيضا: أنه كان من معجزاته صلى الله عليه وآله أن قريشا كلهم اجتمعوا وأخرجوا بني هاشم إلى شعب أبي طالب ومكثوا فيه ثلاث سنين إلا شهرا، ثم أنفق أبو طالب وخديجة جميع مالهما ولا يقدرون على الطعام إلا من موسم إلى موسم، فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به وأن الله قد بعث على صحيفتهم الأرضة، فأكلت كل ما فيها إلا اسم الله، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي طالب، فما راع قريشا إلا وبني هاشم عنق واحد قد خرجوا من الشعب، فقالوا: الجوع أخرجهم، فجاءوا حتى أتوا الحجر وجلسوا فيه وكان لا يقعد فيه صبيان قريش، فقالوا: يا أبا طالب قد آن لك أن تصالح قومك.

قال: قد جئتكم مخبرا، ابعثوا إلى صحيفتكم لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها.

فبعثوا إليها وهي عند أم أبي جهل وكانت قبل في الكعبة فخافوا عليها السراق فوضعت بين أيديهم وخواتيمهم عليها.

فقال أبو طالب: هل تنكرون منها شيئا؟

قالوا: لا.

قال: إن ابن أخي حدثني ولم يكذبني قط أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة فأكلت كل قطيعة وإثم وتركت كل اسم هو لله فإن كان صادقا أقلعتم عن ظلمنا، وإن يكن كاذبا ندفعه إليكم فقتلتموه.

فصاح الناس: أنصفتنا يا أبا طالب.

ففتحت ثم أخرجت فإذا هي مشربة كما قال صلى الله عليه وآله فكبر المسلمون وامتقعت وجوه المشركين.

فقال: أبو طالب أتبين لكم أينا أولى بالسحر والكهانة.

فأسلم يومئذ عالم من الناس ثم رجع أبو طالب إلى شعبة ثم عيرهم هشام بن عمرو

(**١٢٢٣**) بحار الأنوار: ج١٩ ص١٨-٢٠ ب٥ ح١١.

العامري بما صنعوا ببني هاشم[١٢٢٤].

هذا وقد ذكرت الصديقة الطاهرة (عليها الصلاة والسلام) في خطبتها«الأمم»، لأنهم ناطحوا المشركين واليهود والنصارى والمجوس، حيث كان بعض المجوس في اليمن أيضاً.

والبهم عبارة عن: الشجعان الذين لا يعرف قدر شجاعتهم، ولا يدرى من أين يؤتون؟ أعن اليمين أم عن الشمال أم الأمام أم الخلف؟ كالشيء المبهم الذي لا يدرى معناه ومغزاه.

قولها عليها السلام: «وناطحتم الأمم» حيث شبهتهم (عليها الصلاة والسلام) بالكبش الذي يناطح الكبش الآخر، كناية عن شدة المجالدة وظهورها، فإن المناطحة عبارة عن محاربة كبشين بقرونهما، وهذا كناية عن محاربة الخصوم بجد واهتمام.

قولها عليها السلام: «وكافحتم البهم»، وقد سبق معنى الكفاح.

لا نبرح أو تبرحون

إتباع الرسول وأهل بيته عليهم السلام

مسألة: من الواجب إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وعدم التقدم عليهم والتأخر عنهم.

فإن هذه الجملة في أحد وجوهها تفيد نفس المعنى الوارد في أدعية شهر شعبان: «المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق»[١٢٢٥].

ويمكن أن تكون إخبارا في مقام الإنشاء[١٢٢٦].

فالواجب أن يهندس المرء حياته على طبق المخطط الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام للحياة، فإنهم وسائط الفيض والتشريع كما ورد: «إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من

(**١٢٢٤**) بحار الأنوار: ج١٩ ص١٦-١٧ ب٥ ح٨.

(**١٢٢٥**) البلد الأمين: ص١٨٦ شهر شعبان.

(**١٢٢٦**) إلا أن يقال إنه لا يكون فيما كان إخباراً عن حال ماضيه فتأمل، ويمكن القول بالملازمة العرفية بين مثل هذا التقرير عن الماضي وبين وجوبه في الحاضر. وكلمة (فتأمل) ربما يكون إشارة إلى أن ذلك وإن كان ممكناً إلا أن الظهور لا يساعد عليه.

بيوتكم» [١٢٢٧].

فإن من الواجب أو المستحب ـ كل بحسبه ـ أن يكون الإنسان طوع أوامرهم المولوية والإرشادية (عليهم الصلاة والسلام)، فكلّما تحرّكوا تحرّك، وكلما سكنوا سكن.

قال سبحانه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ**﴾[١٢٢٨].

وقال تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[١٢٢٩] وهذا نوع من الإطاعة.

عن أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الباقر عليه السلام قال: «أوصى النبي صلى الله عليه وآله إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام».

ثم قال في قول الله: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[١٢٣٠] قال: «الأئمة من ولد علي وفاطمة إلى أن تقوم الساعة»[١٢٣١].

وعن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى:

﴿**فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**﴾[١٢٣٢] فجعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون في آل إبراهيم وينكرون في آل محمد عليهم السلام قلت: فما معنى قوله: ﴿**وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**﴾ قال: «الملك العظيم أن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهو الملك العظيم»[١٢٣٣].

وعن جابر الأنصاري قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن قوله: ﴿**يا أيها الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ عرفنا الله ورسوله، فمن أولي الأمر؟ قال: «هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين

(**١٢٢٧**) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٥٤-٥٥ ب١٨ ح١.

(**١٢٢٨**) سورة النساء: ٦٤.

(**١٢٢٩**) سورة النساء: ٥٩.

(**١٢٣٠**) سورة النساء: ٥٩.

(**١٢٣١**) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٢٨٦ ب١٧ ح٣.

(**١٢٣٢**) سورة النساء: ٥٤.

(**١٢٣٣**) بصائر الدرجات: ص٣٦ ب١٧ ح٦.

ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان»(١٢٣٤).

وعن أبان أنه دخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: فسألته عن قول الله ﴿**يا أيها الذين آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ فقال: «ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه» ثم سكت فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: «ثم الحسن عليه السلام» ثم سكت، فلما طال سكوته قلت: ثم من؟ قال: «الحسين عليه السلام» قلت: ثم من؟ قال: «ثم علي بن الحسين عليه السلام» وسكت، فلم يزل يسكت عن كل واحد حتى أعيد المسألة فيقول حتى سماهم إلى آخرهم عليهم السلام (١٢٣٥).

وعن عمرو بن سعيد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ قال: قال: «علي بن أبي طالب والأوصياء من بعده»(١٢٣٦).

قولها عليها السلام: «فلا نبرح أو تبرحون» (أو) بمعنى: إلاّ، أي: لا نبرح إلا أن تبرحوا أنتم أيضاً، بمعنى: إنكم تأتمرون بأوامرنا وتزجرون بنواهينا.

ومن المحتمل أن يكون معنى «لا نبرح أو تبرحون»: لا نغضب أو تغضبون أي إلا أن تغضبوا أنتم أيضاً.

وبعبارة أخرى: لو كان ماضيه (بَرِحَ) بمعنى زال عن مكانه كان المعنى الأول هو المراد، ولو كان ماضيه (بَرَحَ) كان المعنى الثاني هو المراد، والأول هو الظاهر خاصة بقرينة ما بعده.

(١٢٣٤) المناقب: ج١ص٢٨٢ فصل في الآيات المنزلة فيهم عليهم السلام.

(١٢٣٥) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٢٩٢-٢٩٣ ب١٧ ح٢٦.

(١٢٣٦) تفسير العياشي: ج١ ص٢٥٣ من سورة النساء ح١٧٦.

عمومية وجوب الإطاعة

مسألة: تجب إطاعة وامتثال أهل البيت عليهم السلام في أوامرهم الوجوبية، إذ قد تكون الأوامر إرشادية أو استحبابية، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قصة زواج امرأة حيث سألته: أتأمرني يا رسول الله، فقال: لا إنما أنا شافع.

كما أنه تجب إطاعتهم حتى في الأوامر العادية إذا قالوها على سبيل الطلب والجدّ، وليس غيرهم كذلك، كما إذا طلبوا من أحد السفر أو فتح محل أو بيع أو شراء أو زواج أو ما أشبه ذلك، فهذا من خصائص الولاية.

عن أبي حمزة عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن حسن الخراساني، فسلم عليه ثم جلس فقال له: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه وأنت تجد من شيعتك مائة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟

فقال له عليه السلام: «اجلس يا خراساني رعى الله حقك» ثم قال: «يا حنفية اسجري التنور»، فسجرته حتى صار كالجمرة وابيض علوه، ثم قال: «يا خراساني قم فاجلس في التنور».

فقال الخراساني: يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعذبني بالنار، أقلني أقالك الله.

قال: «قد أقلتك».

فبينما نحن كذلك إذ أقبل هارون المكي ونعله في سبابته، فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله.

فقال له الصادق عليه السلام: «ألق النعل من يدك واجلس في التنور».

قال: فألقى النعل من سبابته ثم جلس في التنور، وأقبل الإمام يحدث الخراساني حديث خراسان حتى كأنه شاهد لها، ثم قال: «قم يا خراساني وانظر ما في التنور».

قال: فقمت إليه فرأيته متربعا فخرج إلينا وسلم علينا!.

فقال له الإمام عليه السلام: «كم تجد بخراسان مثل هذا»؟

فقلت: والله ولا واحدا.

فقال عليه السلام: «لا والله ولا واحدا، أما إنا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا نحن أعلم بالوقت»[١٢٣٧].

وعن معمر بن خلاد قال: سأل رجل فارسي أبا الحسن الرضا عليه السلام فقال: طاعتكم مفترضة؟ فقال: «نعم» فقال كطاعة علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: «نعم»[١٢٣٨].

وفي زيارة الأئمة بالبقيع عليهم السلام: «وأشهد أنكم الأئمة الراشدون المهتدون وأن طاعتكم مفروضة وأن قولكم الصدق وإنكم دعوتم فلم تجابوا وأمرتم فلم تطاعوا»[١٢٣٩].

وأيضا: «وأعطاكم راية الحق التي من تقدمها ضل ومن تخلف عنها ذل، وفرض طاعتكم ومودتكم على كل أسود وأبيض من عباده»[١٢٤٠].

وأيضاً: «بأبي أنتم وأمي، لقد رضعتم ثدي الإيمان، وربيتم في حجر الإسلام، واصطفاكم الله على الناس، وورثكم علم الكتاب، وعلمكم فصل الخطاب، وأجرى فيكم مواريث النبوة، وفجر بكم ينابيع الحكمة، وألزمكم بحفظ الشريعة، وفرض طاعتكم ومودتكم على الناس»[١٢٤١].

وفي زيارة الجامعة: «وقرن طاعتكم بطاعته»[١٢٤٢].

وإنما ذكرت الزهراء عليها السلام في هذا المقطع من خطبتها الشريفة، الأمر دون النهي لأن الأمر في أمثال هذا المقام يشمل النهي أيضاً، كما ألمعنا إلى ذلك في مثله من البنود السابقة.

قولها عليها السلام: «نأمركم فتأتمرون» أي: تقبلون أوامرنا، فلماذا الآن انتكصتم عن مناصرتنا وعن إطاعتنا؟!

(**١٢٣٧**) المناقب: ج٤ ص٢٣٧ فصل في خرق العادات له عليه السلام.

(**١٢٣٨**) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣٠١ ب١٧ ح٥٤.

(**١٢٣٩**) الدعاء والزيارة للإمام الشيرازيP: ص٥٩٠ زيارة الأئمة عليهم السلام بالبقيع.

(**١٢٤٠**) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٢٠٧-٢٠٨ ب٦ ح٨.

(**١٢٤١**) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٢٠٩ ب٦ ضمن ح٨.

(**١٢٤٢**) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٩٩ ب٤٦ ح١.

محورية أهل البيت عليهم السلام

مسألة: لقد دارت بأهل البيت عليهم السلام رحى الإسلام حدوثاً، وهي دائرة بهم عليهم السلام استمراراً أيضاً، وذلك:

أولاً: لأن البقاء فرع الحدوث، والشيء يعلل بأولى علله أيضاً حقيقة.

وثانياً: لأنهم عليهم السلام علل قريبة للبقاء، كما هم عليهم السلام علل بعيدة أيضاً، فإن وجودهم وكلماتهم ومواقفهم وآثارهم ومناهجهم وما تركوه من تراث فكري وأدبي وجهادي . بل حتى قبورهم ومراقدهم الشريفة . لا تزال هي التي تدور عليها وبها رحى الإسلام، وعلى أي حال لولاهم عليهم السلام لم يقم للإسلام عود ولا استقام له عمود.

نعم إن الإسلام كان دين الأنبياء عليهم السلام قبل رسول الله صلى الله عليه وآله لكن ذلك الإسلام شوّهته الجاهلية حتى لم يبق منه إلا كأنوار الحُباحِب[١٢٤٤] الصغيرة في الليالي المظلمة المدلهمة.

أو يقال: بأن المراد بـ (الإسلام) في كلامها عليها السلام هو الإسلام بالمعنى المصطلح، لا بالمعنى الأعم[١٢٤٥]، فيكون المراد المعنى الحقيقي من (حتى إذا دارت).

قولها عليها السلام: «حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام» هو كناية عن استقرار الأمر للإسلام وانتظام أموره على يد أهل البيت عليهم السلام.

عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: «أما بعد فإن محمدا صلى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه، فلما قبض صلى الله عليه وآله كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام»[١٢٤٦].

(١٢٤٣) وفي بعض النسخ: (حتى دارت لكم بنا رحى الإسلام).

(١٢٤٤) نار الحباحب: النار الخفية يضرب بها المثل في الضعف . والحباحب ما تقدحه حوافر الخيل . وأيضاً: الحباحب وأم حُباحب: ذباب ذو ألوان يطير في الليل، في ذنبه شعاع كالسراج.

(١٢٤٥) أي الذي يطلق على مجموعة من الكليات التي آمن بها الرسل عليهم السلام وتشكل القاسم المشترك مع الدين الإسلامي.

(١٢٤٦) الكافي: ج١ ص٢٢٣ باب أن الأئمة ورثوا علم النبي ح١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوقار، ومروءته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»(١٢٤٧).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «بني الإسلام على خمس: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم شهر رمضان والولاية لنا أهل البيت، فجعل في أربع منها رخصة ولم يجعل في الولاية رخصة، من لم يكن له مال لم تكن عليه الزكاة، ومن لم يكن له مال فليس عليه حج، ومن كان مريضا صلى قاعدا وأفطر شهر رمضان، والولاية صحيحا كان أو مريضا أو ذا مال أو لا مال له فهي لازمة»(١٢٤٨).

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إن الجنة لتشتاق ويشتد ضوؤها بمجيء آل محمد عليهم السلام وشيعتهم، ولو أن عبدا عبد الله بين الركن والمقام حتى تتقطع أوصاله وهو لا يدين الله بحبنا وولايتنا أهل البيت ما قبل الله منه»(١٢٤٩).

ودرّ حلب الأيام

إنهم عليهم السلام وسائط الفيض

مسألة: قد سبق أنهم عليهم السلام وسائط الفيض، والنعم في أصلها وفي مراتبها ودرجاتها وكمها وكيفها تكون بهم وعبرهم، وهذا كله بإرادة الله وأمره. وقد أشارت عليها السلام إلى بعض تلك المراتب حيث قالت: «ودر حلب الأيام» أي بنا.

فإن البركة المعنوية تتوفر بسببهم (عليهم الصلاة والسلام) فقط، والبركة المادية تكون بسبب مناهجهم التي أوجبت وحدة الأمة وتعاونها وتقدمها في مختلف أبعاد الحياة، كما قالت عليها السلام: «وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة»(١٢٥٠).

قولها عليها السلام: «ودر حلب الأيام» درّ اللبن عبارة عن جريانه بكثرة، والحلب: استخراج ما

(١٢٤٧) الكافي: ج٢ ص٤٦ باب نسبة الإسلام ح٢.

(١٢٤٨) وسائل الشيعة: ج١ ص٢٣ ب١ ح٢٤.

(١٢٤٩) دعائم الإسلام: ج١ ص٧٤ ذكر مودة الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله.

(١٢٥٠) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٣ فصل نورد فيه خطبة خطبتها سيدة النساء.

في الضرع من اللبن، أي: بسبب إطاعتكم لأوامرنا ظهرت لكم النتائج الحسنة من الخير والنعمة والألفة وغير ذلك.

ومن هنا فإن ولايتهم (عليهم أفضل الصلاة والسلام) هي الأساس في كل خير، ولم يبعث الله نبياً إلا بها.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيا قط إلا بها»(١٢٥١).

وعن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا»(١٢٥٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم وإنهم ليدينون بولايتنا»(١٢٥٣).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولم يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ووصيه علي عليه السلام »(١٢٥٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عزوجل نصب عليا عليه السلام علما بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنا، ومن أنكره كان كافرا، ومن جهله كان ضالا، ومن عدل بينه وبين غيره كان مشركا، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن جاء بعداوته دخل النار»(١٢٥٥).

وعن أبي يوسف البزاز قال: تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ﴿**فاذكروا آلاء الله**﴾(١٢٥٦)، قال: «أتدري ما آلاء الله»؟ قلت: لا، قال: «هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا»(١٢٥٧).

(**١٢٥١**) الكافي: ج١ ص٤٣٧ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ح٣.

(**١٢٥٢**) الكافي: ج١ ص٤٣٧ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ح٤.

(**١٢٥٣**) الكافي: ج١ ص٤٣٧ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ح٥.

(**١٢٥٤**) الصراط المستقيم: ج١ ص٢٧٨ الباب الثامن فيما جاء في تعيينه.

(**١٢٥٥**) بحار الأنوار: ج٣٨ ص١١٩ ب٦١ ح٦٣.

(**١٢٥٦**) سورة الأعراف: ٦٩.

(**١٢٥٧**) الكافي: ج١ ص٢١٧ باب أن النعمة التي ذكرها الله عزوجل في كتابه الأئمة عليهم السلام ح٣.

وعن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[١٢٥٨]، قال: «تفسيرها في بطن القرآن يعني من يكفر بولاية علي عليه السلام وعلي هو الإيمان»[١٢٥٩].

وعن زرارة قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال لي رجل من أهل الكوفة: سله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «سلوني عما شئتم ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به» قال: فسألته، فقال: «إنه ليس أحد عنده علم شيء إلا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاؤوا فوالله ليأتين الأمر هنا وأشار بيده إلى صدره»[١٢٦٠].

بحث حول الزمن

ولا بأس ههنا بالاستطراد والإشارة، بمناسبة ذكرها عليهم السلام للأيام، إلى بحث عابر حول اليوم والساعة والزمن بشكل عام، فنقول:

لقد اختلفوا في الزمان من قديم الأيام أنه ما هو؟

فهل هو مقدار حركة الفلك؟

أم هو أمر اعتباري؟

أم غير ذلك؟

وقد عده بعضهم: البعد الرابع للجسم.

وليس الكلام الآن في ذلك، بل الكلام في أنه هل الساعة[١٢٦١] . وهي من مصاديق الزمن . خارجة عن الجسم، أو داخلة فيه، أو شيء ثالث لم يصل إليه علم البشر؟

فأنصار الأول يقولون: إنه شيء حقيقي لا يختلف فيه نفران يكونان في مكان واحد فرضاً، مثله مثل المكان الذي هو كذلك، وإنما الاختلاف بالحس . بالطول والقصر في المريض والصحيح ونحوهما . وإن كان الواقع شيئاً واحداً مثل يدي الإنسان يدخلهما في إناء ماء فاتر بعد أن يخرج إحدى يديه من ماء حار والأخرى من ماء بارد، حيث تحسّ اليد الأولى

(**١٢٥٨**) سورة المائدة: ٥.

(**١٢٥٩**) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٣٦٩ ب١٦ ح١٤.

(**١٢٦٠**) بصائر الدرجات: ص٥١٨-٥١٩ ب١٩ ح١.

(**١٢٦١**) وقد قسموها إلى المستوية والمعوجة، وبمعنى جزء من الزمان.

بالبرودة والثانية بالحرارة مع أن الماء واحد، فالاختلاف ليس بالحقيقة وإنما هو في الإحساس، وكذلك اثنان يشاهدان شيئاً واحداً أحدهما يراه شبحاً لضعف عينه والثاني يراه بكامل هيئته لقوتها، وهكذا الحال في كل الحواس الخمس، بل والروح أيضاً حيث إن أحدهما يفرح والآخر يترح بشيء واحد، بل إن هذا يأتي أيضاً في نفر واحد في حالين ولو متقاربي الزمان، فالجائع يلتذ بالطعام التذاذا كبيراً، وبعد شبعه لا يلتذ بنفس ذلك الطعام بل ربما اشمأزّ منه.

وأنصار الثاني يقولون: إن الساعة شيء في داخل الإنسان، فإذا أسرعت في الحركة رأى الإنسان الزمان قصيراً، وإذا أبطأت رآه طويلاً، فالمريض والصحيح والصغير والكبير ومن في الترح ومن في الفرح ومن ينتظر ومن لا ينتظر يرون الزمان بشكل متعاكس طولاً وقصراً، حيث إن المريض يرى أن ليله لا ينقضي بخلاف الصحيح وهكذا.

وبعض المكاشفات عن حال الأموات دل على نفس هذه الحالة فيهم أيضاً، حيث إن الميت الذي كان في السعادة مرت عليه ألف سنة وكأنها ساعة، والذي كان في الشقاء مرّت عليه الساعة وكأنها ألف سنة.

ولعل ما ورد من الدعاء: «يا مبدل الزمان»[١٢٦٢] يكون إشارة إلى ذلك، وإن كان ظاهره غيره من تبديله حالة إلى حالة.

ونحوه قوله عليه السلام: «إذا تغير السلطان تغير الزمان» [١٢٦٣].

وقوله عليه السلام: «إذا فسد الزمان ساد اللئام» [١٢٦٤].

وما ورد من أن الله يقضي بسرعة الفلك في ظل حكومة الجائر وبطوله في ظل حكومة العادل، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عزوجل جعل لمن جعل له سلطانا مدة من ليالي وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عزوجل صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم وشهورهم، وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عزوجل صاحب الفلك فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيامهم وسنيهم وشهورهم، وقد وفى تبارك وتعالى لهم بعدد الليالي والأيام والشهور»[١٢٦٥].

(١٢٦٢) مهج الدعوات: ص٩٠-٩١ ومن ذلك دعاء النبي صلى الله عليه وآله وهو دعاء الفرج.

(١٢٦٣) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٨٧ الفصل العاشر ح١٤٠.

(١٢٦٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ج٣٤٧ ذم الحكومة الجائر ح٨٠٠٩.

(١٢٦٥) بحار الأنوار: ج٤ ص١٠٣ ب٣ ح١٦.

ومنه يعرف معنى من معاني قول رسول الله ﷺ :«لا تعادوا الأيام فتعاديكم» [١٢٦٦] حيث إن عداوة الأيام بمعنى ما في الأيام على سبيل المجاز، فإن نفس الأيام لا تعادى، بل توجب انعكاس العداوة إلى النفس، فالساعة النفسية تمر ثقيلة كالذي في مرض أو ما أشبه ذلك، هذا وقد ورد تأويل الرواية بالمعصومين عليهم السلام.

عن الصقر بن أبي دلف عن الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام قال: قلت: يا سيدي حديث يروى عن النبي ﷺ لا أعرف معناه، فقال: «وما هو»؟

قلت: قوله ﷺ: «لا تعادوا الأيام فتعاديكم» ما معناه؟

فقال: «نعم، الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله ﷺ والأحد اسم أمير المؤمنين عليه السلام والاثنين الحسن والحسين عليهما السلام والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام والأربعاء موسى ابن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا عليهم السلام والخميس ابني الحسن عليه السلام والجمعة ابن ابني عليه السلام وإليه يجتمع عصابة الحق وهو الذي يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، وهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة» [١٢٦٧].

وعن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه وعلم تغير الزمان وحدثانه» [١٢٦٨].

(**١٢٦٦**) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٧٧ ب١١ ح١٤٨٠٤.

(**١٢٦٧**) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٤١٣-٤١٤ ب٤٧ ح٣.

(**١٢٦٨**) الكافي: ج١ ص٢٢٩ باب أنه لم يجمع القرآن كله ح٣.

إخضاع الإعلام المضل

مسألة: يجب إخضاع الشرك وإخماده.

وربما يستفاد من كلامها عليها السلام هذا أن من مقاصد الشريعة (ومن الواجبات): إخضاع الإعلام الضال والمضل والدعايات المنحرفة، فإنها من مصاديق نعرة الشرك، فإن الشرك قبل الإسلام كانت له نعرة[١٢٧٠] وجلبة وضوضاء وهدير وصخب يغطّي الآفاق وفي مختلف أبعاد الحياة، وإنما أخضعها رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أسلم الناس ولحق الشرك بزوايا الخمول.

فالواجب هو إخماد الشرك كلياً، فإن لم يمكن فلا أقل من إخضاعه وإسكات نعرته وصرخته، فإذا لم يتمكن الإنسان من إخماده وتمكن من إخضاع نعرته وجب عليه ذلك، فإن الشرك كلما كان أقل وكلما كان علو صوته وارتفاعه أخف كان أفضل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «وأكبر الكبائر الشرك بالله» [١٢٧١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله» إلى أن قال:«وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[١٢٧٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوذ في كل يوم من ست، من الشك والشرك والحمية والغضب والبغي والحسد» [١٢٧٣].

وعن أبي محمد عليه السلام قال: «الشرك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة» [١٢٧٤].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «أن رجلا من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أي الأعمال

(**١٢٦٩**) وفي بعض النسخ: ثغرة الشرك.

(**١٢٧٠**) نعير: صاح وصوّت بخيشومه، والناعر: الصائح، وامرأة نعّارة أي: صخّابة وفحاشة.

(**١٢٧١**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٣٥٥ ب٤٦ ضمن ح١٣٢٤٤.

(**١٢٧٢**) بحار الأنوار: ج٧٦ ص١١٣ ب٨٣ ح١٥.

(**١٢٧٣**) بحار الأنوار: ج٦٩ ص١٢٦ ب١٠٠ ح٧.

(**١٢٧٤**) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٢٩٨-٢٩٩ ب١١٦ ح٣١.

أبغض إلى الله؟ فقال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: قطيعة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف» (١٢٧٥).

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء» قال: «يقول الله عزوجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم» (١٢٧٦).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «قال الله عزوجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء فهو للذي أشرك» (١٢٧٧).

وعن المفضل بن عمر الجعفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «فضل أمير المؤمنين ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله أخذ به، وما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله ولمحمد الفضل على جميع من خلق الله، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك جرى على الأئمة الهدى واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها والحجة البالغة من فوق الأرض ومن تحت الثرى» (١٢٧٨).

وفي بعض النسخ من الخطبة الشريفة: ثغرة، أي «وخضعت ثغرة الشرك» (وجمعها ثغور) وهي بمعنى: المنفذ والمكان الذي يخاف منه هجوم العدو، أي قد خضعت الثغرة التي كان منها يدخل الشرك.

أو بمعنى نقرة النحر بين الترقوتين، فخضوعها كناية عن سقوط الشرك كالحيوان الساقط على الأرض.

وفي بعضها: (نعرة) وهي إما تقرأ (نُعَرَة) على وزن (هُمَزَة) وكذلك (نُعْرة)، ومعناها:

(١٢٧٥) المحاسن: ج١ ص٢٩٥ ب٤٨ ح٤٦٠.

(١٢٧٦) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٢٦٦ ب١١٦ ضمن ح١.

(١٢٧٧) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٢٢ ب٥٤.

(١٢٧٨) بصائر الدرجات: ص٢٠٠-٢٠١ ب٩ ح٣.

الخيشوم والكبر والخيلاء.

أو تقرأ (نَعْرة) فتكون بمعنى فَوْرة الشرك وفورانه، أو بمعنى: صرخة وهو ما مشينا عليه.

وغير خفي أن كلامهم (عليهم الصلاة والسلام أجمعين) يوزن بالمثاقيل، فإن كل كلمة منه يكمن ورائها سر في انتخابها دون غيرها من الكلمات..

وههنا نجدها (عليها الصلاة والسلام) تقول: «وخضعت ثغرة الشرك» ولم تقل أزيلت أو أعدمت بل خضعت فحسب.

وهكذا الجمل اللاحقة «وسكنت فورة الإفك» و«خمدت نيران الكفر» فإن خمدت النار، بمعنى سكن لهبها ولم يطفأ جمرها..

وما أدقه من تعبير ومن وصف لحالة الكفار والمشركين عندئذ إذ إنهم لم يفنوا بل استسلموا وخضعوا.

وسكنت فورة الإفك

حرمة الإفك

مسألة: يحرم الإفك ويجب إسكان فورته، فإن الإفك هو الكذب وهو محرّم بمختلف أقسامه، سواء كان كذباً في التوحيد أم النبوة أم المعاد أم غير ذلك، وسواء كان كذباً في الأحكام والأخلاق والآداب ونحوها أم في الشؤون الشخصية، نعم لحرمته مراتب ودرجات.

وإذا لم يتمكن الإنسان من إخماد أصل الإفك وتمكن من إخماد فورته بأن لا يكون له اشتعال وجولان وجب بالقدر الممكن.

قولها عليها السلام: «وسكنت فورة الإفك»، فورته: غليانه، فإن الجاهلية كانت مسرحاً للكذب في العقيدة والعمل، ولما جاء الإسلام تبدل الكذب إلى الصدق في كل شيء.

روي عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِفْكٌ افْتَرَاهُ**﴾[1279] قال: «الإفك الكذب»[1280].

(**١٢٧٩**) سورة الفرقان: ٤.

(**١٢٨٠**) بحار الأنوار: ج٩ ص٢٢٨ ب١ ضمن ح١١٥.

وفي زيارة لمولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه): «السلام عليك يا داحض الإفك ومبطل الشرك ومزيل الشك»(١٢٨١).

وفي الغرر: «أقبح شيء الإفك»(١٢٨٢).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقا، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذابا»(١٢٨٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله عزوجل جعل للشر أقفالا وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»(١٢٨٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»(١٢٨٥).

وقال عليه السلام: «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار»(١٢٨٦).

وخمدت نيران الكفر

الكفر ونيرانه

مسألة: يجب إخماد نيران الكفر.

كما أن النار المادية تحرق الأجسام كذلك الكفر هو نار تحرق الماديات والمعنويات، فإن الكفر يسبب تكالب الناس على المادة ويوجب إشعال الحروب والثورات ويؤدي إلى القتل وسفك الدماء وما أشبه ذلك، فالواجب على الإنسان إخماد نيرانه، وإذا تمكن من إزالة أصل

(**١٢٨١**) بحار الأنوار: ج٩٧ ص٣٣١ ب٤ ح٣٠.

(**١٢٨٢**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢١٩ ذم الكذب ح٤٣٦٧.

(**١٢٨٣**) الكافي: ج٢ ص٣٣٨ باب الكذب ح٢.

(**١٢٨٤**) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢٤٤ ب١٣٨ ح١٦٢٠٦.

(**١٢٨٥**) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٢٤٧ ب١١٤ ح٨.

(**١٢٨٦**) بحار الأنوار: ج٦٩ ص٢٦٣ ب١١٤ ح٤٨.

الكفر في مكان وجب، وإذا لم يتمكن وتمكن من إخماد نيرانه . ولو بقدر . وجب حسب القدرة.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً**﴾(١٢٨٧).

قولها عليها السلام: «وخمدت نيران الكفر» خمود النار عبارة عن سكون لهيبها، أي: أن حروب الجاهلية خمدت ببركة الإسلام ونشره.

فمعنى (نيران الكفر) إما النيران التي ولّدها الكفر، فتكون الحروب إحدى الأمثلة والمصاديق، أو معناها (نيران هي الكفر) فالمعنى خمود الكفر نفسه، وذلك نظراً لكون الإضافة لامية أو بيانية.

وكان من إرهاصات ولادة النبي صلى الله عليه وآله أن خمدت نيران فارس، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أصبحت الأصنام على وجوهها، وارتجس إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة، وغاضت بحيرة ساوة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ولم يبق سرير لملك إلا أصبح منكوسا والملك مخرسا لايتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها»(١٢٨٨).

وعن يونس بن عبد الرحمن: أن الرضا عليه السلام كان يأمر بالدعاء لصاحب الأمر بهذا الدعاء، إلى أن يقول: «وجدد به ما امتحى من دينك، وبدل من حكمك حتى تعيد دينك به وعلى يديه جديدا غضا محضا صحيحا لا عوج فيه ولا بدعة معه وحتى تنير بعدله ظلم الجور وتطفئ به نيران الكفر»(١٢٨٩).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل»(١٢٩٠).

وعن أبي عمرو الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزوجل.

قال: «الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه: فمنها كفر الجحود، والجحود على

(١٢٨٧) سورة النساء: ١٣٦.

(١٢٨٨) المناقب: ج١ ص٣٠ فصل في مولده عليه السلام.

(١٢٨٩) بحار الأنوار: ج٩٢ ص٣٣١ ب١١٥ ح٤.

(١٢٩٠) الكافي: ج١ ص٢٨ كتاب العقل والجهل ح٣٣.

وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النعم، فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية وهو قول من يقول لا رب ولا جنة ولا نار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدهرية وهم الذين يقولون: ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾[١٢٩١]، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشيء مما يقولون، قال الله عزوجل: ﴿**إن هم إلا يظنون**﴾[١٢٩٢] أن ذلك كما يقولون، وقال: ﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾[١٢٩٣] يعني بتوحيد الله تعالى، فهذا أحد وجوه الكفر.

وأما الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عزوجل: ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا**﴾[١٢٩٤]، وقال الله عزوجل: ﴿**وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**﴾[١٢٩٥]، فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر: كفر النعم، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام: ﴿**هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم**﴾[١٢٩٦]، وقال: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد**﴾[١٢٩٧]، وقال: ﴿**فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون**﴾[١٢٩٨].

والوجه الرابع من الكفر: ترك ما أمر الله عزوجل به، وهو قول الله عزوجل: ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ۞ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم**﴾[١٢٩٩]، فكفرهم بترك ما

(**١٢٩١**) سورة الجاثية: ٢٤.

(**١٢٩٢**) سورة الجاثية: ٢٤.

(**١٢٩٣**) سورة البقرة: ٦.

(**١٢٩٤**) سورة النمل: ١٤.

(**١٢٩٥**) سورة البقرة: ٨٩.

(**١٢٩٦**) سورة النمل: ٤٠.

(**١٢٩٧**) سورة إبراهيم: ٧.

(**١٢٩٨**) سورة البقرة: ١٥٢.

(**١٢٩٩**) سورة البقرة: ٨٤-٨٥.

أمر الله عزوجل به ونسبهم إلى الإيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال: ﴿**فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون**﴾[١٣٠٠].

والوجه الخامس من الكفر: كفر البراءة، وذلك قوله عزوجل يحكي قول إبراهيم عليه السلام: ﴿**كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾[١٣٠١]، يعني تبرأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس يوم القيامة: ﴿**إني كفرت بما أشركتمون من قبل**﴾[١٣٠٢]، وقال: ﴿**إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا**﴾[١٣٠٣]، يعني يتبرأ بعضكم من بعض»[١٣٠٤].

وهدأت دعوة الهرج

حرمة الهرج

مسألتان: يحرم الهرج ويجب تهدئة الدعوة له.

وهو عبارة عن الفتنة واختلاط الأمور، وتداخل الحق والباطل، والصحيح والفاسد، والصالح والطالح، ونحو ذلك.

قال الفيروزآبادي: (هرج الناس يهرجون: وقعوا في فتنة واختلاط وقتل)[١٣٠٥].

وقالت عليها السلام في خطبتها لنساء المهاجرين والأنصار وذلك لما اشتد بها العلة وجئن لعيادتها: «ثم طيبوا عن أنفسكم أنفسا وطأمنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا وزرعكم حصيدا، فيا حسرتى لكم وأنى بكم وقد

(**١٣٠٠**) سورة البقرة: ٨٥.

(**١٣٠١**) سورة الممتحنة: ٤.

(**١٣٠٢**) سورة إبراهيم: ٢٢.

(**١٣٠٣**) سورة العنكبوت: ٢٥.

(**١٣٠٤**) الكافي: ج٢ ص٣٨٩-٣٩٢ باب وجوه الكفر ح١.

(**١٣٠٥**) بحار الأنوار: ج٤٤ ص٨٧ ب٢٠.

عميت قلوبكم عليكم» الخطبة[١٣٠٦].

وفي منية المريد عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «اكتب وبث علمك في إخوانك فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم»[١٣٠٧].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم الحق منا، إذا صارت الدنيا هرجا مرجا، وهو التاسع من صلب الحسين»[١٣٠٨].

وقال النبي صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة عليها السلام: «سوف يخرج الله من صلب الحسين تسعة من الأئمة أمناء معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجا ومرجا، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، و أغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيرا ولا صغير يوقر كبيرا، فيبعث الله عزوجل عند ذلك مهدينا، التاسع من صلب الحسين، يفتح حصون الضلالة وقلوبا غفلاء، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا»[١٣٠٩].

قولها عليها السلام: «وهدأت دعوة الهرج» وهذا مما يشمل عامة الناس في حال عدم الأمن والسلامة.

وهدأت أي: سكنت، وقد سبق أنه لعلها (عليها الصلاة والسلام) أشارت بهذه الجمل إلى أن شيئاً من تلك الحالة الجاهلية كانت باقية فيهم، وذلك لتعبيرها (صلوات الله عليها) بالخضوع والسكون ونحوهما.

مواصفات المجتمع الجاهلي

مسألة: يلزم الاجتناب عن سيئات المجتمع الجاهلي، حيث تشير الصديقة الكبرى عليها السلام في هذا المقطع والذي سبقه إلى مجموعة من مواصفات المجتمع الجاهلي هي:

١: الشرك.

(**١٣٠٦**) معاني الأخبار: ص٣٥٤-٣٥٥ باب معاني قول فاطمة عليها السلام ح١.

(**١٣٠٧**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٨١-٨٢ ب٨ ح٣٣٢٦٣.

(**١٣٠٨**) الصراط المستقيم: ج٢ ص١١٦ ف٣.

(**١٣٠٩**) بحار الأنوار: ج٣٦ ص٣٠٧-٣٠٨ ب٤١ ح١٤٦.

٢: الإفك، وهو الكذب.

٣: الكفر.

٤: الهرج.

وهي مواصفات ترتبط بالعقيدة والسلوك معاً، وتكشف الحالة الفردية والحالة الاجتماعية للناس.

وبعبارة أخرى: ذكرت الصديقة الطاهرة عليها السلام علاقتهم بالخالق وعلاقتهم بالخلق، ففي علاقتهم بالخالق كانوا مشركين وكفاراً، وفي العلاقة بالخلق كان الكذب هو الحاكم في طريقة تعامل بعضهم مع بعض، وكان الهرج هو السيد.

وهي صفات مترابطة يؤثر بعضها في البعض الآخر، فإن سيادة الكذب المتبادل في المجتمع من العلل المعدة للهرج (وهو الفتنة، واختلاط الأمور، والقتل) وإن من يشرك بالخالق غيره ـ وهو من أكبر الأكاذيب ـ يهون عليه الكذب على المخلوق من أصدقائه ومجتمعه.

في دعائم الإسلام: عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من ولد آدم وآدم من طين، ألا إن خير عباد الله عند الله أتقاكم، إن العربية ليست بأب والد ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه، ألا إن كل دم في الجاهلية أو إحنة فهي تحت قدمي إلى يوم القيامة»[١٣١٠].

(**١٣١٠**) دعائم الإسلام: ج٢ ص١٩٨-١٩٩ ف٢ ح٧٢٩.

من مسؤوليات المؤمن

مسألة: هنالك أربع مسؤوليات ـ في قبال ما ورد في المسألة السابقة ـ تقع على عاتق كل مصلح، وهي:

١: التصدي للشرك، الجلي والخفي منه.

٢: التصدي للإفك والكذب.

٣: التصدي للكفر.

٤: التصدي للهرج والفتنة.

فالواجب على كل داعية أن يضع التصدي لهذه الأربعة نصب عينيه دائماً.

وقد أشارت الصديقة الطاهرة عليها السلام في هذا المقطع إلى سبعة أدوار ومهام:

١: دارت بهم رحى الإسلام.

٢: در بهم حلب الأيام، وهذا من مسؤوليات كل مصلح أن يسعى لتقدم وازدهار أمته.

٣: خضعت بهم نعرة الشرك.

٤: سكنت بهم فورة الإفك.

٥: خمدت بهم نيران الكفر.

٦: هدأت بهم دعوة الهرج.

٧: استوسق بهم نظام الدين، على ما سيأتي.

المصلح ودار الدنيا

مسألة: على المصلح أن يضع في باله أن دار الدنيا حيث كانت دار امتحان وابتلاء، وأسباب ومسببات، وقانون: ﴿**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء**﴾[١٣١١]، وقانون: ﴿**وهديناه النجدين**﴾[١٣١٢]، لذلك ليس من الممكن عادة أن يقضي الإنسان في فترة قصيرة على كل جذور الفساد (العقيدي والعملي) سواء حكم دولة أو أدار عائلة أو أسس منظمة أو نقابة أو حزباً.

(**١٣١١**) سورة الإسراء: ٢٠.

(**١٣١٢**) سورة البلد: ١٠.

وإذا عرف الإنسان ذلك تحلى بالصبر، ولم يمنعه من القيام بواجباته وجود بعض الثغرات والنواقص والأخطاء التي لا يمكنه تجنبها، فإن البعض لا يسعى لقيام دولة إسلامية متعللاً بأنها ربما تقع فيما بعد بأيد غير أمينة، أو لأننا ربما لا نستطيع من تطبيق الإسلام كاملاً، أو ما أشبه ذلك.

ولكنه يقال: أو ليس الرسول الأعظم ﷺ قد أقام دولة الإسلام وهو يعلم بـ﴿**أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم**﴾(١٣١٣)؟

أو ليس قد أقامها وهو يعلم بما قام وسيقوم به أمثال خالد في تعديه على أهل اليمن؟

إلى غير ذلك.

ومن البيّن الفرق بين التقصير في التصدي للمنكرات والنواقص، وبين اليأس عن العمل لوجود عدد منها قهراً ودون مقدرة للمرء على القضاء عليها.

قال تعالى: ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾(١٣١٤).

وقال سبحانه: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾(١٣١٥).

وقال تعالى: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون**﴾(١٣١٦).

وقال سبحانه: ﴿**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين**﴾(١٣١٧).

وقال تعالى: ﴿**ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لايبصرون**﴾(١٣١٨).

(**١٣١٣**) سورة آل عمران: ١٤٤.

(**١٣١٤**) سورة الغاشية: ٢٢.

(**١٣١٥**) سورة القصص: ٥٦.

(**١٣١٦**) سورة يونس: ٤٢.

(**١٣١٧**) سورة يونس: ٤٠.

(**١٣١٨**) سورة يونس: ٤٣.

استيساق الدين بالرسول صلى الله عليه وآله

مسألتان: يجب أن يستوسق نظام الدين، ويجب اتباع أهل البيت عليهم السلام حتى ينتظم ويستوسق أمره، فإن كل دعوى للاستيساق بواسطة غيرهم باطلة، وهي ككل دعوة باستيساق الأمر من دون الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم.

والاستيساق بأن تكون شتى الأمور والقضايا الدينية منتظمة ومجتمعة ومتكاملة وعلى وئام تام، فإن الدين جملة واحدة لا يصلح بعضها إلا ببعض، وكل نقص في هذا النظام خبال للإنسان وإنحراف عن الإنسانية، فاللازم أن يهتم الإنسان حتى يستوسق هذا النظام بجميع أجزائه وخصوصياته.

قال تعالى: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون**﴾[١٣١٩].

وقال سبحانه: ﴿**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً**﴾[١٣٢٠].

وقولها عليها السلام: «واستوسق نظام الدين» بهم عليهم السلام في كل بعديه:

١: النظري عقيدة ومنهاجاً.

٢: والعملي: سلوكاً وممارسة.

كما قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[١٣٢١].

وقال صلى الله عليه وآله: «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»[١٣٢٢]، إلى غير ذلك.

عدم الإفراط والتفريط

(**١٣١٩**) سورة البقرة: ٨٥.

(**١٣٢٠**) سورة النساء: ١٥٠.

(**١٣٢١**) سورة المائدة: ٣.

(**١٣٢٢**) إقبال الأعمال: ص٤٦٧ فصل فيما نذكره في جواب من سأل عما في يوم الغدير من الفضل...

مسألة: من مقتضيات استيساق نظام الدين، عدم الإفراط أو التفريط.

فإن من ترهبن أو أسرف أو ما أشبه ليس نظام دينه مستوسقاً ومتسقاً.

قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾[١٣٢٣].

وعن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[١٣٢٤] فقال: «نحن الأمة الوسطى ونحن شهداء لله على خلقه وحججه في أرضه»[١٣٢٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ قال أبوجعفر عليه السلام: «منا شهيد على كل زمان، علي بن أبي طالب عليه السلام في زمانه، والحسن عليه السلام في زمانه، والحسين عليه السلام في زمانه، وكل من يدعو منا إلى أمر الله»[١٣٢٦].

وعن عمر بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ قال: «هم الأئمة عليهم السلام »[١٣٢٧].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «نحن نمط الحجاز» فقلت: وما نمط الحجاز؟ قال: «أوسط الأنماط، إن الله يقول: ﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾ قال ثم قال: إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر»[١٣٢٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله لم يكتب علينا الرهبانية إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله»[١٣٢٩].

وفي الحديث: «لا رهبانية في الإسلام»[١٣٣٠].

(**١٣٢٣**) سورة البقرة: ١٤٣.

(**١٣٢٤**) سورة البقرة: ١٤٣.

(**١٣٢٥**) تفسير العياشي: ج١ ص٦٢ من سورة البقرة.

(**١٣٢٦**) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣٣٧ ب٢٠ ح٧.

(**١٣٢٧**) بحار الأنوار: ج٢٣ ص٣٤٣ ب٢٠ ح٢٨.

(**١٣٢٨**) تفسير العياشي: ج١ ص٦٣ من سورة البقرة: ح١١١.

(**١٣٢٩**) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٠١ ب٦٠ ضمن ح٢٣٠٣.

(**١٣٣٠**) دعائم الإسلام: ج٢ ص١٩٣ فصل١ ضمن ح٧٠١.

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس في أمتي رهبانية ولاسياحة ولا زم يعني سكوت»[١٣٣١].

فأنّى حرتم[١٣٣٢] بعد البيان

الحيرة والشك من المحرمات

مسألة: يحرم الحيرة بعد البيان ووصول الحجة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم عليهم السلام، فإنه من الحيرة والشك في أصول الدين وما يرتبط بأصول الدين، ومن الواضح أن ذلك من أشد المحرمات.

أما الحيرة في فروع الدين فإنها وإن كانت محرمة، إلا أنها ليست بتلك المنزلة، فالفرق بينهما هو الفرق بين أصول الدين وفروعه، وقد قال أمير المؤمنين علي (عليه الصلاة والسلام): «لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا»[١٣٣٣].

والريب هو: أول مراتب الشك، والشك هو عبارة عن: الإيغال في الترديد، ومن أوغل في الترديد لابد وأن ينتهي به الأمر إلى الكفر.

لا يقال: الحيرة والشك أمر غير اختياري.

إذ يقال: كثير من موارده اختياري، والكثير منها اختياري باختيارية المقدمات وبعد ذلك لابد من صرف الذهن ورفع الشك والحيرة.

وربما يكون (حرتم) في قولها عليها السلام: «فأنى حرتم بعد البيان» إشارة إلى الحيرة العملية، أي إنما سلكتم سلوك الحائر وإن لم تكونوا حيارى حقيقة.

هذا كله على نسخة (حرتم)، وفي بعض النسخ (جُرتم) من الجور أي كيف ولماذا جرتم وظلمتمونا بعد أن بان حقنا لكم؟

عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام أخبره أني شاك وقد قال إبراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى وأني أحب أن تريني شيئا، فكتب عليه السلام: «إن إبراهيم

(**١٣٣١**) بحار الأنوار: ج٦٧ ص١١٥ ب٥١ ح٢.

(**١٣٣٢**) وفي بعض النسخ: حزتم، وفي بعضها: جرتم.

(**١٣٣٣**) الكافي: ج٢ ص٣٩٩ باب الشك ح٢.

كان مؤمنا وأحب أن يزداد إيمانا وأنت شاك والشاك لا خير فيه» وكتب: «إنما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك، وكتب إن الله عزوجل يقول: ﴿**وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**﴾[١٣٣٤] قال: نزلت في الشاك»[١٣٣٥].

وعن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا عن يساره وزرارة عن يمينه فدخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شك في الله؟ فقال: «كافر يا أبا محمد» قال: فشك في رسول الله؟ فقال: «كافر» قال: ثم التفت إلى زرارة فقال: «إنما يكفر إذا جحد»[١٣٣٦].

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾[١٣٣٧]، قال: «بشك»[١٣٣٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الشك والمعصية في النار ليسا منا ولا إلينا»[١٣٣٩].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الريب كفر»[١٣٤٠].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا ينفع مع الشك والجحود عمل»[١٣٤١].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «من شك أو ظن فأقام على أحدهما أحبط الله عمله إن حجة الله هي الحجة الواضحة»[١٣٤٢].

وعن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: قلت: إنا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحق فهل ينفعه ذلك شيئا؟ فقال: «يا محمد إنما مثل أهل البيت مثل أهل بيت كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلا دعا فأجيب، وإن رجلا منهم اجتهد أربعين ليلة ثم دعا فلم يستجب له، فأتى عيسى ابن مريم عليه السلام يشكوا إليه

(**١٣٣٤**) سورة الأعراف: ١٠٢.

(**١٣٣٥**) الكافي: ج٢ ص٣٩٩ باب الشك ح١.

(**١٣٣٦**) وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٣٥٦ ب١٠ ح٣٤٩٥٩.

(**١٣٣٧**) سورة الأنعام: ٨٢.

(**١٣٣٨**) الكافي: ج٢ ص٣٩٩ باب الشك ح٤.

(**١٣٣٩**) الكافي: ج٢ ص٤٠٠ باب الشك ح٥.

(**١٣٤٠**) مستدرك الوسائل: ج١٨ ص١٧٩ ب٨ ح٢٢٤٤١.

(**١٣٤١**) الكافي: ج٢ ص٤٠٠ باب الشك ح٧.

(**١٣٤٢**) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٥٦ ب١٢ ح٣٣٤٧٠.

ما هو فيه ويسأله الدعاء له، قال: فتطهر عيسى وصلى ركعتين ثم دعا الله عزوجل، فأوحى الله عز وجل إليه: يا عيسى إن عبدي أتاني من غير الباب الذي أوتى منه، إنه دعاني وفي قلبه شك منك، فلو دعاني حتى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له، قال: فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال: تدعو ربك وأنت في شك من نبيه، فقال: يا روح الله وكلمته قد كان والله ما قلت، فادع الله لي أن يذهب به عني، قال: فدعا له عيسى عليه السلام فتاب الله عليه وقبل منه وصار في حد أهل بيته»(١٣٤٣).

وفي تفسير العياشي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم**﴾(١٣٤٤). يقول: «شكا إلى شكهم»(١٣٤٥).

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «إن الله عزوجل جعل عليا علما بينه وبين خلقه ليس بينه وبينهم علم غيره، فمن تبعه كان مؤمنا ومن جحده كان كافرا، ومن شك فيه كان مشركا»(١٣٤٦).

وروي: «إذا خطر ببالك في عظمته وجبروته أو بعض صفاته شيء من الأشياء فقل: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين، إذا قلت ذلك عدت إلى محض الإيمان»(١٣٤٧).

(**١٣٤٣**) بحار الأنوار: ج١٤ ص٢٧٨-٢٧٩ ب٢٠ ح١٠.

(**١٣٤٤**) سورة التوبة: ١٢٥.

(**١٣٤٥**) تفسير العياشي: ج٢ ص١١٨ من سورة البراءة ح١٦٤.

(**١٣٤٦**) بحار الأنوار: ج٦٩ ص١٢٧ ب١٠٠ ح١٢.

(**١٣٤٧**) فقه الرضا عليه السلام: ص٣٨٥ ب١٠٨.

الجهر بالحق

مسألة: يحرم الإسرار بعد الإعلان في الجملة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم عليهم السلام.

فإن الواجب على الإنسان أن يصدع بالحق إذا لم تكن هناك تقية ملزمة، وهؤلاء كانوا صادعين بالحق ثم أسروا طمعاً في الدنيا، ولم تكن تقية توجب ذلك، لأنه كانت فيهم القوة والمنعة والعدد والعدة، وإنما رغبوا إلى الدنيا، ولذا أسرّوا الواقع وأعلنوا نقيضه.

ثم إنه حتى لو لم تكن فيهم القوة والمنعة والعدد والعدة، فإن التقية كانت منهم محرمة مع وجود أمر الإمام عليه السلام المفترض الطاعة بعدمها وبضرورة رفع الراية والمطالبة بالحق، ولذلك كان منهما عليهما السلام العتاب أيضاً[١٣٤٨].

ثم إنه لا كلام في أن هذا (الإسرار) محرم مطلقاً[١٣٤٩]، إنما الكلام في أن ذكرها عليها السلام الإسرار بعد الإعلان هل هو من باب كونه مصداقاً من مصاديقه الخارجية التي وقعت إذ كانوا كذلك، أم تخصيصه بالذكر لأنه أشد حرمة من الإسرار بما هو هو؟

لا يبعد الثاني، خاصة في مثل المقام.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**﴾[١٣٥٠].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كتم شهادة أو شهد بها ليهدر لها بها دم امرئ مسلم أو ليزوي مال امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه ظلمة مد البصر وفي وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه ونسبه، ومن شهد شهادة حق ليحيي بها حق امرئ مسلم أتى يوم القيامة ولوجهه نور مد البصر تعرفه الخلائق باسمه ونسبه» ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «ألا ترى أن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وأقيموا الشهادة لله**﴾[١٣٥١]»[١٣٥٢].

(**١٣٤٨**) أي عتابها عليها السلام كان على الإسرار رغم القوة، وعلى الإسرار رغم وجود أمر الإمام عليه السلام المفترض الطاعة بالجهر.

(**١٣٤٩**) أي سواء كان قبل الإعلان أو بعده.

(**١٣٥٠**) سورة البقرة: ٢٨٣.

(**١٣٥١**) سورة الطلاق: ٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عليكم بلزوم العفة والأمانة، فإنهما أشرف ما أسررتم وأحسن ما أعلنتم وأفضل ما ادخرتم»(١٣٥٣).

وقال عليه السلام: «إن التقوى منتهى رضى الله من عباده وحاجته من خلقه، فاتقوا الله الذي إن أسررتم علمه وإن أعلنتم كتبه»(١٣٥٤).

ونكصتم بعد الإقدام

النكوص والتراجع

مسألة: يحرم النكص بعد الإقدام في الجملة، خاصة فيما يرتبط بهم وبحقوقهم عليهم السلام.

فإن اللازم على الإنسان أن يكون مقداماً، لا أن يكون ناكصاً على عقبيه.

النكوص: الإحجام والرجوع عن الشيء، نكص أي رجع القهقرى.

وهؤلاء توقّفوا عن التقدم بل رجعوا القهقرى، فبينما كانوا لا يبالون بالحياة ويتقدمون إلى سوح الجهاد، ويبذلون كل شيء في سبيل الله سبحانه وتعالى، صاروا يرجعون إلى الخفض والدعة والعيش الرغيد، ولذا تركوا مناصرة الحق وانساقوا مع التيار المنحرف.

ولا يبعد القول بأشدية حرمة النكوص بعد الإقدام من النكوص الابتدائي نظراً لما يحدثه من الوهن ولغير ذلك.

قال تعالى: ﴿**فكنتم على أعقابكم تنكصون**﴾(١٣٥٥).

قال أمير المؤمنين في نهج البلاغة: «اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلا النكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك، ثم أنت بعد، المغني عن نصره والآخذ له بذنبه»(١٣٥٦).

(١٣٥٢) الكافي: ج٧ ص٣٨٠-٣٨١ باب كتمان الشهادة ح١.

(١٣٥٣) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٧٥ ب٢٢ ضمن ح١٢٩٨٧.

(١٣٥٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٦٩ فضيلتهما والترغيب فيهما. أي التقوى والورع. ح٥٨٥٨.

(١٣٥٥) سورة المؤمنون: ٦٦.

(١٣٥٦) نهج البلاغة، الخطب: ٢١٢ كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه.

إنكار الإمامة شرك

مسألة: يحرم الشرك بعد الإيمان.

والمراد بالشرك هنا: الشرك الخفي، لا الشرك الجلي، لأنهم لم يتخذوا وثناً ولا صنماً ولا ناراً شريكاً لله سبحانه، وإنما رفضوا أحكام الله سبحانه وصاروا بذلك مشركين شركاً خفياً.

وبتعبير آخر: مقتضى المقابلة في كلامها عليهما السلام بين الشرك والإيمان أنهم لم يكونوا ـ بعدها ـ مؤمنين، وإن كانوا مسلمين، إذ لم تقل عليها السلام أشركتم بعد الإسلام.

فإن الإسلام يتحقق بالشهادتين وهم أنكروا الشهادة الثالثة ـ ولو عملياً ـ فكانوا مشركين وغير مؤمنين عملياً، ونظرياً أيضا إذا أنكروا مضافاً إلى ذلك أدلة الإمامة، فكان شركهم بالقياس إلى أصل الامامة وأيضاً بلحاظ إنكار بعض أحكام الله ومنها إرث الزهراء عليها السلام من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾[١٣٥٧]، فقال لي: «ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام»[١٣٥٨].

وعن سفيان بن السمط قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم التقيا في الطريق وقد أزف من الرجل الرحيل، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «كأنه قد أزف منك رحيل» فقال: نعم، فقال: «فالقني في البيت» فلقيه فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما؟ فقال: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام» وقال: «الإيمان هذا الأمر مع هذا،

(**١٣٥٧**) سورة الحجرات: ١٤.

(**١٣٥٨**) الكافي: ج٢ ص٢٤ باب أن الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة ح٣.

فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلما وكان ضالا»[١٣٥٩].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الإسلام يحقن به الدم وتؤدى به الأمانة وتستحل به الفروج والثواب على الإيمان»[١٣٦٠].

وعن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: «إن الإيمان يشارك الإسلام، والإسلام لا يشارك الإيمان» فقلت: فصفهما لي؟ فقال: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة»[١٣٦١].

وعن عبد الرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين: «سألت رحمك الله عن الإيمان، والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دار وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون العبد مسلما قبل أن يكون مؤمنا، ولا يكون مؤمنا حتى يكون مسلما، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان، فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله عزوجل عنها كان خارجا من الإيمان، ساقطا عنه اسم الإيمان، وثابتا عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان، ولا يخرجه إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال هذا حرام وللحرام هذا حلال ودان بذلك، فعندها يكون خارجا من الإسلام والإيمان داخلا في الكفر، وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثا فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار»[١٣٦٢].

وعن سماعة بن مهران قال: سألته عن الإيمان والإسلام، قلت له: أفرق بين الإسلام والإيمان؟ قال: «فأضرب لك مثله» قال: قلت: أورد ذلك، قال: «مثل الإيمان والإسلام مثل

(١٣٥٩) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٢٤٦-٢٤٧ الأخبار ح٦.

(١٣٦٠) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٥٥٦ ب١١ ح٢٦٣٣٧.

(١٣٦١) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٢٤٨ الأخبار ح٨.

(١٣٦٢) الكافي: ج٢ص٢٧-٢٨ بابٌ آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ح١.

الكعبة الحرام من الحرم، قد يكون في الحرم ولايكون في الكعبة، ولا يكون في الكعبة حتى يكون في الحرم، وقد يكون مسلما ولايكون مؤمنا، ولا يكون مؤمنا حتى يكون مسلما»[١٣٦٣].

إثارة الشبهات والحيرة

مسألة: يمكن استفادة سنة من سنن الله في المجتمع وقاعدة اجتماعية ونفسية من كلامها (صلوات الله عليها) وهي: إن الحيرة والكتمان والنكوص والشرك حقائق أربع متلازمة، بل فوق ذلك: إن الحيرة بعد البيان هي عادة منشأ الشرور اللاحقة، فإنها هي منشأ النكوص بعد الإقدام، والإسرار بعد الإعلان، والشرك بعد الإيمان.

وهذا ما يلاحظ بالوجدان، ويظهر من ابتدائها عليها السلام بالحيرة بعد البيان.

فتلزم محاربة الحيرة أشد الحرب، فإنها المنفذ الذي ينفذ منه الشيطان، والمدخل الذي يدخل منه أعداء الدين وقوى الاستعمار لتحطيم عزم الأمة وإرادتها.

وهكذا فإن إثارة الشبهات تعد من هذا المنظار من أشد المحرمات، وفي المقابل إجابة الشبهات وتثبيت الإيمان من أكبر الطاعات:

وقد ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»[١٣٦٤].

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، أيهما أفضل؟ قال: «الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد»[١٣٦٥].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور، يضيء لأهل جميع العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد: يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من

(١٣٦٣) الكافي: ج٢ص٢٨ بابٌ آخر منه وفيه أن الإسلام قبل الإيمان ح٢.

(١٣٦٤) الدعاء والزيارة، للإمام الشيرازي Σ: ص٧٠٢، الزيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام.

(١٣٦٥) الكافي: ج١ ص٣٣ باب صفة العلم ح٩.

حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان، فيخرج كل من كان علّمه في الدنيا خيرا، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلا، أو أوضح له عن شبهة»(١٣٦٦).

وقال علي عليه السلام: «من قوى مسكينا في دينه، ضعيفا في معرفته، على ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي ومحمد نبيي وعلي وليي والكعبة قبلتي والقرآن بهجتي وعدتي والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة»(١٣٦٧).

وقالت فاطمة الزهراء عليها السلام وقد اختصم إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة ففرحت فرحا شديدا، فقالت فاطمة عليها السلام: «إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها أشد من حزنها، وإن الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معاندا مثل ألف ألف ما كان معدا له من الجنان»(١٣٦٨).

وقال أبو محمد العسكري عليه السلام: «حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك، فثنت فأجابت، ثم ثلثت إلى أن عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة، فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله.

قالت فاطمة عليها السلام: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكتري يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار يثقل عليه؟

فقالت: لا.

فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يثقل عليّ، سمعت أبي صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع

(١٣٦٦) بحار الأنوار: ج٢ ص٢ ب٨ ح٢.

(١٣٦٧) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٤٦ ح٢٢٨.

(١٣٦٨) بحار الأنوار: ج٢ ص٨ ب٨ ح١٥.

الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزو جل: أيها الكافلون لأيتام آل محمدﷺ الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى إن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها لهم، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم وكذلك من يليهم ممن خلع على من يليهم، وقالت فاطمةعليها السلام: يا أمة الله إن سلكة من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»(١٣٦٩).

وقال الحسن بن علي عليه السلام: «فضل كافل يتيم آل محمد عليهم السلام المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل يخرجه من جهله ويوضح له ما اشتبه عليه، على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه كفضل الشمس على السها»(١٣٧٠).

وقال الحسين بن عليعليه السلام: «من كفل لنا يتيما قطعته عنا محنتنا باستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده قال الله عزوجل: أيها العبد الكريم المواسي أنا أولى بالكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعم»(١٣٧١).

وقال محمد بن علي الباقر عليه السلام: «العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من أبصر شمعته دعا له بخير، كذلك العالم مع شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل فهو من عتقائه من النار، والله يعوضه عن ذلك بكل شرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة ألف قنطار على غير الوجه الذي أمر الله عزوجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف

(١٣٦٩) بحار الأنوار: ج٢ ص٣ ب٨ ح٣.

(١٣٧٠) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٨ ب١١ ح٢١٤٦١.

(١٣٧١) الصراط المستقيم: ج٣ ص٥٥.

ركعة بين يدي الكعبة»[١٣٧٢].

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»[١٣٧٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من كان همه في كسر النواصب عن المساكين من شيعتنا الموالين لنا أهل البيت يكسرهم عنهم ويكشف عن مخازيهم ويبين عوراتهم ويفخم أمر محمد وآله (صلوات الله عليهم) جعل الله همة أملاك الجنان في بناء قصوره ودوره يستعمل بكل حرف من حروف حججه على أعداء الله أكثر من عدد أهل الدنيا أملاكا، قوة كل واحد تفضل عن حمل السماوات والأرض، فكم من بناء وكم من نعمة وكم من قصور لا يعرف قدرها إلا رب العالمين»[١٣٧٤].

وقال موسى بن جعفر عليه السلام: «فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة»[١٣٧٥].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «من أعان محبا لنا على عدو لنا فقواه وشجعه حتى يخرج الحق الدال على فضلنا بأحسن صورته ويخرج الباطل الذي يروم به أعداؤنا ودفع حقنا في أقبح صورة حتى ينبه الغافلين ويستبصر المتعلمون ويزداد في بصائرهم العالمون بعثه الله تعالى يوم القيامة في أعلى منازل الجنان ويقول: يا عبدي الكاسر لأعدائي الناصر لأوليائي المصرح بتفضيل محمد خير أنبيائي وبتشريف علي أفضل أوليائي ويناوي من ناواهما ويسمي بأسمائهما وأسماء خلفائهما ويلقب بألقابهم فيقول ذلك ويبلغ الله جميع أهل العرصات فلا يبقى كافر ولا جبار ولا شيطان إلا صلى على هذا الكاسر لأعداء محمد عليه السلام ولعن الذين كانوا يناصبونه

(**١٣٧٢**) بحار الأنوار: ج٢ ص٤ ب٨ ح٧.

(**١٣٧٣**) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٤٣.

(**١٣٧٤**) بحار الأنوار: ج٢ ص١٠ ب٨ ح١٩.

(**١٣٧٥**) الاحتجاج: ج٢ ص١٧ فصل في ذكر طرف مما أمر الله في كتاب. ..

في الـــــــدنيا مـــــــن النواصـــــــب لمحمـــــــد وعلـــــــي صـــــــلوات الله عليهما»[١٣٧٦].

وقال علي بن موسى الرضا عليه السلام: «يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مئونتك فادخل الجنة، ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله وحصل لهم رضوان الله تعالى ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيدخل الجنة ومعه فئاما وفئاما وفئاما حتى قال عشرا وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة فانظروا كم فرق بين المنزلتين»[١٣٧٧].

وقال محمد بن علي الجواد عليه السلام: «من تكفل بأيتام آل محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم الأسراء في أيدي شياطينهم وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم وأخرجهم من حيرتهم وقهر الشياطين برد وساوسهم وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم ليفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء»[١٣٧٨].

وقال علي بن محمد عليه السلام: «لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عزوجل»[١٣٧٩].

وعن أبي محمد عن أبيه عليه السلام قال: «تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم على رأس كل واحد منهم تاج بهاء قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة فشعاع تيجانهم ينبث فيها

(١٣٧٦) بحار الأنوار: ج٢ ص١٠-١١ ب٨ ح٢٠.

(١٣٧٧) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٣٤٤ في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن. . . ح٢٢٣.

(١٣٧٨) بحار الأنوار: ج٢ ص٦ ب٨ ح١١.

(١٣٧٩) الاحتجاج: ج١ ص١٨ فصل في ذكر ظرف مما أمر الله في كتاب.

كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ومن ظلمة الجهل أنقذوه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم إلى العلو حتى يحاذي بهم فوق الجنان ثم ينزلهم على منازلهم المعدة في جوار أستاديهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الذين كانوا يدعون إليهم ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان إلا عميت عينه وصمت أذنه وأخرس لسانه وتحول عليه أشد من لهب النيران فيتحملهم حتى يدفعهم إلى الزبانية فتدعوهم إلى سواء الجحيم»[١٣٨٠].

إلى غيرها من الروايات.

ألا تقاتلوا قوماً[١٣٨١] نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم

مقاتلة ناكثي البيعة

مسألة: يستفاد من كلامها عليها السلام جواز وربما وجوب مقاتلة أولئك القوم الذين خرجوا على إمام زمانهم ونقضوا البيعة ونصبوا غير من نصبه الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

بل كلامها عليها السلام تحريض أكيد على مقاتلتهم: «ألا تقاتلون قوماً..».

ومنه يعلم بضميمة الحديث المتفق عليه بين الفريقين: «إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها»[١٣٨٢]: أن رضى الله كان في مقاتلتهم وسخطه كان في الخذلان.

وهل يستفاد من كلامها عليها السلام عمومية جواز مقاتلة القوم الذين نقضوا أيمانهم، أم هو مختص بالمقام، فتأمل.

وفي بعض النسخ: «بؤساً لقوم».

ومن الجلي أن (البؤس) أعم من البؤس الأخروي والدنيوي، فهم بنقض البيعة خسروا دنياهم وآخرتهم، والبؤس هو الشدة والفقر، أي اشتداد الحاجة والافتقار، والشدة أعم من الشدة الأمنية والسياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

فالمستفاد من كلامها عليها السلام أن نكثهم الأيمان بالنسبة إلى ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي

(١٣٨٠) بحار الأنوار: ج٢ ص٦-٧ ب٨ ح١٣.

(١٣٨١) وفي بعض النسخ: (بؤسا لقوم).

(١٣٨٢) راجع بحار الأنوار: ج٢٧ ص٦٢ ب١ ح٢١.

طالب عليه السلام نجم عنه كل ما حدث من الحروب والمحن والمشاكل والأزمات.

وكلامها عليها السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أَلا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(١٣٨٣).

قال سبحانه: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾(١٣٨٤).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾(١٣٨٥).

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من نكث بيعة أو رفع لواء ضلالة أو كتم علما أو اعتقل مالا ظلما أو أعان ظالما على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد برئ من الإسلام»(١٣٨٦).

وقال علي عليه السلام: «من نكث بيعته لقي الله وهو أجذم لا يد له»(١٣٨٧).

وعن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، قيل: يا رسول الله وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحق وإن قلوا»(١٣٨٨).

قال النبي صلى الله عليه وآله: «ثلاث موبقات، نكث الصفقة وترك السنة وفراق الجماعة، وثلاث منجيات تكف لسانك وتبكي على خطيئتك وتلزم بيتك»(١٣٨٩).

قال سلمان وعبد الله بن العباس قالا: «توفي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم توفي فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله

(١٣٨٣) سورة التوبة: ١٣.

(١٣٨٤) سورة التوبة: ١٢.

(١٣٨٥) سورة الفتح: ١٠.

(١٣٨٦) بحار الأنوار: ج٢ ص٦٧ ب١٣ ح١١.

(١٣٨٧) دعائم الإسلام: ج٢ ص٩٥ فصل١ ح٢٩٦.

(١٣٨٨) بحار الأنوار: ج٢٧ ص٦٧ ب٣ ح١.

(١٣٨٩) الخصال: ج١ ص٨٥ ثلاث درجات وثلاث كفارات ح١٣.

حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته»[١٣٩٠].

وعن العالم موسى بن جعفر عليه السلام في حديث: «وإذا قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة في يوم الغدير ﴿**لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ بإظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين فتشوشون عليهم دينهم، و تحيرونهم في مذاهبهم»[١٣٩١].

نكث البيعة وأسلوبها

مسألة: من أكبر المحرمات وأشدها نكث بيعة الله وبيعة الرسول صلى الله عليه وآله وبيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فإن القوم كانوا قد حلفوا وعاهدوا بالاستمرار مع الرسول صلى الله عليه وآله وبايعوه على ذلك، وكانت تلك مبايعة مع الله عزوجل، فإن يد الله فوق أيديهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً**﴾ [١٣٩٢].

وربما تكون إحدى الوجوه في قوله تعالى:﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [١٣٩٣]أن أسلوب البيعة كان عبارة عن أن الرسول صلى الله عليه وآله يرفع يده إلى أعلى، وكانوا يمرّون يدهم بيده صلى الله عليه وآله أخذاً من الأصابع وانتهاءً إلى آخر الكف، وذلك على ما يظهر من التواريخ.

ونكث البيعة كان بالعكس من ذلك، بأن يمر المبايع يده من آخر الكف طرف الزند إلى الأصابع نكثاً للبيعة وكأنه تخلص عن البيعة وتفرّغ عنها.

والمحتمل في هذا المقطع من كلامها (صلوات الله عليها) في القوم الذين نكثوا أيمانهم أمران:

الأول: أنهم حكماً هم اليهود الذين نقضوا عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وعاضدوا الأحزاب وهموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله من المدينة.

(**١٣٩٠**) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٩٧ ب٧ ح٢٩.

(**١٣٩١**) بحار الأنوار: ج٣٧ ص١٤٦ ب٥٢ ضمن أخبار الغدير.

(**١٣٩٢**) سورة الفتح: ١٠.

(**١٣٩٣**) سورة الفتح: ١٠.

الثاني: أنهم حكماً هم مشركو قريش وكفار مكة قبل الهجرة وبعدها أيضاً[١٣٩٤]، وهذا أظهر بلحاظ انطباق كلامهاعليها السلام بكامله عليهم، فهيعليها السلام تحرض الناس على قادة الانقلاب ضد النبي صلى الله عليه وآله ومخططي السقيفة، فإنهم نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله من قبل، وهم قد بدؤوكم ـ أيها المسلمين ـ أول مرة، أي زمن النبي صلى الله عليه وآله في قضايا عديدة منها قضية (ودباب دحرجوها) [١٣٩٥] في العقبة.

أو إنهم قد بدؤوكم ـ أيها الأوس والخزرج ـ أول مرة عندما جاؤوا للمدينة لمقاتلتكم.

وهذه المرة الثانية حيث تعرضوا لوصي النبيعليه السلام ، فـ (أول مرة) بلحاظ الصنف لا العدد[١٣٩٦].

عن بكير بن عبيد الله الطويل وعمار بن أبي معاوية قالا: حدثنا أبو عثمان البجلي مؤذن بني قصي، قال بكير: أذن لنا أربعين سنة، قال: سمعت عليا عليه السلام يقول يوم الجمل: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾ ثم حلف حين قرأها أنه ما قوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم، قال بكير: فسألت عنها أبا جعفرعليه السلام، فقال: «صدق الشيخ هكذا قال عليعليه السلام هكذا كان»[١٣٩٧].

ومن كلام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حين دخل البصرة وجمع أصحابه فحرضهم على الجهاد وكان مما قال: «عباد الله انهدوا إلى هؤلاء القوم، منشرحة صدوركم بقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي وأخرجوا ابن حنيف عاملي بعد الضرب المبرح والعقوبة الشديدة وقتلوا السبابجة ومثلوا بحكيم بن جبلة العبدي وقتلوا رجالا صالحين ثم تتبعوا منهم من نجا يأخذونهم في كل حائط وتحت كل رابية ثم يأتون بهم فيضربون رقابهم صبرا، ما لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، انهدوا إليهم وكونوا أشداء عليهم والقوهم صابرين محتسبين تعلمون أنكم منازلوهم ومقاتلوهم

(**١٣٩٤**) أما قبل الهجرة فبنقضهم عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وآله أن لا يعينوا أعداءهم عليهم فأعانوا عليهم بني بكر على خزاعة وراموا إخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة في مؤتمرهم بدار الندوة، وأما بعد الهجرة فيوم بدر.

(**١٣٩٥**) راجع القصة كاملة في بحار الأنوار: ج٨٢ ص٢٦٦-٢٦٧ ب٣٣.

(**١٣٩٦**) أي بدؤوكم أول مرة بلحاظ كونها موجهة ضد شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وإن كانت مراراً عديدة وهذه ثاني مرة ضد وصيه عليه السلام.

(**١٣٩٧**) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٠٣ ب٣ ح١٥٦.

ولقد وطنتم أنفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي ومبارزة الأقران، وأي امرئ أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء ورأى من أحد من إخوانه فشلا فليذب عن أخيه الذي فضل عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله»[١٣٩٨].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلكِنْ لايَشْعُرُونَ**﴾[١٣٩٩]، قال:

«ما قوتل أهل هذه يعني البصرة إلا بهذه الآية، وقرأ أمير المؤمنين يوم البصرة: ﴿**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾[١٤٠٠].

ثم قال: لقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفرقة المارقة، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون»[١٤٠١].

قالت فمن قاتل الأقوام إذ فقلت تفسيره في وقعة الجمل

وهموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله

إخراج الرسول صلى الله عليه وآله

مسألة: يحرم إخراج الرسول صلى الله عليه وآله، فإن إخراجه صلى الله عليه وآله من أشد المحرّمات، كما فعله المشركون من أهل مكة.

بل يحرم إخراج كل أحد عن وطنه وملكه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما بويع أبوبكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله عليها السلام منها»[١٤٠٢].

(**١٣٩٨**) بحار الأنوار: ج٣٢ ص١٧١-١٧٢ ب٣ ح١٣١.

(**١٣٩٩**) سورة البقرة: ١١-١٢.

(**١٤٠٠**) سورة التوبة: ١٢.

(**١٤٠١**) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٨٢-٢٨٣ ب٦ ضمن ح٢٣٢.

(**١٤٠٢**) الاحتجاج: ج١ ص٩٠ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر.

كما يحرم إخراج المسلم عن أي من البلاد الإسلامية، إذ لا حدود جغرافية في الإسلام، والبلاد الإسلامية بلد واحد، والمسلم حر في أن يعيش في أي منها، فلا جواز ولا إقامة ولا تأشيرة ولا غيرها من بدع الاستعمار.

قال المفسرون في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ**﴾(١٤٠٣): (إنها نزلت في قصة دار الندوة وذلك أن نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتآمروا في أمر النبي ﷺ فقال عروة بن هشام: ﴿**نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾(١٤٠٤).

وقال أبو البختري: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه.

وقال أبو جهل: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية.

فصوب إبليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطأ الأولين.

فاتفقوا على هذا الرأي وأعدوا الرجال والسلاح، وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله ﷺ فخرج إلى الغار وأمر عليا عليه السلام فبات على فراشه، فلما أصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم وقالوا: أين محمد؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث ﷺ فيه ثلاثة أيام ثم قدم المدينة)(١٤٠٥).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ»(١٤٠٦).

حرمة الهم بذلك

مسألة: يحرم الهم بإخراج الرسول ﷺ.

والهم بالشيء هو العزم عليه وقصده وإرادته.

(**١٤٠٣**) سورة الأنفال: ٣٠.

(**١٤٠٤**) سورة الطور: ٣٠.

(**١٤٠٥**) بحار الأنوار: ج١٩ ص٣١ ب٦.

(**١٤٠٦**) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ ص٣٣ باب السفر والسير والفراق والقدوم والوداع.

فإن الهم بإخراج الرسول ﷺ يرتبط بأصول الدين والمعتقدات، والنية فيما يخالف أصول الدين محرمة، حتى إذا لم نقل في باب النية بحرمة مطلق نية الحرام، فإن النية فيما يخالف الأحكام الشرعية الفرعية . بدون الإتيان بها . ليست من المحرمات وإن كانت مذمومة، كما ذكر في بحث التجرّي في الأصول(١٤٠٧).

وهناك بعض الفرق بين النية وبين الهمّ بالشيء، فإن الهم بالشيء: العزم عليه وقصده وإرادته فتأمل.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من هم بخير فليعجله ولا يؤخره، فإن العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك وتعالى: قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئا أبدا، ومن هم بسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الله سبحانه فيقول: لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبدا»(١٤٠٨).

قال أبو عبد الله عليه السلام: «ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث نفسه بها»(١٤٠٩).

وعن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له بها عشرا، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة، ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة»(١٤١٠).

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن المؤمن ليهم بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشر حسنات، وإن المؤمن ليهم بالسيئة أن يعملها فلا

(١٤٠٧) قال الإمام الشيرازي P في بحث التجري: (والحاصل: قد ظهر مما تقدم قرب قول الشيخ P فلا عقاب لا على الفعل ولا على العزم وان اختاره الكفاية وحيث يراه غير اختياري انتهى الأمر إلى الشقاوة الذاتية، مع وضوح أن كل ما بالغير ينتهي إلى ما بالذات، وإلا لزم التسلسل، فغيره اختياري به). الأصول: ج٢ ص١٧ ط٥ دار العلوم، بيروت.

(١٤٠٨) الكافي: ج٢ ص١٤٢-١٤٣ باب تعجيل فعل الخير ح٦.

(١٤٠٩) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٥ ب٥٠ ح٢٠٧١٢.

(١٤١٠) الكافي: ج٢ ص٤٢٨ باب من يهمّ بالحسنة أو السيئة ح١.

يعملها فلا تكتب عليه»[١٤١١].

وعن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام أو عن أبي جعفر عليه السلام: «إن الله تعالى قال لآدم عليه السلام: يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشرا»[١٤١٢]، الحديث.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا هم العبد بالسيئة لم تكتب عليه وإذا هم بحسنة كتبت له»[١٤١٣].

مقاتلة من هم بذلك

مسألة: يجوز مقاتلة من هم بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله، والجواز بالمعنى الأعم.

وإنما قلنا بالجواز بالمعنى الأعم، لأنه قد يكون واجباً، وقد يكون مستحباً، كل في مورده، حسب ما ألمعنا إليه في بحوث آنفة، وتفصيل الكلام في كتاب الجهاد[١٤١٤].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض»[١٤١٥].

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: قال أمير المؤمنين (صلوات اله عليه): «أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه وسوغهم كرامة منه لهم ونعمة ذخرها، والجهاد هو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وفارق الرضا وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالأسداد وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن

(١٤١١) وسائل الشيعة: ج١ ص٥١ ب٦ ح٩٩.

(١٤١٢) وسائل الشيعة: ج١ ص٥١-٥٢ ب٦ ح١٠٠.

(١٤١٣) وسائل الشيعة: ج١ ص٥٢ ب٦ ح١٠٢.

(١٤١٤) راجع موسوعة الفقه: ج٤٧ و٤٨ كتاب الجهاد.

(١٤١٥) تهذيب الأحكام: ج٦ ص١٢١ ب٥٤ ح٢.

مسالحها وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق له دم، فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان عندي به جديرا، فيا عجبا عجبا والله يميث القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا حتى يسبخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا حتى ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر، يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرت ندما وأعقبت ذما، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع»(١٤١٦).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلا به»(١٤١٧).

هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من خرج على علي عليه السلام فهو في النار»(١٤١٨).

وهم بدءوكم أول مرة

البدء بالقتال

مسألة: يجوز مقاتلة ومقابلة من بدأ بالقتال أول مرة، أما مقاتلة من لم يبدأ بقتال فهي

(١٤١٦) الكافي: ج٥ ص٤-٦ باب فضل الجهاد ح٦.

(١٤١٧) وسائل الشيعة: ج١٥ ص١٥ ب١ ح١٩٩١٥.

(١٤١٨) الصراط المستقيم: ج٣ ص١٦٢ فصل في أم الشرور.

مشروطة بما ذكر في كتاب الجهاد[١٤١٩] في إطار قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾ [١٤٢٠].

والإسلام .كما هو واضح في حروب الرسول ﷺ وحروب أمير المؤمنين علي والإمام الحسن والإمام الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) . يؤكد على أن لا يبدأ بقتال الكفار والمشركين ومن أشبههم، وذلك حتى تكون عليهم الحجة البالغة، فإن البادي بالقتال هو الذي قد تسقط حجته ببدئه بالقتال.

وقد بعث رسول الله ﷺ في وقعة بدر إلى قريش وقال: «يا معاشر قريش إني أكره أن أبدأكم فخلوني والعرب وارجعوا»[١٤٢١].

وقال ﷺ لأصحابه: «لا تبدوهم بالقتال»[١٤٢٢].

وقد ورد في وقعة الجمل: أنه لما تواقف الجمعان قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وكفكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى، وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالهم شيئا ولاتهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعفاء القوى والأنفس والعقول، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبه من بعده»[١٤٢٣].

وورد في قتال الخوارج أنه: لما واقفهم علي عليه السلام بالنهروان قال: «لا تبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم، فحمل منهم رجل على صف علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة، فخرج إليه عليه السلام فضربه فقتله»[١٤٢٤].

وفي الكافي: عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة

(**١٤١٩**) موسوعة الفقه: ج٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

(**١٤٢٠**) سورة النساء: ٧٥.

(**١٤٢١**) بحار الأنوار: ج١٩ ص٢٢٤ ب١٠ غزوة بدر الكبرى.

(**١٤٢٢**) تفسير القمي: ج١ ص٢٦٢ خوف قريش.

(**١٤٢٣**) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢١٢-٢١٣ ب٣ ضمن ح١٦٧.

(**١٤٢٤**) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٤٨ ب٢٣ باب قتال الخوارج.

وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة لكم أخرى، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا لهم مدبرا ولا تهجزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل»[١٤٢٥].

وفي نهج البلاغة: من وصيته عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين: «لاتقاتلوهم حتى يبدءوكم، فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إنا كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة فيعير بها و عقبه من بعده»[١٤٢٦].

وعن حبة العرني قال: لما انتهينا إليهم رمونا، فقلنا لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين قد رمونا، فقال: «كفوا» ثم رمونا فقال لنا عليه السلام: «كفوا»، ثم الثالثة فقال: «الآن طاب القتال احملوا عليهم»[١٤٢٧].

وفي أخبار يوم الجمل روى أبو مخنف قال: «لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي عليه السلام لأصحابه: لا يرمين رجل منكم بسهم ولا يطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكم وحتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل»[١٤٢٨].

وقال الشيخ المفيد: وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين عليه السلام رفع يديه وقال: (اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة) قال: فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين عليه السلام فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان ألقي فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت بالنار قبل

(١٤٢٥) الكافي: ج٥ ص٣٨ باب ما كان يوصى أمير المؤمنين عليه السلام ح٣.

(١٤٢٦) نهج البلاغة، الوصايا: ١٤ ومن وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين.

(١٤٢٧) بحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٤٧ ب٢٣ باب قتال الخوارج.

(١٤٢٨) شرح نهج البلاغة: ج٩ ص١١١ من أخبار يوم الجمل.

يوم القيامة؟ فقال الحسين عليه السلام: من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن، فقالوا: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى أنت أَوْلى بِها صِلِيًّا، ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك، فقال له: دعني حتى أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال»[١٤٢٩].

(**١٤٢٩**) بحار الأنوار: ج٤٥ ص٤-٥ ب٣٧ سائر ما جرى عليه.

الخوف من الأعداء

مسألة: يحرم الخوف من أعداء الله تعالى في الجملة.

والمراد به: الخوف المنتهي إلى الجبن والتقاعس عن العمل، أما الخوف القلبي ـ الخارج عن الاختيار ـ فليس حراماً، كما هو واضح.

أو المراد به: الخوف الناتج عن الشرك، أي الخوف من منطلق رؤية قدرة بإزاء الله تعالى.

ومن هنا كان الفرار عن الزحف محرماً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرار من الزحف من الكبائر»[١٤٣٠].

وفي كتاب صفين: أن عليا عليه السلام لما رأى ميمنته يوم صفين قد عادت إلى مواقفها ومصافها وكشف من بإزائها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال: «إني قد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن وأهل دعوة الحق إذا ضل الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم وكركم بعد انحيازكم وجب عليكم ما وجب على المولي يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين، ولقد هون علي بعض وجدي وشفا بعض هياج صدري أني رأيتكم بأخرة حزمتموهم كما حازوكم وأزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم تحوزونهم بالسيوف ليركب أولهم آخرهم كالإبل المطردة الهيم فالآن فاصبروا أنزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وليعلم المنهزم أنه مسخط لربه وموبق لنفسه، وفي الفرار موجدة الله عليه والذل اللازم وفساد العيش وأن الفار لا يزيد في عمره ولا يرضي ربه، فموت الرجل محقا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضى بالتلبس بها والإقرار عليها»[١٤٣١].

وعن أبي الحسن عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة**﴾[١٤٣٢]، قال: «متطردا يريد الكرة عليهم، ومتحيزا يعني متأخرا إلى أصحابه من غير هزيمة، فمن انهزم

(**١٤٣٠**) دعائم الإسلام: ج١ ص٣٧٠ ذكر الأفعال التي ينبغي فعلها قبل القتال.

(**١٤٣١**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٧١-٧٢ ب٢٧ ح١٢٤٥٥.

(**١٤٣٢**) سورة الأنفال: ١٦.

حتى يجوز صف أصحابه فقد باء بغضب من الله»[١٤٣٣].

وفي احتجاجات أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: «لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد ﷺ أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم» إلى أن قال: «وأما الثانية والستون فإني كنت مع رسول الله ﷺ في جميع المواطن والحروب وكانت رايته معي، وأما الثالثة والستون فإني لم أفر من الزحف قط، ولم يبارزني أحد إلا سقيت الأرض من دمه» الحديث.[١٤٣٤].

وفي علل الشرائع عن محمد بن سنان: أن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب عن جواب مسائله: «حرم الله عز وجل الفرار من الزحف لما فيه من الوهن في الدين والاستخفاف بالرسل والأئمة العادلة وترك نصرتهم على الأعداء والعقوبة لهم على إنكار ما دعوا إليه من الإقرار بالربوبية وإظهار العدل وترك الجور وإماتة الفساد، ولما في ذلك من جرأة العدو على المسلمين، وما يكون في ذلك من السبي والقتل وإبطال دين الله تعالى وغيره من الفساد»[١٤٣٥].

وروى العياشي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه ذكر في قول الله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**﴾[١٤٣٦]، عبادة الأوثان وشرب الخمر وقتل النفس وعقوق الوالدين وقذف المحصنات والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم»[١٤٣٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: «الكبائر سبع، قتل المؤمن متعمدا وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا بعد البينة وكل ما أوجب الله عزوجل عليها النار» وقال: «إن أكبر الكبائر الشرك بالله»[١٤٣٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «وأما الفرار من الزحف فقد أعطوا أمير المؤمنين

(**١٤٣٣**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٧٢ ب٢٧ ح١٢٤٥٧.

(**١٤٣٤**) بحار الأنوار: ج٣١ ص٤٣٢-٤٤٥ ب٢٧.

(**١٤٣٥**) علل الشرائع: ج٢ ص٤٨١ ب٢٣٣ ح١.

(**١٤٣٦**) سورة النساء: ٣١.

(**١٤٣٧**) تفسير العياشي: ج١ ص٢٣٨ ح١٠٧ من سورة النساء.

(**١٤٣٨**) بحار الأنوار: ج٨٥ ص٢٦ بيان تحقيق مهم.

علي بن أبي طالب عليه السلام على البيعة طائعين غير كارهين ثم فروا عنه وخذلوه»[١٤٣٩].

وعن عمران بن حصين قال: لما تفرق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم أحد جاء علي عليه السلام متقلدا سيفه حتى قام بين يديه، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه فقال له: «ما بالك لم تفر مع الناس» فقال: «يا رسول الله أرجع كافرا بعد إسلامي» الخبر[١٤٤٠].

وفيه نزل جبرائيل قائلا: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وقال للنبي صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه» فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما يمنعه من ذلك وهو مني وأنا منه» ورجع بعض الناس لثبات علي عليه السلام ورجع عثمان بعد ثلاثة أيام فقال النبي صلى الله عليه وآله: «لقد ذهبت بها عريضا»[١٤٤١].

الشجاعة

مسألة: ينبغي للإنسان أن يكون شجاعاً، فإذا لم يكن لقن نفسه بذلك، فإن من الثابت في علم النفس التأثير الكبير للإيحاء النفسي على الإنسان، سواء كان في الخير أم الشر، وسواء كان عدالة أم ظلماً، كرماً أم بخلاً، شجاعة أم جبناً، أم غير ذلك من الصفات، وتأثير التلقين والإيحاء لا يقتصر على القلب والجوانح، بل يشمل الجوارح أيضاً [١٤٤٢].

ولعل من أسباب تكرار الصلاة كل يوم خمس مرات بركوعها وسجودها وسائر أجزائها وشرائطها، استمرار الإيحاء النفسي حتى تتلون النفس باللون الذي يرتضيه الله عزوجل، قال تعالى: ﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة**﴾[١٤٤٣].

عن عبد الله بن عباس قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيبا فقال في آخر خطبته: «جمع الله لنا عشر خصال لم يجتمعن لأحد قبلنا ولا تكون لأحد غيرنا، العلم والحلم والحكم واللب والنبوة والفتوة والشجاعة والصدق والصبر والطهارة والعفاف، فنحن كلمة التقوى

(**١٤٣٩**) تفسير فرات لكوفي: ص١٠٢-١٠٣ ومن سورة النساء.

(**١٤٤٠**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٧٢ ب٢٧ ح١٢٤٥٨.

(**١٤٤١**) نهج الحق: ص٢٤٩ المطلب الثاني في الجهاد.

(**١٤٤٢**) وقد ثبت علمياً ذلك ومن أمثلته تأثر الإيحاء الذاتي على شفاء المرضى، كما تعارف عند بعض الأطباء في عالم اليوم.

(**١٤٤٣**) سورة البقرة: ١٣٨.

وسبيل الهدى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى والحق الذي أمر الله في المودة ﴿**فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾[١٤٤٤] »[١٤٤٥].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى اصطفاني واختاري وجعلني رسولا وأنزل علي سيد الكتب، فقلت: إلهي وسيدي إنك أرسلت موسى إلى فرعون فسألك أن تجعل معه أخاه هارون وزيرا تشد به عضده وتصدق به قوله، وإني أسألك يا سيدي وإلهي أن تجعل لي من أهلي وزيرا تشد به عضدي، فجعل الله لي عليا وزيرا وأخا وجعل الشجاعة في قلبه وألبسه الهيبة على عدوه وهو أول من آمن بي وصدقني وأول من وحد الله معي وإني سألت ذلك ربي عزوجل فأعطانيه، فهو سيد الأوصياء، اللحوق به سعادة والموت في طاعته شهادة واسمه في التوراة مقرون إلى اسمي وزوجته الصديقة الكبرى ابنتي وابناه سيدا شباب أهل الجنة ابناي وهو وهما والأئمة بعدهم حجج الله على خلقه بعد النبيين وهم أبواب العلم في أمتي من تبعهم نجا من النار ومن اقتدى بهم ﴿**هُدِيَ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[١٤٤٦]، لم يهب الله عزوجل محبتهم لعبد إلا أدخله الله الجنة»[١٤٤٧].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اعلم أن الله عزوجل يحب الشجاعة ولو على قتل حية»[١٤٤٨].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتي النبي صلى الله عليه وآله بأسارى فأمر بقتلهم خلا رجل من بينهم، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا محمد كيف أطلقت عني من بينهم؟ فقال: أخبرني جبرئيل عن الله عزوجل أن فيك خمس خصال يحبه الله عزوجل ورسوله الغيرة الشديدة على حرمك والسخاء وحسن الخلق وصدق اللسان والشجاعة، فلما سمعها الرجل أسلم وحسن إسلامه وقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وآله قتالا شديدا حتى استشهد»[١٤٤٩].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الشجاعة زين»[١٤٥٠].

(**١٤٤٤**) سورة يونس: ٣٢.

(**١٤٤٥**) تفسير فرات الكوفي: ص٣٠٥-٣٠٨ ومن سورة الشعراء.

(**١٤٤٦**) سورة آل عمران: ١٠١.

(**١٤٤٧**) الأمالي للصدوق: ص٢١-٢٢ المجلس السادس.

(**١٤٤٨**) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٢٩٧ ب٣٩ ح٩٤٩٠.

(**١٤٤٩**) بحار الأنوار: ج٦٦ ص٣٨٣ ب٣٨ ح٤٥.

(**١٤٥٠**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٩ ق٣ ب٢ ف٢ ح٥٥٢٤.

وقال عليه السلام: «الشجاعة عز حاضر»[١٤٥١].

وقال عليه السلام: «زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله»[١٤٥٢].

وفي الشعر المنسوب إليه عليه السلام قال:

أنـــا الصّـــقر الـــذي حـــدّثت عنـــه عتـــاق الطيـــر تنجـــذل انجـــذالا

وقاســـيت الحـــروب أنـــا ابـــن ســـبع فلمّـــا شـــبت أفنيـــت الرجـــالا

فلـــم تـــدع الســـيوف لنـــا عـــدوّا ولـــم يـــدع الســـخاء لـــديّ مـــالا[١٤٥٣]

فالله أحق أن تخشوه

الخشية من الله

مسألة: تجب الخشية من الله تعالى، وقد تكون واجباً نفسياً لا صرف المقدمية فتأمل.

ولا يخفى أن الأصل في الخطابات القرآنية كونها للعموم، وإن كانت موجهة حين نزولها لأفراد أو فئات خاصة فإنها عادة من باب أظهر المصاديق وما أشبه، والمقام من هذا القبيل.

وإذا لم تكن الخشية من الله موجودة أو متمكنة في قلب الإنسان فاللازم إيجاد تلك الخشية في قلبه بتذكر عقاب الله سبحانه وتعالى، وشدة بأسه لمن يعصيه، حتى تتلوّن نفسه بالخشية.

قال سبحانه: ﴿**يدعوننا رغباً ورهباً**﴾[١٤٥٤].

وقال تعالى: ﴿**انما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[١٤٥٥].

وقال جل ثناؤه: ﴿**فلا تخشوا الناس واخشون**﴾[١٤٥٦].

(**١٤٥١**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٢٥٩ ق٣ ب٢ ف٢ ح٥٥٢٥.

(**١٤٥٢**) غرر الحكم ودرر الكلم: ص٣٣ ق٤ ب١ ف٣ ح٧٦٦٦.

(**١٤٥٣**) بحار الأنوار: ج٣٤ ص٤٣٣ الباب السادس والثلاثون ومنه في إظهار الشجاعة.

(**١٤٥٤**) سورة الأنبياء: ٩٠.

(**١٤٥٥**) سورة فاطر: ٢٨.

(**١٤٥٦**) سورة المائدة: ٤٤.

وفي الحديث القدسي: «يا موسى اجعلني حرزك وضع عندي كنزك من الصالحات وخفني ولا تخف غيري إلي المصير»[١٤٥٧].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن من العبادة شدة الخوف من الله»[١٤٥٨].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك»[١٤٥٩].

وعن الهيثم بن واقد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»[١٤٦٠].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المؤمن لا يخاف غير الله ولا يقول عليه إلا الحق»[١٤٦١].

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر يقول الله تعالى: لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنني أخفته يوم القيامة وإذا خافني آمنته يوم القيامة، يا أباذر لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لاحتقره وخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة» إلى أن قال: قال: «يا أباذر إن لله ملائكة قياما في خيفته ما يرفعون رءوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الأخيرة فيقولون جميعا سبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد فلو كان لرجل عمل سبعين صديقا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ»[١٤٦٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من عرف الله خافه، ومن خاف الله حثه الخوف من الله على العمل بطاعته والأخذ بتأديبه، فبشر المطيعين المتأدبين بأدب الله والآخذين عن الله أنه حق على الله أن ينجيه من مضلات الفتن»[١٤٦٣].

إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة بهذا الصدد.

(**١٤٥٧**) بحار الأنوار: ج١٣ ص٣٣٥ ب١١ ضمن ح١٣.

(**١٤٥٨**) الكافي: ج٢ ص٦٩ باب الخوف والرجاء ح٧.

(**١٤٥٩**) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٢٠ ب١٤ ح٢٠٣٢٤.

(**١٤٦٠**) الكافي: ج٢ ص٦٨ باب الخوف والرجاء ح٣.

(**١٤٦١**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٢٨ ب١٤ ح١٢٨١٩.

(**١٤٦٢**) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٢٨ ب١٤ ح١٢٨١٨.

(**١٤٦٣**) بحار الأنوار: ج٦٧ ص٤٠٠ ب٥٩ ح٧٣.

من لوازم الإيمان

مسألة: ينبغي بيان أن الخشية من الله تعالى من شرائط الإيمان ولوازمه، كما قالت (سلام الله عليها): «إن كنتم مؤمنين».

فإن من الواضح أن غير المؤمن لا يخشى منه عزوجل، وإلا لآمن به وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، فإن الصفات القلبية تظهر آثارها على الجوارح، قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «ما أضمر أحدكم شيئاً إلا وأظهره الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»[١٤٦٤].

ولا يخفى أن ما ذكره (صلوات الله عليه) إنما هو من باب المثال أو أظهر المصاديق وأجلاها، وإلا فالنوايا تظهر أيضاً على الجوارح الأخرى كاليد والرجل وإشارات العين، وما أشبه ذلك.

قولها عليها السلام: «ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم...» إشارة إلى أن الأنصار[١٤٦٥] قد حاربوا كفار مكة من قبل والمتوقع منهم أن يقوموا اليوم بمحاربة المنافقين ويدافعوا عن خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته، وعن فدك وابنته صلى الله عليه وآله، وقد نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم، فإنهم جمعوا بين شيئين النكث للأيمان ونقض العهد، كما هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله من مكة المكرمة.

قولها عليها السلام: «وهم بدؤوكم أول مرة» لأن أهل مكة هم الذين جاؤوا إلى المدينة ليحاربوا المسلمين.

قولها عليها السلام: «أتخشونهم» أي لخوفكم منهم لا تقدمون على محاربتهم واسترداد الحق منهم.

قولها عليها السلام: «فالله أحق أن تخشوه»، ومعنى أحق: أصل الحق لا التفضيل، إذ لا يخاف من البشر ولا يُخشى من سائر الممكنات أبداً في قبال الله عزوجل، لأن أزمة الأمور طراً بيده سبحانه وتعالى، فالتفضيل هنا جرد عن معناه، كما في غيرها من الآيات والروايات التي ورد

(١٤٦٤) بحار الأنوار: ج٦٥ ص٣١٦ ب٢٥ نسبة الإسلام.

(١٤٦٥) بناء على أن الخطاب لا يزال لبني قيلة كما هو ظاهر مساق الكلام.

فيها شبه ذلك، قال سبحانه: ﴿**أولى لك فأولى ۞ ثم أولى لك فأولى**﴾[١٤٦٦].

وقال عزوجل: ﴿**قل الله يهدي للحق، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدّي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون**﴾[١٤٦٧].

۞۞۞

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

(**١٤٦٦**) سورة القيامة: ٣٤-٣٥.

(**١٤٦٧**) سورة يونس: ٣٥.

إلى هنا تم بحمد الله تعالى

المجلد الرابع من كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام)

وقد اشتمل على القسم الثالث من الخطبة الشريفة

وسيأتي بعده المجلد الخامس وهو (تتمة الخطبة) و(خطبة الدار)

ويبتدئ بقولها عليها السلام : «ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض»

إن شاء الله تعالى

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت . لبنان ص.ب: ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

البريد الإلكتروني: almojtaba@alshirazi.com

الفهرس

كلمة الناشر ٧

المقدمة ١١

لماذا الاستنصار؟ ١٣

نصرة المظلوم واجب عقلي ١٥

التعجب الاستنكاري ١٩

مواجهة الحاكم ٢٢

الاستدلال المنطقي ٢٤

الأصل هو المساواة ٢٩

بين الحاكم والرعية ٣٠

الافتراء على الله ٣٢
شهادة المعصوم عليه السلام ٣٣
حرمة الافتراء والكذب مطلقا ٣٥
مما يجب إعلام الناس به ٣٨
التعمد في الأمر ٣٩
الساكت على الظلم ٤١
تراكم الأدلة ٤٣
عند نقل الآيات الشريفة ٤٤
فلسفة الإرث ٤٥
شبهة وإجابة ٤٨
المطالبة بالإرث ٥٤
حرمة القول بالباطل ٥٥
حرمة القول بعدم إرثها عليها السلام ٥٦
منع النساء من الإرث ٥٨
نفي الرحم وإثباتها ٦٢
تخصيص الآيات دون مخصص ٦٤
أحكام أهل ملتين ٦٥
مما يحرم الاعتقاد به ٦٧
لا اجتهاد مقابل النص ٦٨
الاجتهاد وموارده ٧٠
معاني الأعلمية ٧١
الأعلم بالقرآن ٧٢
شمولية أعلميتهما عليهما السلام ٧٣
أهل البيت عليهم السلام هم المرجع ٧٤
تهديد الظالم ٧٨

جزاء هذه المظلمة ٨٢
تجسم الأعمال ٨٤
حكم نهي المعاند ٨٦
الله الحاكم ٨٨
التنبيه بحَكَمية الله وزعامة النبي صلى الله عليه وآله ٩٠
التوكل على الله ٩١
بين الحق وتوحيد الكلمة ٩٥
دور الرسول صلى الله عليه وآله في الآخرة ٩٩
درجات النهي عن المنكر ١٠٢
بين الدنيا والآخرة ١٠٦
هل الندم نافع ١٠٨
فاطمة عليها السلام في يوم القيامة ١١٦
الأخبار المستقبلية ومحل الاستقرار ١٢٠
من ينقلب على عقبيه ١٢١
حدود النظر ١٢٣
التعددية زمن الرسول صلى الله عليه وآله ١٢٣
توجيه الخطاب لفئة خاصة ١٣١
العقل والعاطفة ١٣٧
المشتق بلحاظ حال التلبس ١٤١
نصرة الإسلام ١٤٣
الغمز من قناة الحق ١٤٨
الحق القديم ١٥٢
التواني في ظلامتها عليها السلام ١٥٣
الاستشهاد بكلام المعصوم عليه السلام ١٥٦
يحفظ المرء في ولده ١٥٨

الولد يشمل الذكر والأنثى ١٦٢
حق الأجيال القادمة ١٦٣
مصدرية الخطبة ١٦٥
الإحداث في الدين ١٦٧
حفظ واستخدام الأمثال ١٦٩
نصرة أهل البيت عليهم السلام ١٧٢
العصيان المدني ١٧٤
بين القوة والطاقة ١٧٦
تبرير التقاعس ١٨٠
عدالة الصحابة ١٨٣
أدلة الخصم ١٨٦
عند أمن الإضلال ١٩١
لا تقاعس بموت القائد ١٩٤
آثار وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ١٩٧
الخطب الجليل ١٩٩
تخليد ذكرى الرسول صلى الله عليه وآله ٢٠١
الأمم ومسيرة الانحطاط ٢٠٣
امتداد النبوة ٢٠٥
لجان الرصد العلمي ٢٠٩
صلة الأرحام والآثار التكوينية ٢١١
بكاء الأرض على المؤمن ٢١٢
الكون في قتل الحسين عليه السلام ٢١٢
ظلمة الأرض ٢١٥
أمل الكون ٢١٧
من خسائر فقد النبي صلى الله عليه وآله ٢٢٣

الحرمة والحريم ٢٢٧
حق أم حكم ٢٢٩
إعادة ما أضيع ٢٣١
من مستثنيات كراهة القسم ٢٣٢
النازلة الكبرى ٢٣٤
ذكر الحقيقة ٢٤٠
رحمة للعالمين ٢٤٢
النكرة في سياق النفي ٢٤٦
يوم عاشوراء ٢٤٩
علاقة القرآن والعترة ٢٥٢
الرسول الأعظم ﷺ والقرآن الكريم ٢٥٦
لفظ الجلالة ٢٦٤
التكرار مساء وصباحاً ٢٦٩
تلاوة القرآن وألحانه ٢٧٣
من أدعية الصباح والمساء ٢٧٥
الهتاف والصراخ ٢٧٩
استصحاب الشرائع السابقة ٢٨٣
أحوال الأنبياء والرسل عليهم السلام ٢٨٥
الأشباه والنظائر ٢٩١
الموت حكم فصل ٢٩٤
حكمة الموت ٢٩٨
ذكر الموت ٢٩٨
عند موت إبراهيم عليه السلام ٣٠١
شاب من الأنصار ٣٠١
القضاء والقدر ٣٠٣

حرمة الانقلاب عن الحق..... ٣٠٥
من هو الرجعي؟ ٣٠٨
الحصر الإضافي ٣١٠
الشاكرون ٣١١
النسبة للأم ٣١٣
التخصيص بعد التعميم ٣١٨
تكرار الطلب ٣١٩
اشتداد الحرمة ٣٢١
أكل الإرث..... ٣٢٢
شحذ الهمم ٣٢٤
خذلان المظلوم..... ٣٢٧
السماع بالظلم..... ٣٢٨
المسؤولية المضاعفة للتجمعات ٣٣٣
عذر مدّعي القصور ٣٣٥
محاسبة المسؤولين ٣٣٧
مسؤولية أكبر ٣٤٠
تأهيل الأمة..... ٣٤٢
من السنن الاجتماعية ٣٤٥
إشهار السلاح بوجه الحاكم..... ٣٤٨
الدفاع باليد..... ٣٥٠
إجابة المظلوم ٣٥٤
حرمة خذلان المعصومين عليهم السلام ٣٥٧
عدم إغاثة المظلوم ٣٦٠
من المحرمات الكبيرة..... ٣٦٣
استمرارية الدعوة ٣٦٤

مدح المؤمنين..... ٣٦٦
من طرق التحريض ٣٦٧
الدقة في التعبير..... ٣٧٠
الاتصاف في ظرف الإسناد..... ٣٧٢
الاتصاف بالكفاح ٣٧٣
أقسام الشهرة ٣٧٤
السعي للتفوق ٣٧٨
مقاتلة المشركين..... ٣٨١
تحمل الكد والتعب ٣٨٣
مناطحة الأمم ٣٨٧
جعفر بن أبي طالب عليه السلام في الحبشة ٣٨٨
قصة شعب أبي طالب عليه السلام..... ٣٩٢
إتباع الرسول وأهل بيته عليهم السلام..... ٣٩٧
عمومية وجوب الإطاعة..... ٤٠١
محورية أهل البيت عليهم السلام..... ٤٠٤
إنهم عليهم السلام وسائط الفيض..... ٤٠٦
بحث حول الزمن ٤٠٨
إخضاع الإعلام المضل..... ٥١٢
حرمة الإفك..... ٤١٦
الكفر ونيرانه..... ٤١٨
حرمة الهرج ٤٢٢
مواصفات المجتمع الجاهلي..... ٤٢٣
من مسؤوليات المؤمن ٤٢٥
المصلح ودار الدنيا..... ٤٢٦
استيساق الدين بالرسول صلى الله عليه وآله ٤٢٨

عدم الإفراط والتفريط ٤٢٩
الحيرة والشك من المحرمات..... ٤٣١
الجهر بالحق..... ٤٣٥
النكوص والتراجع ٤٣٧
إنكار الإمامة شرك ٤٣٨
إثارة الشبهات والحيرة ٤٤١
مقاتلة ناكثي البيعة ٤٤٩
نكث البيعة وأسلوبها..... ٤٥٢
إخراج الرسول ﷺ..... ٤٥٦
البدء بالقتال..... ٤٦٢
الخوف من الأعداء ٤٦٦
الشجاعة..... ٤٦٩
الخشية من الله ٤٧٣
من لوازم الإيمان ٤٧٦